
١٢
٨١


١٤

٢١٨ أ . ح

اسنى المطالب في صلة الأقارب، تأليف احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الانصاري، شهاب الدين شيخ الاسلام، ابو العباس (٩٠٩-٩٧٤هـ).
بخط عبد الحق بن عمر المصري، ١١٤٩ هـ.

١٤ ١٠١ق ٣٣س ٢٦٫٥×١٦سم
نسخة حسنة، خطها نسخ، بأولها طره بديعه.
الأعلام ١: ٢٢٣، فهرس الأزهرية ٣: ٦٦١
١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ- ابن حجر الهيتمي، احمد بن محمد -٩٧٤هـ،
ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ.

٤٦٧

كتاب

اسنى المطالب في صلة الاقارب للامام

العلامة الحبر البحر الفهامة

شهاب الدين احمد بن حجر

الهيتمي الشافعي نزيل

مكة المشرفة

نفعنا الله به

في الدارين

امين

اذا المرء لا يرعاك الا تكلفا
فدعه ولا تكثر عليه التاسفا

ففي الناس ابدال
وفي الترك راحة
وفي القلب صبر للحبيب
ولو جفا



بسم الله الرحمن الرحيم • وبه التوفيق

قال شيخنا وسيدنا ومولانا العالم العلامة البحر الحبر الفهامة • جامع اشتات الفضايل • بغية المستلف الاماثل • قدوة المحققين • وعمدة المدققين الامام الامثل • والحبر الاكمل الافضل • شيخ الشيوخ ومن له في كل علم الثبوت والرسوخ • مفتي الحجاز والعراق • الراجع الى فتاواه وتصنيفاته في جميع الامصار وساير الافاق • ابو عبد الله احمد بن محمد الهيتمي المكي الانصاري • اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه في الدنيا والاخرة • امين

الحمد لله الذي عمر دواير كعبتا بيته بعظايم قدرته وجعل خلفا حضراته بسوابغ نعمته • ونور قلوب اوليايه بنور جلال ذاته وكمال ربوبيته • وحفظها عن ان تنطق بغير ذكره او تشهد غير حضرته • وفتح ابصار بصايرهم الى التخلق باخلاق كرمه • ليقبلوا كل قاطع وانى بذي عوار حسده وقطيعته • والى الخوف من سطوات انتقامه • لئلا يتجلى عليهم بغواسم عدله وسطوته • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له • شهادة انتظم بها في سلك اوليايه المحققين بحقايق كتابه وسنته • الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين • خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين • واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الممهد كل من وصل الى قربه واهل للدخول الى حضرته صلى الله عليه وسلم • وعلى اله الذين ما زالوا سالكين من مسلكه الاعظم في تحمل الاذى وساير المشاق

ومقابلتهما

ومقابلتهما بواسع الحلم وكريم الاخلاق ما يميزوا به من وراثته ابوته وكمال بضعته • واصحابه الذين بذلوا نفوسهم في صلاح الامة واصلاح ذات بينها • والتيام شملها وافتراق بينها بما نقلوه لهم من ذلك وسلكوه من احوالهم الواجب علينا الاقتدا بها في ساير المسالك • لنكون من تابعيهم باحسان الفايزين برضي الله وسننه صلاة وسلاما دايمين بدوام اسعاده • لمن لجا اليه • وعول في جلايل اموره ودقايقها عليه بعزيز رحمته • وامداده لمن تخلق باخلاقه في ايصال قاطعيه والاحسان الى من يذنب بعدده • المتكفل بدوام رضاه في الدارين وتجليه عليه بجمال اسعافه والطافه ونعمته • وبعد فهذا كتاب ان شا الله عميم نفعه • عجيب وضعه • باهر جمعه • عالية ذروته غالية قيمته • عزيز نظيره • غزير اكسيره • دعاني اليه امر اي امر • وقد زلزله وزر • وحال بين اخوين حايل • وجور مايل • وقطع رحم من غير تاويل • وكثرة قال وقيل • وذلك ان اخوين من وجوه اهل مكة وسلالة اكابرها وشي بينهما واشون • ووسوس اليهما من الجنة والناس موسوسون • فتكدرت منشا ربهما الصافية وتقهقرت رتبتاهما العالية • واخلدا الى سماع ما لا ينبغي الاصغا اليه • وتنزلا الى ما كانا غنيين عن التعويل عليه • فاذ كاد الامر بينهما ان يتفاقم • والقطيعة لرحمهما ان تتعاظم • بتمت الى السعي في التيام هذا الخرق الذي اتسع على الراقع • وسد هذا الثلم الذي كاد ان لا ينفع فيه شافع • فبذلت في ذلك جهدي • وكررت استعمال المصلحات لتحدي • مخلصا ان شا الله في ذلك النية • ومظهرا من الزيغ عن الحق ما ينبئ منه الطوية • غير معول فيه الا على من القلوب بيده • ليقلبهما كيف شا بقاهر قدرته • ويلهمهما مما زاد ما يقتضيه باهر حكمته • فلم يزدد الامر بينهما الا شدة وغلظة • ولم ارد من كل منهما الا الاباء وحده • فتكدرت لذلك • وقلت لعلي لست من اهل هذه المسالك • فقد قال بعض

العارفين كنت اذا سعيت في امر لم يتم عددت ذلك من •
عدم اخلاصي وصدق نيتي • لان الله تعالى يقول
في الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما •
وحينئذ توسلت الى خالق القوى والقدر •
ومانح النفع والضر • ان يستمد هذا الامر
الصعب • وان يضيق هذا الخرق الرحب • ولم ازل
على ذلك الى ان غشيني النوم ليلة الامس •
تعطلت مني الحواس الخمس • فرايت قائلا لي
بالعجال وسرعة • فايقاظ وسفعة • الف في
هذه المسئلة كتابا • سترزق لذلك كثيرا •
وايقنت بانه لا بد ان يلتئم خرق ما بينهما وكان
رتب على ذلك قدرا • ورايت ان السعي في ذلك
يدنيني من خير كثير ونفع غزير • كيف وبه صلاح
الدارين • واجتماع الشملين • وزوال الفرقة
والبين • والقيام بما يجب للرحم والعفو اين
من الحقوق • والسلامة من القطيعة والعقوق
ومن شماتة الاعدا والحاسدين • والاسافل
والمارقين • والسعي في افساد ما بين الاقارب
والاصدقا من صفا الود والمحبة • وتدبير الالفة
والوصلة والرغبة • وحينئذ امتثلت ذلك شرعت
في هذا التاليف البديع • الداعي اليه ذلك السر
المنيع • مستعينا باكرم الاكرمين • ومغيث المضطرين
في اكماله وتيسيره • وتهذيبه وتحريره • فلم •
يتم جزا عدا الا وقد التام ما بينهما من الخرق •
الواسع • وعاد الى ما طلب منهما من الوصل الجامع
وقد بذلت فيه جهدي • وافرغت فيه وسعي • الى
ان صار حقيقا ان يسمى باسنى المطالب • في صلة
الاقارب • واسال الله ان يفيض علي من فيض جوده
الواسع وكرمه الجامع • وان يعم النفع به • وان
يوصلني الى فواتح الخيرات وغايات سببه • انه
اكرم كريم • وارحم رحيم • ورتبته على مقدمة
وخمسة ابواب وخاتمة •

المقدمة الاولى

فيما هو الاصل في الاعانة على هذا التاليف بصدده

من اصلاح

منشأ الخير والشر

من اصلاح الحال مع الحق تارة ومع الخلق اخرى وذلك هو •
صلاح القلب لا غير وانما قدمت هذه لان كل شرف •
وفضيلة امتاز بها الانسان على سائر الحيوانات •
وجنسه • وزيادة اختصاص الانسان عن الحشرات •
فضلا عن بقية الحيوان • انما نشا ان مما في قلبه من •
خير وشر ونفع وضر فالاعمال كلها انما تظهر على ما فيه
وتنطرق لسعادتها وشقاوتها سائر فاعليها • ناشئة
عما تحلى به القلب من كمال المعرفة لله تعالى او سوء الجهل
به والاعراض عنه • فبادر الى تصفية قلبك عن كل قبيح
يقطعك عن ربك واستحضر وقوفك بين يدي ربك فانه سائلك
عن كل ما كان في قلبك اذ هو محط نظره وتجليه منك •
فان سلم من غير الله قبل والا حجب • والقائد على الجوارح
من نور او ظلمة • انما هو اثره من نعم تنشر وما خلق له
وطلب منه من معرفة نفسه ومن عرفها عرف ربه
وبالعكس • واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
اي بان يمنعه من معرفة ذلك • وقد صح ان قلب
المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها • وصح خبر
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين
ارادتين اما خيرا واما شرا • كان صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك • نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم •
الفاسقون • ومن ثم قالت الائمة معرفة
القلب وحقيقته اوصافه اصل الدين واساس
طريق السالكين • اعلم ان القلب قد يراد به النفس
والروح والعقل من وجه وقد يفارقه من وجوه
وقال حجة الاسلام واكثر الاغاليط نشاؤها
الجهل بمعاني هذه الاسماء تنقسم بمعناها باختلاف
فالقلب يطلق على اللحم الصنوبري الشكل المودع
في الجانب الايسر من جانب الصدر • وعلى لطيفة
ربانية روحانية لها بهذا الاسم تعلق يعترف
من تعلق العارض بالمعروض وهذه اللطيفة
هي المدركة والمرادة من القلب حيث اطلق
في الكتاب او السنة او كلام الصوفية ونحوهم

حقيقة القلب

والروح له معان

إذ هي مناط التكليف والعلوم والمعارف والمحتاج إليه
معرفة أوصافهما وأحوالهما لا حقيقتهما لتعذر علمها
على أكثر الخلق لما يأتي من قوله تعالى قل الروح من
أمر ربي • والروح وله معان منها جسم لطيف
منبعه جسم القلب سار منه في البدن سريان ماء
الورد في الورد وله مضاهاة بفيضان نور سراج
يدار به في زوايا البيت • ومنها تلك اللطيفة
المسماة بالقلب وهي المرادة في قوله تعالى
قل الروح من أمر ربي • والنفس وله معان
منها معنى ينشأ عنه معنى الغضب والشهوة •
اللذان ينشأ عنهما جميع الأوصاف المذمومة واستعمالها
في هذا هو الغالب في كلام السادة الصوفية
وهو المراد بقولهم أعدا عدوك نفسك التي
بين جنبيك • ومنها تلك اللطيفة لكن الغالب
أنه إذا أريد بها هذا المعنى توصف بالمطمئنة
وبقدر قرب هذه من مولاها بعد تلك منه •
وبينهما حالة تسمى لوامة وهي أن تسلك
طريق السلوك حتى تصير مطمئنة لتمحو بها
ولاية صاحبها إذا تفتر عن عبادة ربه تعالى
والعقل وله معان منها العلم نفسه ومحله
القلب ومنها المدرك لهذا العلم وهو تلك •
اللطيفة فالعلم حالة فيها صفة قائمة بها
ثم الجوارح الظاهرة والباطنة تابعة
للقلب وجنود له إذ هي مسخرة له مجبولة
على طاعته قسرا وقهرا بتصرف فيها كيف أراد
فتصلح بصلاحه وتفسد بفساده كما في الحديث
الصحيح إن في الجسد مضغة إذا صلحت أي
باعتبار تلك اللطيفة المتعلقة بها كما مر
صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد
كله ألا وهي القلب وبيان ذلك أن كل إنسان
في قلبه شوائب من صفات أربعة • سبعية
تنشأ عن تسلط القوة الغضبية عليه •
فيبغضها لها أفعال السباع من العداوة والبغضا

والنفس

والعقل

وكل انسان له شوائب

لاسيما



لاسيما الأقارب والأرحام والتهجم على الناس بالضرب والشتم
وبهيمية تنشأ عن تسلط الشهوة عليه فيتعاطى
أفعال البهائم من الشره والحرص والنجد وما في
معنى ذلك • وربانية من حيث إنه في نفسه أمر رباني
كما قال تعالى قل الروح من أمر ربي فهو يدعي لنفسه •
أكثر صفات الربوبية من التميز على غيره بسائر
صفات الجلال من العلو والاستيلاء والكبر والعظمة
وغيرها والكمال من الإحاطة بالعلوم وسائر المعاني
الرفيعة • وشيطانية تنشأ عن الغضب والشهوة
فيصير شريرا مشتغلا بسائر وجوه الشر متخليا
بكل خلق ذميم مذموم كالمكر والحيل والخداع •
بإظهار الشر في صورة خير كما هو دأب الشياطين
ومداخل الشيطان إلى القلب كثيرة إذ هو كحصن
فيه كل نفس والشيطان عدو له يريد أن يدخله
ويملكه ويستولي عليه فلا يحفظ إلا من يعرف
حراسة أبواب ذلك الحصن ومداخله • فلا
جرم صارت حماية القلب من الشيطان من
آكد الفروض العينية على كل مكلف ولا تعرف •
هذه الحماية إلا بمعرفة مداخله فصارت
معرفتها عينا فرضا عينيا أيضا إذ ما لا يتم الواجب
المطلق إلا به فهو واجب • ومن أعظم تلك المداخل
الحسد والحرص وكل منهما يعمي ويصم عن كل
حسن ويدعو إلى كل قبيح ومن ثم جاء في أثر •
اثنان لا يملك الناس إلا بهما الحرص والحسد
وفي حديث أبي داود حبك الشيء يعمي ويصم •
ولا يزيلهما إلا نور البصيرة الناشئ عن تطهير
السريرة بحسن المجاهدة ودوام المكابدة
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا •
ومنها الغضب والشهوة إذ الشيطان يلعب
بالغضبان كما يلعب الصبي بالكرة • وكذا من
قويت عليه شهوته • ومنها حب التزين في
ملبسه ومسكنه ونحوها فإذا علم الشيطان
من قلبه محبة ذلك باض فيه وفرخ فتح أبواب

مداخل الشيطان للقلب

ابدا بالرتبة في ما قدر عليه وهكذا حتى يموت وهو مرتبك
في سبيل الشيطان • ومنها محبة الشبع ولو من حلال
والطمع فيما بايدي الناس فيتزين لهم حتى باعماله فيخرج
منها كما تنسل الشعرة من العجين • ومنها العجلة وترك
التثبت في الامور ففي حديث العجلة من الشيطان والاناة
من الله • ومنها سعة المال زائدا على قدر الحاجة
فهو مستقر الشيطان ومحله لانه اعظم الفتنة
والاشتغال عن الله تعالى واوامره • ومن ثم لما
ابتلي الشيطان وجنده من الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم قال لجنده عسى الله تعالى ان يفتح لهم
الدنيا فحينئذ تقبلون حاجتكم منهم • ومنها البخل
وخوف الفقر فانه يمنعه عن كل احسان واجب
او مندوب ويدعوه الى ملازمة الاسواق وضياع
الاوقات في تحصيل الاموال لتنزل الى الكنز الموجب
لاليم العذاب ودوامه قال تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة الاية • ومنها تعصبه
لمذهبه وهواه بما يودي الى الحقد على مخاصميه
والازدراء به فهذا مسلك لكل احد لظن فاعله انه
يتعصب للدين وليس كذلك بل لنفسه انتصارا
لها واظهارا لقدرها في قلوب الناس • ومن
المعلوم ان سلوكه للطريق المستقيم مع خلوص
النية وتطهير الطوية احب الى من تعصب له
من تظاهر على نزهاته وارتباكه في ثاذ وراته •
ومن جند الشيطان ان يشغلك بذلك عن ما هو المقصود
الاعظم منك من اصلاح نفسك باد امة العلوم والاعمال
النافعة • ومنها سوء الظن بالمسلمين فيترتب على ذلك
انتقاصهم والاستحقار بحقوقهم الذي اوجبها الشارع
او ندبها • واذا قد عرفت هذه المداخل وقبيح
ما يترتب عليها فعليك ان تفرغ جهدك في التخلي
عنها ما امكنك ولا تظن سهولة ذلك بل
هو صعب المتعب • واعظم تلك السيوف دوام
الذكر لا سيما في اوقات تعجلات الحق لكنك
البد لا خيرفان دوام الذكر يحرق الشيطان

ويمرق

الدين حسن الخلق

ويمرق كالمرق • وفي حديث اسناده جيد اذا اراد الله بعبده
خيرا جعل له واعظا من قلبه المقدمة الثانية فيما يعين
على ما نحن بصدده وهو رياضة النفس وتهذيب الخلق
قال الله تعالى لاكرم خلقه عليه مادحا له ومظهرا
اعظم نعمه عليه انك لعلى خلق عظيم • وقالت
عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القران رواه
مسلم وهو جامع لكل ما مدح به صلى الله عليه وسلم
ومن ثم صح خبر بعثت لاتمم مكارم الاخلاق • وصح
انه صلى الله عليه وسلم قال اكثر ما يدخل الجنة
تقوى الله وحسن الخلق • واخرج ابن مردويه انه
صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال
هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن من ظلمك • وصح خبر اثقل ما يوضع في الميزان
حسن الخلق وفي رواية خلق حسن وفي اخرى
لابي داود والترمذي ما من شيء في الميزان
اثقل من حسن الخلق • وروى الطبراني اقربكم
مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا
الذين يالفون ويولفون • وفي حديث مرسل
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق • ثم
اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين
قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال
يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه
من وراءه فقال ما الدين فالتفت اليه وقال
اما تفقه هو ان لا تغضب • وروى احمد وغيره
الشؤم سوء الخلق • وصح ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوصني
قال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع
السيئة حسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس
بخلق حسن • وصح انه سئل صلى الله عليه وسلم
عن امراة سيئة الخلق تؤذي جيرانها تصوم
النهار وتقوم الليل فقال لا خير فيها

هي من اهل النار • وفي حديث سنده ضعيف حسن الخلق
خلق الله الاعظم • ومثله ثلاثة من لم تكن فيه او واحدة
منهن فلا يعتد بشيء من عمله • تقوى تحجزه عن معاصي
الله عز وجل • وحلم يكف به عن السفيه • وخلق يعيش
به في الناس • ومثله اليمن حسن الخلق • ومثله من
سعادة المرء حسن الخلق • ومثله حديث انس قالت
ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا ربما يكون
لها زوجان فتموت ويموتان ويدخلان الجنة
لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا
يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا
والاخرة • وصح خبر يا رسول الله اي المؤمنين
افضلهم ايمانا قال احسنهم اخلاقا • وصح انه صلى
الله عليه وسلم كان يقول اللهم حسنت خلقي فحسن
خلقي • وفي رواية كان يكثر الدعا ويقول
اللهم اني اسئلك العافية وحسن الخلق • وصح انه
صلى الله عليه وسلم كان يدعو في افتتاح الصلاة
اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها
الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها
الا انت • وقال لقمان الحكيم من اجتمع فيه خمس
الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا فهو
تقي لله ولي من الشيطان بري • وما احسن قول
يحيى بن معاذ سعة الاخلاق كنوز الارزاق •
سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات •
وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات
وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان
يصحبني عابد سيئ الخلق • وقال الجنيد
اربع يرفعن العبد الى اعالي الدرجات وان قل
علمه وعمله الحلم والتواضع والسخا وحسن
الخلق وهو كمال الايمان ومن ثم قيل التصوف
حسن الخلق ولكل بنيان اساس واساس الايمان
حسن الخلق • ولم يبلغ احد كمال حسن الخلق
الا الانبيا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم

فهو

فهو اكملهم خلقا واقرب الخلق الى الله تعالى اقربهم اليه صلى الله
عليه وسلم في التاسي به في حسن الخلق • واعلم ان الايمة
اختلفت عباراتهم في حسن الخلق فكل احد يعرف
ثمراته الحاضرة عنده فقال سهل بن عبد الله التستري
هو ان لا تتهم مولاك في رزقك بل تسكن لما منّ لك
منه وتطيعه ولا تعصيه في جميع الامور سرا وعلنا
والاوضح بيان حقيقته التي تتفرع عليها جميع ثمراته
وانما تعرف بمعرفة اصولها وهي اربعة • الحكمة وهي
قوة راسخة في النفس تدرك الصواب من الخطا
في كل فعل اختياري • والعدل • والشجاعة •
والعفة فمتى اعتدلت فيه هذه الاصول الاربعة
صدرت عنه الاخلاق الجميلة الحسنة ولم يتم
اعتدال هذه الاربعة على ما ينبغي الا لنبينا صلى الله
عليه وسلم وكل من قرب اليه في التاسي والا فتفاوت
يعتدل منه بعضها او اكثرها او بعض كل منها على
حسب استعداده وتهيئته • ويجمع ذلك كله
حسن الخلق وهو بضم اوله ثم ثانيه او سكونه
حسن الصفات الراسخة في النفس بحيث يصدر
عنها الافعال الجميلة • المقدمة الثالثة
فيما يبين على ذلك ايضا وهو ترك الخصومة •
فان المتخاصمين تنقطع الوصلة بينهما غالبا سواء
كانا محقين او مبطلين تغلب بترك الخصومة
مطلقا فانها مذمومة لا سيما ان كانت بباطل وهي
وكذا المرا والجدال والمرا الطعن في كلام الغير باظهار
خلله والجدال المرا اخص وهو ما يتعلق باظهار
المذاهب وتقريرها • والخصومة اللجاج في الكلام
ليستوفي به مالا او حقا مقصودا ابتدا او جوابا
وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال
الى الله الالد الخصم • وفي حديث حسن من ترك المرا
وهو محق بنى الله له بيتا في اعلا الجنة واعلم
ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي
يخاصم بغير علم واما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق
الشرع من غير لدد واسراف ومن غير قصد ايذا

وعناد فتعلمه ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه
سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال
متعذر. والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب
وذلك يترتب عليه من المفاسد ما لا يخفى ولو لم يكن
منها الا دوام الحقد والعداوة بينهما المؤدية الى
ان يتركل لصاحبه في حضوره وغيبته باطلاق
اللسان في عرضه وايغار الصدور وعليه وغير ذلك
مما هو ظاهر مشاهد فعلم ان من تعرض للخصومة
فقد تعرض للمحظور فان الغيبة وانما دوام
وسوسة مباحثة في صلاته وسائر عباداته كلها
فالخصومة مبدا كل شر وسبب كل قطيعة **وليس**
الحامل على تاليف هذا الكتاب كما علم مما مر الا
خصومة خفية وقعت بين فريقين انتشر عجاجها
عاديات الافكار فيهما الى ان اظلمت وجه الحق
الواضح. وادحضت حجج الصدق اللائح. واستثبت
من العداوة والبغضاء بين الفريقين ما انعبث
كما يغذ لكثرة مفاسده الفريقين. واذهبت صفا
القلوب السابق صفوه على صفوة الفريقين. وتحارت
الافكار في النيام حزمنا. وسد فتقهما فلم تزدد الا
اتساعا. ولم ينتج الا بعدا وامتناعا. واذ قد علمت
ذلك فاحذر ان تفتح باب خصام او مراء او جدال
الا اذا اضطرك الامر الى ذلك ولم تجد عنه معدلا.
ولا الى غيره ملجا. فحينئذ يرخص لك في المشي لبه
بقدر الضرورة لكن بشرط ان تحفظ قلبك ولسانك
عن تبعات الخصومة وما ينشا عنهما بما لا يسلم
من غوائله الا الموفقون الذين جاهدوا نفوسهم
وعلى ربهم في كل حال يتوكلون. **المقدمة الرابعة**
فيما ينبغي على ذلك ايضا وهو ان لا يصغي الانسان
الى كلام كثيرين في اضداد قابر فان اكثر ما يقع بين
الاهل والاصدقاء بل والاجانب الا باعد من الهجر
والخصومات والمفاسد الغيبة انما ينشأ
عن جهلة فسقة لا دين لهم ولا اخلاق يأتون
هذا بقول عن الاخر يكدر عليه وبالعكس

حتى

حتى تستعر نار الفتنة والعداوة والبغضاء بينهما الى ان
لا يبقى بينهما شفاعة شافع ولا دفاع دافع. وينبغي
لمن يبلغه عن غيره شيء صدر منه في حقه ان يتثبت
المرء بعد المودة ويتهم الناقل ولا يصدقه في كل
ما يأتي فان قصد الافساد بين الناس هو الغالب
اليوم. والنميمة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه
الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه
رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد لا يكون
احدكم امعة. قالوا وما الامعة قال الذي يجري
مع كل ريح. والنميمة ايضا ان ذا الوجهين
من اشر الفسقة والمنافقين والفتنة همه
وهو الذي يتردد بين متعاديين ويكلم كلا
بكلام يوافقه وقلما يخلو عن ذلك من يتردد
الى متعاديين. وروى البخاري في الادب المفرد
وابو داود انه صلى الله عليه وسلم قال
من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان
من نار يوم القيامة. وروى البخاري خبر تجد
من اشر الناس وفي رواية ابن ابي الدنيا تجدون
من اشر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين
الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي رواية
هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وكلما ورد في النمام
من الوعيد يأتي في هذا بالاولى. ومر قاله
لا يدخل الجنة نمام الا اخبركم بشراركم قالوا بلى
قال المشاؤون بالنميمة. وفي خبر للطبراني
لا يسعى بين الناس الا ولد بغي والا من فيه عرق
منه اما من دخل على متعاديين ولم ينقل لكل كلاما
ولكن حسن لكل منهما ما هو عليه من المعاداة
مع صاحبه او اثنى عليه في معاداته له فهذا
في حكم ذي اللسانين وكذا لو وعد كلا منهما ان
ينصره او اثنى على احدهما او كلا منهما في وجهه بل
ينبغي ان يسكت او يثني على المحق منهما في حضرته
وغيبته وبين يدي عدوه. والباعث على النميمة
اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له

او العزم بالحديث وكل من نقل اليه شيء من ذلك ينبغي له
ان لا يصدقه لانه من اشرار الفسقة قال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين وان ينهاه وينصح له فعله وان يبغضه
في الله تعالى فانه بغيض من يبغضه الله تعالى واجب
ولا يحكي نميمته بحق فلان قال في فلان كذا الا انه حينئذ
اما نمام او مغتاب • ثم رجل لعمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه فقال ان شئت نظرنا في امرك فان
كنت كاذبا فانت اهل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق وان كنت صادقا فانت من اهل
هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك
فقال العفو يا امير المؤمنين ولا اعود اليه ابدا
وسبقه لذلك على كرم الله وجهه فانه قال
لمن نم اليه يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت
صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك
وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني
يا امير المؤمنين • وقال عمر بن عبد العزيز
لمن نم اليه ما ادبت حق مجالسة الرجل حيث
نقلت الينا حديثه ولا اديت الي حقي حيث
ابلغتني عن اخي ولكن اعلم ان الموت يعمنا
والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم
بيننا وهو خير الحاكمين • وقال لقمان
لابنه يا بني اني موصيك بخلال ان تمسكت
بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب
والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم
واحفظ اخوانك وصل قرابتك ولتكن
اخوانك اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم
ولا يعيبوك • وسئل عن الحسن اذا اشار الى
ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق به قال
حجة الاسلام وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن
الكذب والغيبة والغدر والخيانة والحسد
والنفاق والفساد بين الناس والخديعة •

وهو

وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال
الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض ولنختم هذه المقدمات بما هو الاصل
الباعث عليهما بل وعلى سائر العبادات والاخلاق
وهو الصبر • وقد كثر كلام الناس في حدوده وان
احسنها انه ثبات باعث الدين في مقابلة باعث
الشهوة والهوى فان قوي على قهر الشهوة فهو من
الصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته
الشهوة فهو من اخوان الشياطين • قال
ابو علي الدقاق فاز الصابرون بعز الدارين
لانهم نالوا من الله تعالى معيته قال الله تعالى ان الله
مع الصابرين وقال ابن عيينة في قوله
تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا •
اخذوا براس الامور وهو الصبر فجعلهم الله رؤوس
الامة • ولا ينافي الصبر اظهار البلاء على غير جهة
الشكوى قال الله تعالى عن ايوب عليه السلام انا
وجدناه صابرا نعم العبد مع قوله مسني الضر وكان
الشافعي صبورا لانه الابلغ لولا انه في كثير من احواله
لم يكن صابرا بل مستلذا بالبلاء راضيا به مستعذبا له
فخرج عن الصبر المبني على تحمل المرارة الى اعلا منه
وهو الرضى الموجب للاستلذاذ والاستعذاب •
ولكون الصبر راس الامور واسه المبني عليه كل
عمل ذكره الله تعالى في نيف وسبعين موضعا في
كتابه العزيز واضاف اكثر الدرجات والخيرات
اليه وجعلهما من ثمراته • ومن اعلاها انه ما من
قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر قال
الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
ولكون الصوم نصف الصبر كما ورد جعل الله
تعالى حسابه اليه فقال في الحديث القدسي •
الصوم لي وانا اجزي به • ولقد جمع الله تعالى
للصابرين ما لم يجمعه لغيرهم من ذلك قوله •
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون • وفي حديث الصبر •

الحديث

تعريف على حد الصبر

مطلب عدة ذكر الصبر في القرآن

الحديث

الإيمان الكامل

نصف الإيمان ووجدنا أن الإيمان الكامل مركب من
عمل واعتقاد وقد علمت أن أحد الأعمال المعول له
إنما هو الصبر فكان هو نصف الإيمان بهذا الاعتبار
ووجه كون الصوم نصف الصبر بأن الصبر شيئان
كف النفس عن شهوتي البطن والفرج وحملها
على الأعمال المأثورة والصوم يتضمن للأول فكان •
نصف الصبر بهذا الاعتبار • فالصبر عن المحظور •
هو العزم وعن المكروه هو النبل وعلى الأذى •
المحظور هو المحظور واعلم أن لك في رسول الله
صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والاتباع •
الجميل لكن فيما يطاق التخلق به من أخلاقه
الكريمة وأحواله العلية وإلا فنهايتها لا يصل
إليها مخلوق حتى من الأنبياء والمرسلين •
والملائكة المقربين • وجماعها العلم والحلم •
والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء
والمروة والصمت والمودة والوقار والرحمة
وحسن الأدب والمعاشرة ونحو ذلك مما
يجمعه حسن الخلق • والحاصل أنه صلى الله عليه
وسلم لجميعها حائز وإذا علمت ثبات محاسنه
كان أعلى المخلوقين قدرا وأعظمهم محلا •
وأكملهم محاسنا وفضلا • ثم الحلم والاحتمال
والعفو وقد أدب الله تعالى بذلك كله •
نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى خذ •
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
وقال له جبريل يا محمد إن الله يأمرك
أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن من ظلمك • وقال له تعالى واصبر وما صبرك
إلا بالله • فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور •
وقد أثر من حلمه وصبره صلى الله عليه وسلم
واحتماله ما لا يمكن مخلوقا تحمله كيف •
وكل حليم قد عرفت له زلة وحفظت عنه •

هفوة

هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة
المؤذيات إلا صبرا • ولا على إسراف الجهال إلا حلما
الأذى أنه صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته
وشج وجهه الكريم يوم أحد اشتد ذلك على أصحابه
وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث •
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر
لقومي فإنهم لا يعلمون فتأمل رحمك الله ما في هذا
القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر •
والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على •
السكوت عنهم حتى عفى وأشفق عليهم ورحمهم •
ودعى وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم أظهر
سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر •
عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون • وكذلك لما •
تصدى له بعض العرب ليفتك برسول الله صلى
الله عليه وسلم منفرد عن أصحابه تحت شجرة قائلا وهو
فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم إلا وذلك الأعرابي قائم
والسيف مسلول في يده فقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من يمنعك مني قال الله فسقط السيف •
من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك
مني قال كن خير آخذ فتركه وعفى عنه فجاء إلى قومه
فقال جئتكم من عند خير الناس • وكذلك عفوه عن •
اليهودية التي سمته بخيبر في كتف شاة بسم سوح
فأكل منه لقمة ولفظها فنطق له الذراع ومع ذلك •
لم يؤاخذها بما يتعلق بحق نفسه • وكذلك احتماله
للأعرابي الذي قال له احملني من مال الله فإنك
لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك • قالت •
عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم
تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا
قط وما ضرب خادما ولا امرأة • والأحاديث
في حلمه وصبره وعفوه صلى الله عليه وسلم
عند المقدرة أكثر من أن تحصر وأظهر من أن تشهر

وحسبك ما صح بل كاد ان يتواتر من صبره صلى الله عليه وسلم
على سفاهة من ثقيف وذوي الجاهلية ومصابرة
الشدائد التي لا يطاق الصبر عليها الى ان
اظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون
في استئصاله شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد
على ان عفى وصفح وقال لهم يوم فتح مكة وقد
كانوا في ذل رقة واسره ما تقولون اني فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا
فانتم الطلقاء • وقال انس رضي الله عنه
هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح
ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فاخذوا واتي بهم اليه فاعتقهم وعفى عنهم
فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم ببطن مكة الاية • وتلطف
بابي سفيان بعد ان حزب عليه الاحزاب
وقاتله حتى قتل عمه واصحابه ومثل بهم •
فقال له ويحك يا ابا سفيان الم يان لك •
ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت •
وامي ما احلمك واكرمك واوصلك للرحم •

واذا قد تقررت النبذة من ذلك
البحر الخضم فينبغي للعاقل ان يتخلق بمبادي
هذه الاخلاق الكريمة • وان يتحلى بما استطاع
من تلك الاوصاف الحسنة • صابرا محتسبا
مستحضرا لقوله صلى الله عليه وسلم واعلم
ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك
لم يكن ليصيبك راضيا بقضاء الله وقدره
واعلم ايضا ان من المهم الفرق بين القضاء •
والقدر فانه قد اشكل • فالقضاء ايجاد جميع
المخلوقات في اللوح والتقدير ايجادها
في الاعيان ولذلك قال تعالى وخلق
كل شيء فقدره تقديرا اي فابرزه على ما سبق

القضاء والقدر

في علمه

الحديث

في علمه في الوجود الخارجي على طبق الوجود العلمي • وقد
يطلق القضاء على المقضي نفسه كما في حديث البخاري •
اللهم اني اعوذ بك من درك الشقاء وسوء القضاء اي المقضي
وهو بهذا المعنى لا يجب الرضا به بل لا يجوز ومن ثم
استعاذ منه صلى الله عليه وسلم بخلافه على المعنى
الاول فانه يجب الرضى به • وتحقيق ذلك ان
الطبيب الحاذق اذا وصف للمريض دواء مرا
تتقزز منه النفس بطبعها فان ذم الطبيب من
حيث تدبيره ووصفه لذلك الدواء لا يمكن من
التداوي بغيره الا سمه فقد تسخط من وادبه
ورد من تعرفه وان ذمه من حيث مرارة الدواء
الذي لا ينفع اذا بذله ولا يسخط من فعله وانما •
تسخط من المقتضى الذي هو الدواء • ولو سمع
الطبيب ذلك لما انه لم يعذله قال له الا يوكد لك
مفهم ان من ابتلى بمرض فتألم منه بمقتضى طبعه
لم ينافي رضاه بالقضاء لانه لم يعترض لجهة الرب
سبحانه وانما تعرض للمقضي لا غير وان قال
ما عملت ما يوجب هذا ونحوه فهو غير قادح بالقضاء
اي بتصرف الله تعالى في ملكه بما اراده • موجب
الرضا بالقضاء وانه لا يعترض لجهة الرب سبحانه
الا بالاجلال والتعظيم ولا يعترض على عبده في
حكمه • فالواجب اذا الرضا بالقضاء اي بحكم الله تعالى
وتصرفه في خلقه من غير تفصيل • واما المقضي
فقد يجب الرضا به ان وجب وقد يندب ان ندب •
وقد يباح ان ابيح ويكره ان كره ويحرم ان حرم •
فمن قضى عليه بمعصية ان لاحظها من حيث •
كونها كسبه لزمه ان يكرهها او من حيث كونها •
فعل الله تعالى وخلقه لزمه ان يرضى بها لما •
ليعلمه الربوبية يعني لم يفعل هذا بي وانما •
لا اسخطه او نحوه • ثم الرضا بالقضاء على
ما ينبغي يتم على مقتضى العلم وهذا لا بد منه
من الايمان وحقيقته ان لا يعترض على حكم الرب
الصمد في تدبيره • سيأتي ذا بعد هذا العبودية

رضي الله عنها متى يكون العبد راضيا فقالت اذا سرته
المصيبة اي بعد وقوعها من حيث نسبتها الى الله
تعالى كما تسره النعمة **تنبيه** مما ينبغي ان يعتقد
هنا ان عمر رضي الله عنه وهو امير المؤمنين
سافر الى الشام فاخبر ان بها وباء فلم يدخلها فقال
له ابو عبيدة امين هذه الامة بنص رسول الله
صلى الله عليه وسلم انفر من قدر الله تعالى فقال
له عمر رضي الله عنهما لو غيرك قالها يا ابا عبيدة
نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى
يعني عمر رضي الله عنه انا امرنا على لسانه صلى
الله عليه وسلم ان لا ندخل بلدا فيه طاعون
فالامتناع من دخولها ليس فيه فرار من القدر
حقيقة لاننا لم نعلم عين المقدور من موت
بذلك الطاعون لو دخلنا او من نجاة منه واذا
ابهم الامر علينا وامرنا بعدم الدخول كان
فرارنا من قدر الله تعالى وهو الدخول الى
قدر الله تعالى وهو تيسيره لنا عدم الدخول
لا يدل على انه المقدور . واما تسميته الاول
مقدورا فانما هو باعتبار انه لو قدر الدخول
كان هو المقدور فكل منهما صالح لكونه مقدورا
ويتبين بالارادة منه لاحدهما المصحوبة بوقوع
الفعل على وفقها عين المقدور حقيقة وحينئذ
فمن ترك الدخول امتثالا لا يقال انه فر من القدر
لانه انما قصد امتثال امر الشارع وهو لم يعلم
عين المقدور حتى يقال انه فر منه والله اعلم

الباب الاول في ذكر الاسباب

الحاملة على الشحناء الموجبة لقطيعة الرحم
الواجب على كل احد ان يعرفها ويعرف علاجها
ودواءها ليتخلى عنها . وهي انواع كثيرة
ولبناء هذا الكتاب على الاختصار ما امكن
احببنا ان لا نذكر الا اشياء من مهماتها اولها
محبة الدنيا والاستيثار بها والتطاول على
الغير والاستمتاع بجمع زهرها وزخارفها .

اعلم

مما ينسب اليه

اعلم ان ذم الدنيا مما اجمع عليه سائر الملل حتى منكروا
البعث والنشور ولاجل هذا قال ائمتنا رحمهم الله
لو اقتصر خطيب الجمعة في وعظه الواجب عليه
في خطبته على ذم الدنيا والتحذير منها لم يكفه
ذلك ولم يعتد واعظا لان ذمها مما توافق عليه
منكروا البعث فليس فيه كبير فائدة ومع ذلك
لا بد من ذكر شيء منه فنقول اكثر القرآن مشتمل
على ذمها وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة
بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع
كيف وهي عدوة الله تعالى لقطعها طريق الوصول
اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها . وعدوة
لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا
مرارة الصبر في قطع طمعها . وعدوة لاعدائه
لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها .
حتى وثقوا بها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فهم
على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون
فلا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون . وصح في ذمها

حديث

قوله صلى الله عليه وسلم وقد راى شاة ميتة
والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز
وجل من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا
تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
ماء . وصح ايضا من احب دنياه اضر باخرته ومن احب
اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى .
وجاء في مرسل حب الدنيا رأس كل خطيئة . وصح انه
صلى الله عليه وسلم لما قرأ الهاكم التكاثر قال
يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت
فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت
وجاء بسند جيد الدنيا دار من لا دار له ومال من
لا مال له اي وغنى من لا غنى له ولها يجمع من لا عقل
له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد
من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له . وبسند

ضعيف من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء •
والزم الله تعالى قلبه اربع خصال همًّا لا ينقطع عنه ابدًا
وشغلا لا ينفرغ منه ابدًا وفقرا لا يبلغ غناه ابدًا
واملا لا يبلغ منتهاه ابدًا • ومثله حديث من طلب
الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه
غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة
لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

حديث

ومما جاء في ذمها من الآثار وهي كثيرة
لا تخفى قول ابي الدرداء رضي الله عنه من هوان
الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال
ما عنده الا بتركها • وقال ابو امامة رضي الله عنه
لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتت ابليس
جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون
الدنيا قالوا نعم قال فاذا ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان
وانا اروح عليهم واغدو بثلاث اخذ المال من غير
حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه •
والشر كله لهذا تبع • وقال ابو سليمان •
الدار الاخرة كريمة والدنيا لئيمة فلا يجتمعان
في قلب وقال غيره لا يجتمعان فايهما غلب كان
الحكم له وهذا اصح كما قاله الغزالي • وقال
علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم
واشرفها العسل وهو مذقة ذباب • ومشروب
واشرفه الماء ويستوي فيه البر والفاجر وملبوس
واشرفه الحرير وهو نسج دودة • ومركوب واشرفه
الفرس وعليه تقتتل الرجال • ومنكوح واشرفه
المرأة وهو مبال في مبال • ومشموم واشرفه
المسك وهو دم حيوان • ومن مواعظ الحسن •
البصري لامير المؤمنين الملحق بالخلفاء الراشدين
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في التحذير عن
الدنيا احذرها يا امير المؤمنين فان لها في كل
حين قتيل فتذل من اعزها وتفقر من جمعها
وهي كسم يأكله من لا يعرفه غدارة ختالة
النفوس اليها عاشية وهي لازواجها كلهم قاتلة

نفيسة

من مواعظ الحسن البصري

فلا

فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر بينما
كاذبة وآمالها باطلة صفوها كدر وعيشها نكد •
وابن آدم فيها على اخطر الخطر لو لم يخبر الخالق
عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت قد ايقظت
النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله تعالى
ابلغ زاجر عنها وواعظ • ولقد عرضت على نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزائنها
لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى ان
يقبلها اذ كره ان يحب ما ابغض الله او يرفع ما وضع
زواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه
اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم
بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم
حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن
ربه عز وجل انه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت
الغنى مقبلا عليك فقل ذنب عجلت عقوبته •
واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين
وان شئت يا امير المؤمنين اقتديت بصاحب الروح
والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام كان يقول
ادامي الجوع • وشعاري الخوف ولباسي الصوف
وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي
ما انبتت الارض ابيت وليس لي شيء واصبح •
وليس لي شيء وليس على وجه الارض احد اغنى مني •
وقال بعض الاكابر لما علم اهل العقل والعلم
والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا
وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة •
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها
وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا
فضلا واخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا
من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ما سد
الجوع نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة
انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب صبروا
قليلا فتنعموا طويلا • وما احسن ما وقع لبعض
العارفين الزهاد ان صاحبه الريح في بطنه حتى

حديث

نفيسة

سترة على الملك فقال كلا من يزيل عني ذلك البلاء العظيم
فبكى شقيق ذلك العارف الزاهد بها ومسح على
بطنه فخرج منه ريح منتنة وعوفي من ساعته
فقال يا سيدي اجلسني على سرير المملكة فانا قد
عزلت نفسي ووليتك فقال لا حاجة لي الى ملك
قيمته ضرطة منتنة ولكن اتعظ انت ايها الملك
عنه وانا اعلم ان ملكك لا يساوي ضرطة منتنة
فلا تغتر به انتهى **وبهذا يعلم** ان الفانية تافهة
لا قيمة لها ومن ثم روى البخاري في الادب المفرد
والترمذي وابن ماجه من اصبح منكم آمنا في سربه
معافى في جسده وعنده قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها ۔ ويوافق تلك الحكاية ۔
ان ابن السماك دخل على هارون الرشيد يوما ۔
فاستسقى فاتي بكوز فلما اخذه قال على رسلك
يا امير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم كنت ۔
تشتريها قال بنصف ملكي قال اشرب هنأك الله
فلما شرب قال اسألك لو منعت خروجها من بدنك
بماذا كنت تشتري خروجها قال بجميع ملكي قال
ان ملكا قيمته شربة ماء وبولة لا ينبغي ان ينافس فيه ۔
فبكى هارون رحمه الله تعالى **وقال**
هارون لشيبان الراعي عظني قال لئن تصحب من
يخوفك حتى يدركك الامن خير لك من ان تصحب ۔
من يؤمنك حتى يدركك الخوف فقال الرشيد ۔
فسر لي ذلك قال من يقول لك انت مسؤول عن
الرعية فاتق الله انصح لك ممن يقول لك
انتم اهل بيت مغفور لكم وانتم قرابة النبي
صلى الله عليه وسلم فبكى الرشيد حتى رحمه من ۔
حوله حكاه ابن الجوزي وغيره **فائدة**
حكى ابن السبكي رحمه الله في طبقاته عن بعض الائمة
انه طاف بالبيت فخطر له طلب الدنيا ثم نام فسمع ۔
قائلا يقول وهو ينشد ويقول ۔
اتطلب بالبيت العتيق وركنه ۔ والطائفين ونزول الفرقان
سعة العيش في الدنيا الكثير وجهده ۔ بلاء الكفان ومنحة الابدان

حديث

شعر

وقال

وقال الامام اسمعيل بن المقري كلما طلب مني بعض ارحامي
شيئا من الدنيا فلم يكن عندي شيئا فتمنيت السعة ثم فكرت
في الدنيا وفتنتها وما يحصل من الشح بعد حصولها فطلبت
من الله عدمها ثم تنازعت عندي هاتان الحالتان فبت ۔
متفكرا فاذا قائل يقول لي اسمع يا اسمعيل ۔
المال عون على التقوى وربتما ۔ شغلت عنها به فاقنع بما قسما
ثم اتق الله يرزقك الاله بها ۔ من حيث لم تحتسب رزقا كما علما
تنبيه اعلم ان المراد بالدنيا المذمومة المأثور ذمها
في هذه الاحاديث كل ما للنفس فيه حظ وغرض وشهوة ولذة
في عاجل الحال قبل الوفاة نعم ذلك كله ليس مذموما بالكلية
بل هو اقسام ثلاثة ۔ ما تصحبه ثمرته بعد الموت وهو العلم
والعمل الخالصان اللذان ابتغي بهما وجه الله لا غير
سوى علم الباطن وعلم الظاهر وقد يأنس العالم بالعلم
والعابد بالعبادة حتى يصيرا في حب لذة ذلك كل ۔
شهوة ولذة فلا يعد هذا من الدنيا المذمومة ۔
وان كان حظا عاجلا فيها وان سميا من الدنيا ۔
لاخذها من الدنو وهو القرب بل هما من الآخرة
بل هي لبيت عيرها ۔ الثاني ما لا ثمرة له بعد الموت ۔
كالتلذذ بالمعاصي والرعونات المباحة التي لا تقصد
الآخرة فيها وهي المشار اليها بقوله تعالى زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية وهذا
عين الدنيا المذمومة ۔ الثالث ما فيه حظ عاجل ۔
للطرفين وهو كل حظ عاجل يعين على اعمال الآخرة
ويقصد لاجلها كما لا بد منه للانسان ومحتمل
من مأكل ومشرب وملبس ومسكن بقدر الحاجة ليتقوى
بها على الصحة والتفرغ للعلم والعمل النافع ۔
فليس هذا ولا هذه الاشياء كلها بل لذا القصد لا يعد
من ابناء الدنيا المذمومة اصلا كيف وهي وسيلة
الى ما يبقى معه عند الموت وبعده نافعا من هذا القبيل
ولهذا زهد عن ادناس الدنيا وشهواتها واشتد بالعلم
لا اذا اشتد لذكره وحبه لفناء عن غيره وهذه الثلاث
هي الباقيات الصالحات على الحقيقة وقول
ابن عباس انها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

المراد بالدنيا المذمومة

ما ينتفع ثمرته بعد الموت

الباقيات الصالحات

والله اكبر مراده ان من ادمن هذه وقام بها وتخلى
بغاياتها وهي تلك الصفات الثلاث فتامل •
والخامس ان ترك المعاصي والتلذذ با
والكف عن الشهوات ان قصد بها الله وحده
تحصيل الاخرة • والا بان قصد بالعكس فحصول علم
مذموم وبالذكر الاستمتار بالمتاع وبترك الشهوات
حفظ المال والاشتهار بالزهد فهو من الدنيا •
المذمومة ايضا • وان تحرى الاكل والنكاح ان قصد
به حفظ النفس فهو من الدنيا المذمومة • وان
قصد به التقوي على الطاعة والتحفظ عن الوقوع
في المعصية فهو من الاخرة فعلم ان الكمال والنقص
تابعان للقصد وان الدنيا المذمومة هي كل حظ
عاجل لا تعلق له بالاخرة وهو المراد بالهوى في
قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى • وقد بين الله لنا مجامع الهوى بقوله
انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم •
وتكاثر في الاموال والاولاد وبين تعالى ان الاعيان
التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة فقال تعالى
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين •
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة •
الدنيا والله عنده حسن المآب وقد عرفت
بما قررناه ان كل ما كان لله بطريق الوضع كالعلم •
والعمل الخالصين او القصد كاقتناء هذه الاموال
بالنيات الصالحات ليس من الدنيا المذمومة •
وعلى هذا التفصيل يحمل ما ورد في ذم الدنيا حديث
ومدحها نحو الدنيا مزرعة الاخرة نعم الدنيا
لمن تزود منها لاخرته حتى يرضى ربه ولبئست •
الدنيا لمن صدته عن اخرته وقصرت به عن رضى ربه واذا
قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله
اعصانا لربه لا تسبوا الدنيا فنعم المطية للعبد •
المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر • وذم
رجل الدنيا عند علي رضي الله عنه فقال كرم الله

وجهه

وجهه الدنيا دار صدق لمن صدق فيها ودار نجاة لمن فهم
عنها ودار غنى لمن تزود منها • مهبط وحي الله ومصلى
ملائكته ومسجد انبيائه ومتجر اوليائه ربحوا فيها
الرحمة فاكتسبوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد •
اذنت ببينها ونادت بفراقها ومما ورد في
حديث المتاع المحمود نعم العون على تقوى الله الدراهم •
والدنانير خواتيم الله في ارضه فمن جاء بخاتم مولاه
قضيت حاجته • ليس بخيركم من ترك دنياه لاخرته
ولا اخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فان
الدنيا بلاغ الى الاخرة ولا تكونوا كلا على الناس
الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقد يكون
الانسان من الزوجات والاولاد والاموال •
ما لا يحصى وهو من اهل الاخرة وقد لا يكون له شيء
من ذلك وهو من اهل الدنيا لتعلق قلبه بطلبها
مما يتفطن له لحظه وشهوته كما هو شأن اكثر الناس فتفطن
لئلا تشتبه عليك الحالات والمقامات ومدارها
على النية والقصد فمن احب الاخرة فقط بان لم
يأكل لقمة او يخطو خطوة الا بقصد صالح فليس
من الدنيا في شيء ومن احب الدنيا فقط فلا حظ
له في الاسلام ومن احب الاخرة اكثر فهذا الحق
بالاول في اصل الفضل ومن احب الدنيا اكثر
فهو كالثاني في مطلق النقص ومن اعتدل فيه
حبهما اعتدل كمالا ونقصا فيسمى كاملا من وجه
ناقصا من وجه ومما ينتظم في سلك ذلك
ان من الناس من هو ملك الدنيا والاخرة وهو
ذو الولاية العادل وهو الاسعد • ومن هو
فقير الدنيا ملك الاخرة وهو الفقير الصابر
وهو السعيد • ومن هو فقيرهما وهو الفقير
الكافر وهو الاشقى • ومن هو فقير الاخرة
فقط وهو ذو المال والولاية المنافق او الظالم
حديث وهو الخاسر ومما يشير الى ذلك ما ورد
انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالا
وعلما فهو يتقي الله فيه ويصل رحمه ويعلم

ان لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل • وعبد رزقه الله
علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو ان لي
مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما سواء •
وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط
في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل رحمه •
ولا يعمل فيه حقا فهو باخبث المنازل • وعبد لم يرزقه
الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه
بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سوا ثانيهما
البخل ومحبة المال واكثر ما نجده مما يوقع الشحنا
والعداوة بين الناس لا سيما الابن والاب هذان
الامران الناشيان عن محبة الدنيا والشيطان ربما
فلذا اطلت الكلام على هذه وساطيله على هذا
لعل من طالعه وفهمه ان ينفك عن هذه الاشيا
المحتقرة ويرجع الى ما هو المتعين عليه من صلة
الارحام وترك الخصام والشنا هذا ترجمة الحطام
والرجوع الى الله تعالى عن قبايح الاخلاق والاثام
وذلك وان كان عزيزا الا انه يسير على من سهله
الله عليه • واعلم انه ورد في ذم البخل ومحبة المال
ايات واحاديث كثيرة منها قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر
الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون •
وقال تعالى ها انتم هؤلا تدعون لتنفقوا
في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل
عن نفسه والله الغني وانتم الفقرا وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم والاحاديث
في ذلك كثيرة منها الحديث الصحيح هلك
المكثرون هم الاخسرون فقال ابو ذر من هم •
يا رسول الله قال هم الاكثرون اموالا الا من قال
هكذا وهكذا اي الا من انفقها من وجوه الخير
وجا بسند جيد اخلاء ابن ادم ثلاثة • واحد
يتبعه الى قبض روحه فالثاني الى قبره والثالث
الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه ماله
والذي يتبعه الى قبره اهله فالذي يتبعه:

الي

الى محشره عمله • ومنها نعم المال الصالح للمرء الصالح • ومنها
اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا • ومنها اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا • ومنها تعس عبد الدرهم • تعس
عبد الدينار تعس وانتكس وفي رواية واذا شيك
فلا انتقش • ومنها اياكم والشح فانما هلك من كان
قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا
وامرهم بالقطيعة فقطعوا • وجا بسند لا يدخل الجنة بخيل
ولا خب اي لئيم وهو بجيم مكسورة موحدة ولا خاين
ولا منان ولا سيئ الملكة اي الذي يسوء عشرة مماليكه بغير
حق • وجا بسند جيد شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع
ومنها ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان
والفقير المختال • ومنها خصلتان لا يجتمعان في مومن
البخل وسوء الخلق • ومنها لا يجتمع الشح والايمان في
قلب عبد • ومنها قال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه اما انك اول من يدخل الجنة من
اغنيا امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ونقيح الحاكم
حبوا يا ابن عوف انه من الاغنيا ولن تدخل الجنة الا زحفا
معترض بان في سنده من ضعفه الجمهور وروى
الطبراني والبيهقي وابن ابي حاتم والطبري وابن مردويه
والباوردي وابن السكن وابن شاهين والعسكري
وآخرون قال الحافظ السخاوي بسند ضعيف
جدا اكثرة مال ثعلبة بن ابي حاطب الذي نافق وكفر
بسببها بعد ان كان من مشاهير الصحابة وليس هو
البدري بان هذا قتل باحد واسمه ابن حاطب
بلا ابي وحاصلها انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تؤدي حقه او قال لا تطيقه فاعاد السؤال
فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة اما ترضى
مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو سالت ان تسير
معي الجبال ذهبا لسارت فقال والذي بعثك بالحق
نبيا لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي
حق حقه ولافعلن ولافعلن فقال اللهم ارزق ثعلبة
مالا فاتخذ غنما فنمت الى ان ضاقت عنها المدينة

قصة ثعلبة

فتنحى بها فكان يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة
النهار فقط ثم نمت حتى انقطع عن الجماعة والجمعة فسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فأخبر عن حاله فقال
يا ويح ثعلبة ثلاثا ثم أرسل صلى الله عليه وسلم عاملين
على جباية الزكوات وقال مروا بثعلبة وبفلان رجل من
بني سليم فأتيا ثعلبة وقرآ عليه كتاب رسول الله صلى الله
وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه
إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا
ثم تعودا إلي فانطلقا نحو السلمي فأعطاهما خيار
ماله ثم رجعا لثعلبة فقال هذه الجزية انطلقا حتى
أرى رأيي فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
حين رآهما من بعيد يا ويح ثعلبة فأخبراه بما صنع
فأنزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الآية فأخبره
قريب له بذلك فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن
أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك
فلم تطعني فرجع فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء بها لأبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم لعمر فلم يقبلها
ثم لعثمان فلم يقبلها وهلك في زمنه فانظر طغيان
المال وما يؤول له عند من الآفات أعاذنا الله تعالى منها
بمنه وكرمه **ومن الأحاديث الواردة في فضل
السخا** الحديث الصحيح سئل صلى الله عليه وسلم
أي الأعمال أفضل فقال الصبر والسماحة وحسن
الخلق • وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى اطلبوا الفضل من الرحما من عبادي تعيشوا
في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه
من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي •
وصححه الحاكم واعترض بأنه ضعيف • وصح أن الله
كريم يحب الكريم ويحب معالي الأمور والأخلاق وفي
وفي رواية مرسلة إن الله جواد يحب الجود ويحب
معالي الأمور ويكره سفسافها • وصح طعام الجواد

دوا وطعام البخيل داء • وصح أن الله عز وجل جعل للمعروف
وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله
ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما
يسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به
أهلها • وصح كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
زاد أبو يعلى والله يحب إغاثة اللهفان • وروى
الطبراني وغيره تجافوا عن ذنب السخي فإن الله
آخذ بيده كلما عثر وفي رواية أقيلوا السخي زلته ورواه
ابن الجوزي في الموضوعات والحق أنه ضعيف •
ومثله خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما
الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن
الخلق والسخا وفي رواية فالشجاعة والسخا •
وأما اللذان يبغضهما الله عز وجل فسوء الخلق والبخل
وإذا أراد الله بعبد خيرا صير أمور الناس إليه وفي
رواية استعمله على قضاء حوائج الناس • ومثله لكنه
ضعيف جدا السخا شجرة في الجنة من كان سخيا •
أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن
حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار من كان
بخيلا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن
حتى يدخله النار • وإن الله تعالى يباهي بمطعم
الطعام الملائكة • ومثله إن لله عبادا يخصهم
بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد
نقلها الله عز وجل وحولها إلى غيره • ومثله الجنة
دار الأسخياء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات
ورد بأن له طرقا أخر ضعيفة • ومثله اصنع المعروف
إلى من هو أهله وإلى من ليس من أهله فإن أصبت أهله
أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله •

فوائد تتعلق بهذه الأحاديث الأولى
منها في الجمع بين ما جا في مدح المال وما جا في
ذمه اعلم أن الله تعالى سمى المال خيرا في مواضع
من كتابه وفي حديث نعم المال الصالح وكل ما جا في
ثواب الصدقة والضيافة والإحسان ونحوها
مفرع على المال لأنه وسيلة إليه • وفي حديث

عند البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء
على المال وفي الجمع ان المال ليس خيرا محضا من كل وجه
ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف في يد
المقاتل يقتل به معصوما تارة ويحميه اخرى.
او كحية في يد الشاكة فيها سم وترياق لكن سمها
اكثر واغلب واوحى للنفوس واذهب وكل ما هو
ذو وجهين كذلك لا يطلق مدحه الا على ما كان
وسيلة الى رضى الله تعالى وامتثال اوامره
من الواجبة والمندوبة وذمه على ضد ذلك.
وانما كثر ذمه لان الغالب انه يطغى صاحبه ويرديه
ويعميه ويصمه ويعجزه عن هذا لحبوا ان
لا يتخذه كنزا او ينوي صدقة لما يعقبه الله
من التكبر على الناس واستقلالهم وقطع
رحمهم ومنعهم والاعراض عن حالهم وكثيرا
ما يكون كثرة المال سببا لمزيد طغيانه باخذ
اموال الناس بالشوكة تارة وبالحيلة والمكر اخرى.
تنبيه يا من خولنا الله ان يطغيك الى ان تصير مثل
ثعلبة المنافق واعتبر واستحضر ان صحبته للنبي صلى الله
عليه وسلم ونسبه لم يفيداه شيئا بل كان دعاء النبي
له بكثرة المال عين الدعاء عليه بالبوار والهلاك.
واذا لم يفده شيئا انت اولى ونسبك واهوالك.
فاستعذ بالله من شر المال وطغيانه حفظنا الله واياك
بمنه واحسانه. وما احسن قول علي كرم الله وجهه
اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا
ادبرت فانفق منها فانها لا تبقى واذا اردت جمع
المال فعليك ان تنوي به ما لا حتى يزول عنك
عقابه ويكتب لك ثوابه ويخف عليك حسابه فقد
سبق ان حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب
والناس وان امروا بالاكتساب لكن امروا مع ذلك ان
يحفظوا ما امكنهم من غوائلها وما يؤدي اليه او يحمل
عليه من الاستغراق فيها المؤدي الى ترك الواجبات
فضلا عن الكمالات. **فانتبه** وتيقظ فانك لا احد
محاسبا عنك ولا انت مسؤول عنك وكيف بك وانت
تقول يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة

الا احصاها

الا احصاها اي من جميع الاقوال والافعال والاحوال من لدن
تكليفك الى موتك الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم
ربك احدا. **ومما يعينك على كل خير** دنيوي واخروي
ان تتناسى احوال مواد الطمع من نفسك وتستفرغ جهدك
في يأسها من كل ما في ايدي الناس وعدم تطلعها اليه بوجه
وحينئذ تنتفي عنك عوائد القواطع لدينك. والموانع
لكمالك ونفسك من الحسد والعداوة والبغضاء والتكالب
على الدنيا ومنازعة اهلها فيها كانت احوالهم وغير
ذلك مما لا يحتاج في التدبر عنه الى بيان واقامة دليل
وبرهان. فهذا مثلا اكثر العقول بتلك الادلة والبراهين
ولكن الامتثال متوقف على قهر النفس وذلها عن
اخلاقها الناقصة وفقنا الله لذلك. **الثانية**
في اثار عن السلف توافق ما مر رفع علي كرم الله وجهه
درهما على كفه ثم قال اما انك ان لم تخرج عني لا تنفعني
ويوافقه من الحديث السابق ليس من مالك الا اخره
وقيل لامير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في
مرض موته تركت اولادك وهم ثلاثة عشر ليس لهم
درهم ولا دينار فقال لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حق
لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله
كافيه وهو يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي
بما وقع. وقيل لمحمد بن كعب القرظي وقد اصاب مالا
كثيرا لو ادخرته لولدك فقال لا ولكن ادخره لنفسي
عند ربي وادخر ربي لولدي. وقال يحيى
ابن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون
بمثلهما للانسان عند موته يؤخذ منه كله ويسأل
عنه كله. ورفع رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما
رقعة فقال لم تقرأها قضيت حاجتك فقيل
له كيف ولم تقرأها فقال خشيت ان يسألني الله
عن ذل مقامك بين يدي حتى اقرأ رقعتك. وقال
ليس السخي من يبذل ما له لطالبه انما السخي من
يبتدي باعطاء حقوق الله تعالى لاهلها عنه
غير طالب منهم ثناء وشكرا وكان انتزع هذا من قوله
تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا

وكتب الى اخيه الحسين رضي الله عنه يعيب عليه في اعطاء
الشعرا فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض فتامل •
هذه الكلمة العظيمة العذر من هذا الامام الجليل
فتعلم انه ينبغي للعاقل ان يقي عرضه ويصون مروته
من ان يخاصم اجنبيا فضلا عن رحم فضلا عن اخ فضلا •
عن اب في شي من الحطام الفاني بل ينبغي ان يحلم عليه
ما امكن ويلينا محذورا قدر ليلا تنخرم مروته ويمتهن
عرضه وتشتهر سيئته فتلوكه السنة الخاص والعام •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن
امرها ان تتزين ثم قال وعزتي لا اسكننك بخيلا •
وقال ابن عمر رضي الله عنهما الشح اشد من
البخل لان الشحيح يشح بما في يد غيره حتى ياخذه
ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل يبخل بما في يده •
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه اني لا ارى ان اعدل
بخيلا اي لا اقول انه عدل لان بخله يحمله على الاستقصا
فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن ومن كان هكذا
لا يكون مامونا • وقال يحيى بن معاذ لا يزداد
القلب للاسخيا الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء
الا بغضا وان كانوا ابرارا اي في صورة الابرار •
والا فدا برتم البخل الثالثة في بيان حد
البخل والسخا اما البخل فقد اختلفت فيه عباراتهم
والحق انه على قسمين شرعي وعرفي فحده شرعا
منع الواجب فكل من ادى الواجبات عليه من ماله
فليس ببخيل وان بلغ ماله من الكثرة ما بلغ ولو •
اشتهر امساكه وشحه عند الناس فلا عبرة بذلك
لان الامور الشرعية لا توثر فيها الامور العرفية •
وحده عرفا منع كل معروف مما يندب اليه الشارع •
ومما يليق بالمروات المتعارفة عند العقلاء
بالنسبة لحال المودي يسارا وعكسه والمودى اليه
قرابة وصلاحا وحاجة واما الجود فاختلفت
عباراتهم فيه والاصح انه حالة محمودة متوسطة
بين وجوب البذل ووجوب الامساك وهي المشار
اليها بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك

الامور الشرعية لا توثر فيها الامور العرفية

عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا وبقوله •
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواما فهو ان تبذل ما فوق واجب البذل الى ان
لا يصير الى التبذير ويعتبر مع ذلك في السخا وهو اشد
الجود ان تكون نفسه راضية بالبذل مطمينة اليه غير
ناظرة لمنة او ثنا وشكر والحاصل من ذلك ان لا يتعلق قلبه
بالمال الا من الجهة التي يراد بها المال شرعا للتصرف
فيها الرابعة في حكايات الاسخيا والبخلا منها انه جا
الى عايشة رضي الله عنها من معاوية رضي الله تعالى عنه
مائة الف وثمانون الف درهم فقسمتها قبل الغروب
ثم افطرت على خبز وزيت فقالت لها جاريتها هلا •
اشتريت لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني
لفعلت • وسال رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما فاطال
في الاعتذار اليه ليرضى بقليل ما عنده لقلته ثم
حاسب وكلاه فاذا هو خمسماية دينار وخمسماية درهم
ثم لم يبق شي عنده اعطاه رداه ليبيعه في كرا
الحمالين لهذا المال • ومدح ابو مرثد بعض الكرماء
فقال للمادح ما عندي ما اعطيك ولكن ادع علي •
بعشرة الاف واحبسني فان اهلي لا يتركوني ففعل
فما امسى الا وهي معه • وقدم رجل الى معن بن زايدة
فلم يظفر به فكتب اليه على خشبة •
ايا جود معن ناج معنا بحاجتي • فما لي الى معن سواك شفيع
ثم ارسل الخشبة مع الما فظفر بها معن فطلبه فاعطاه
عشرين بدرة وجعل الخشبة تحت بساطه ثم اخرجها
ثاني يوم واعطاه الفا ثم ثالث يوم ليعطيه ذلك
فلم يوجد فقال معن والله لو بقي لا زلت اعطيه •
حتى لا يبقى في بيتي مالي شيا • وخرج الحسنان وعبد
الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا فمروا •
بعجوز فيه شاة فسالوها فسقتهم لبنها ثم
ذبحتها لهم فامروها اذا رجعوا ان تاتي اليهم فدخلت
المدينة فراها الحسن فعرفها فاعطاها الف شاة
والف دينار ثم ارسلها للحسين فاعطاها مثله ثم
لعبد الله بن جعفر فاعطاها مثلهما وقال

لو يدان بي لا تغيبهما ترجعت باربعة الاف شاة واربعة الاف
دينار • ومر بزيد بمقعد في طريق فقال له اعطني علي
الدهر فقال لغلامه ادفع اليه ما بقي من النفقة •
وهي في حجره اربعة الاف درهم فبكى فقال له لم ذا استقللتها
قال لا ولكن تذكرت ما ياكل الارض من كرمك • واشترى
بعضهم دارا بسبعين الفا فسمع بكاء اهلها فرجعهم اليها ووهب الدراهم
والدار • وكان دخل الليث بن سعد في كل يوم الف دينار
ومن ثم لما ارسل الرشيد لمالك بن انس خمسمائة دينار
وارسل اليه الليث الفا فغضب الرشيد فقال يا امير
المؤمنين مدخلي كل يوم الف دينار واستحييت ان اعطي •
مثله اقل من مدخل يوم • وكان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق
على ثلثمائة وستين مسكينا • ومرضت شاة الاعمش
فكان بعض اصحابه ياتي اليه في صورة عايد لها ويضع
تحت وسادته شيئا فما شفيت الشاة حتى وصل اليه
منه ثلثمائة دينار حتى قال الاعمش تمنيت ان الشاة
لم تبرأ • ومرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه
في عيادته فقيل انه لك عليهم ديونا وانهم يستحيون •
منك فامر مناديا ينادي كل من عليه حق • ولما مرض
الامام الشافعي رضي الله عنه مرض موته وصى ان فلانا
يغسله فلما حضر امر باحضار تذكرته فاذا فيها سبعون •
الف دين على الشافعي فقضاها عنه ذلك الرجل •
وقال هذا غسلي اياه • وقدم من صنعاء الى مكة بعشرة •
الاف دينار فضرب خباءه خارجها وجعل كل من دخل عليه •
يعطيه قبضة حتى نفذت فقيل انه يصلي الظهر وانشد •

ارى نفسي تتوق الى امور • يقصر دون مبلغهن مالي •
فنفسي لا تطاوعني ببخل • ومالي لا يبلغني فعالي •

وبكى علي كرم الله وجهه فقيل له فيه فقال لم ياتني ضيف
منذ سبعة ايام واخاف ان يكون الله اهانني •

واما حكايات البخلا ان بعضهم دعي الى طعام لذيذ
فاكثر منه حتى اغمي عليه فجيء له بالطبيب فقال له
تقاياه والا هلكت فقال لا وان هلكت • وخرج
بعضهم للخليفة فقالت له امرأته ان رجعت بالجائزة
فلي عليك فقال لو اعطيت مائة الف فلك علي درهم

فاعطى

فاعطي سنتين الف فاعطاها ثلثي درهم • واضاف بعضهم
صديقا له فمكث الى العصر فاشتد جوعه فجاء بالعود
وقال له اي شيء تشتهي من الاصوات ان اسمعك فقال
صوت المقلى **فايدة** قال اسحاق الموصلي دخلت
على الرشيد يوما فانشدته هذه الابيات •

ارى الناس خلان الجواد ولا ارى • بخيلا له في العالمين خليل
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري • فذلك شيء ما اليه سبيل
واني رأيت البخل يزري باهله • فاكرم نفسي ان يقال بخيل
ومن خير حالات الغنى لو علمته • اذا قال شيئا ان يكون ينيل
عطائي عطاء المكثرين تكرما • ومالي كما قد تعلمين قليل •
وكيف اخاف الفقر او احرم الغنى • ورأي امير المؤمنين جميل •

فقال هارون لا كيف ان شاء الله تعالى يا فضل اعطه
مائة الف درهم لله در ابيات تاتينا بها ما اجود •
اصولها واحسن فصولها فقلت يا امير المؤمنين كلامك
احسن من شعري فقال يا فضل اعطه مائة الف اخرى
خاتمة لهذا البحث ينبغي بسط مهم يتعلق بالفايدة
الاولى اعلم انه ورد في مدح المال وذمه احاديث
مشكلة الظاهر يكثر السؤال عن اسانيدها ومعناها
منها قوله صلى الله عليه وسلم اللهم من امن بي وصدقني
وعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فاقلل ماله
وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم
يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به هو الحق
من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره • مع دعائه
صلى الله عليه وسلم لخادمه انس رضي الله تعالى عنه
بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان • وكذا
قال صلى الله عليه وسلم لهند قبيلة من اليمن اللهم
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها
في الدثر وافجر لها الثمد وبارك له في المال والولد
اما الحديث الاول وبالجملة فالمقام خطر اذا تقرر
الكلام على هذا الحديث وتوابعه فالجمع بينه وبين
الدعا لانس بان الله يكثر ماله وولده علم بما تقرر
ان المال لا يطلق القول بمدحه ولا بذمه لانه يكون
وصلة للخير ووصلة للشر وكذا الولد فالمدعو به

لأنه هو المأخوذ من وجه حل المصروف في الخيرات • وهكذا
مراد من قال يحتمل ان يكون مع دعائه له بذلك قد ترتب
لا ينال به من قبله ذلك متعذر لأن المعنى في كراهية اجتماع
كثرة المال والولد انما هو لما يجتنى في ذلك من الفتنة
بهما والفتنة بهما لا يؤمن بعدها الهلكة انتهى •
والمذموم انما هو لمن لم يجبه صلى الله عليه وسلم هو
المأخوذ بوجه حرام او المنفق في حرام او المكتنز
الذي لا يؤدي حق الله تعالى منه والمعنى الاول
هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم لا خير في
من لم يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به عن امانته
ويستغني به عن خلق ربه اي لا خير فيمن يحبه
لغير هذه الخصال وانما الخير فيمن يحبه لها •
ومن ثم قال ابن المسيب لا خير فيمن لا يجمع
المال فيستغني به دينه ويصل به رحمه ويكف به
وجهه • واخرج احمد وابن منيع في مسنده بسماع عن
عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال •
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لك من جيش
يغنمك الله ويسلمك وارغب لك من المال
الصالح رغبة يا عمرو نعما بالمال الصالح للمرء
الصالح وفي لفظ عند مسلم وغيره نعم المال
الصالح للرجل الصالح • وفي حديث عند الديلمي
نعم العون على تقوى الله المال • واخرج
الطبراني قيل يا رسول الله ما في امتك [illegible]
قال رجل اعطي مالا حلالا ورزق فيه سماحة
وصح ذهب اهل الدثور بالاموال بالدرجات
العلى الحديث وفي اخره ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء فعلم ان الخير كل الخير في مال يصل
من حل ولم يزل ذلك [illegible] من كبر ثم يوفق
فيه للقيام فيه بجميع حقوق الله وحقوق العباد
الواجبة والمندوبة ولم يزل ذلك [illegible] تفاخرا او
تعاظم على الغير او تعويل عليه فالمال في يدك او انفاق
في باطل وكم من غني [illegible] بذلك وارد بد منه
كثير من الانبياء الاخيار الى ما صح من قوله

بنبينا

بنبينا صلى الله عليه وسلم ثنا على ايوب عليه السلام •
بينما ايوب عليه السلام يغتسل عريانا خر عليه •
رجل جراد من ذهب فجعل يحثوا في ثوبه فناداه
ربه عز وجل يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى فقال
بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وفي لفظ ومن
يشبع من رحمتك او من فضلك • وكثيرين من
الصحابة كعثمان وابن عوف والزبير وطلحة
العليا رضي الله عنهم • ومن الاولياء الصالحين
والعلماء العاملين • ومما يدل على سعة مال
ابن عوف ان ربع ثمن تركته ثمانون الف دينار
وقيل اخذت كل من زوجاته وكن اربعا مائة الف
درهم واوصى بخمسين الف دينار وبالف فرس •
في سبيل الله ولامهات المؤمنين بحديقة بيعت
باربعمائة الف ولمن بقي من اهل بدر كل رجل
اربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذوها حتى
عثمان مع غناه وذلك كله بعد صدقاته التي •
لا تنضبط في حياته لا سيما العتق حتى قيل انه
جملة ما اعتقه ثلاثون الفا من العبيد وتصدق
مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل
كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
واحلاسها كل ذلك ببركة دعائه صلى الله عليه
وسلم له بالبركة • وممن دعا له صلى الله عليه
وسلم بالبركة فكان عنده غاية الاموال
المقداد رضي الله عنه • وكذلك عروة بن ابي
الجعد فكان يقوم بالكناسة من الكوفة فما يرجع حتى •
يربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه • وفي حديث
عند ابن عبد البر من رزق الدنيا على الاخلاص
لله وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلاة
واتى الزكاة مات والله عنه راض • واعظم من
ذلك ان خزائن الارض حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين فاخذوها ووضعوها في مواضعها زمنا
هربوا منها لاستواء الحجر والذهب عندهم سواء ولنظرهم الى انهم

خلفنا الله في تقسيم الارزاق كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا
قاسم والله يعطي ولذا كان عمر رضي الله عنه يقول من اراد ان
يسأل عن المال فليأتني فان الله تعالى جعلني خازنا • وكان
من السلف من يتجر بقصد القيام بمؤنة العلما والمحدثين •
كابن المبارك فانه كان يقول للفضيل لولا انت واصحابك اي
السفيانان وابن علية وابن السماك ما اتجرت وكان ينفق
على الفقرا في كل سنة مائة الف درهم ولما بلغه ان ابن علية
ولي القضا قطع عنه صلته فكتب اليه فذكرت مستنظر البزل
فقطعته عني فما ارايت مني فكتب اليه

يا جاعل العلم له بازيا • يصطاد اموال المساكين •
احتلت للدنيا ولذاتها • بحيلة تذهب بالدين •
فصرت مجنونا بها بعدما • كنت دواء للمجانين •
اين رواياتك في سردها • في ترك ابواب السلاطين •
اين رواياتك فيما مضى • عن ابن عون وابن سيرين •
ان قلت اكرهت فذا باطل • زل حمار العلم في الطين •

فلما وصلت اليه هذه الابيات قام من مجلس القضا ومر
الى الرشيد فقال له الله الله ارحم شيبتي فاني لا اصبر
على القضا فاعفاه فجهز له ابن المبارك الصلة رضي الله
عنهما • ومن الحديث من كانت الاخرة همه جعل الله
غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راغمة
ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه
وفرق عليه شمله ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له

تنبيه لم يقتصر صلى الله عليه وسلم في الدعاء
لانس وغيره على طلب الاكثار لهم فقط بل ضم الى ذلك
طلب البركة فيه المقتضية من طلبه عدم الافتتان به •
والركون اليه وادخار شي منه عما يطلب صرفه فيه
وكون الاموال والاولاد فتنة اي فتنة منصوص عليه
في القرآن في عدة آيات وكذا في الاحاديث الالهية •
منها يقول الله عز وجل ابن ادم ما خلقت هذه الدنيا
الا محنة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله مستخلفكم
فيها فناظر كيف تعملون • وقال ايضا لكل امة فتنة وفتنة
امتي المال • وقال ان الدينار والدرهم اهلكا من كان
قبلكم وانهما مهلكاكم فانظروا كيف تعملون • وقال

صلى الله



صلى الله عليه وسلم لجرير بن جرير يا جرير اني احذرك الدنيا وحلاوة
رضاعها ومرارة فطامها والمعنى الثاني هو المراد من قوله •
صلى الله عليه وسلم ورب متخوض في مال الله عز وجل ورسوله
له النار يوم القيامة • ومن قوله ان الله تعالى يحمي عبده المؤمن
من الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب • ومن
بقية الاحاديث الواردة في ذم المال ومن جملة ما مر •
والحاصل ان خيرية المال وشره ليست لذاته بل
بحسب ما يتعلق به وقد اشار صلى الله عليه وسلم
الى الفرق بين المال المحمود والمال المذموم بقوله
ان المكثرين هم الاقلون يوم القيامة وفي رواية هم
الاخسرون وفي رواية هلك المكثرون الا من قال
بالمال هكذا وهكذا وحثى بين يديه وعن يمينه وشماله
وقليل ما هم • ويوافق ما تقرر من الفرق ما في شفاء
القاضي عياض قال وانظر سيرة نبينا صلى الله عليه
وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض
وجبيت له الاموال من كل جهة من جزيرة العرب
وما دانا ها من الشام والعراق ما لا يجبى لغيره
من الملوك الا يعمه فما امسك لنفسه شيئا وما امسك منه
درهما بل صرفه في مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت •
عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني **وقال**
ابن عبد البر ما حاصله ان كل ما ورد في ذم المال
محله عند اهل العلم والفهم ان اكتسب من حرام •
او انفق فيه اذ لم يؤد ما وجب عليه فيه فهذا هو •
المال المذموم والكسب المشؤم واما اذا اكتسب •
بوجه حل وصرفه في مصارفه الشرعية فهذا هو
المال المحمود الممدوح كاسبه ومنفقه لا خلاف
بين العلما في ذلك ولا يخالف فيه الا من جهل
امر الله تعالى • وقد اثنى الله تعالى في كتابه الثنا
على المنفقين لاموالهم في سبيل الخيرات وكذلك
السنن الصحاح ناطقة بهذا المعنى وهو الثابت
عن الصحابة فانه بحيث دفتها المصحف • واعلم
ان الناس مختلفون منهم من تصلحه الدنيا ويصلح

عليها فلا يزداد بها الا فضلا وتواضعا كما هو مشاهد في افراد
قليلين وقد كان انس رضي الله عنه يقول اللهم اني من عبادك
الذين لا يصلحهم الا الغنى • وقيس بن سعد بن عبادة يقول
اللهم ارزقني مالا وفعالا فانه لا يصلح المال الا بالفعال
والفعال لا الا بالمال اللهم اني لا يصلحني القليل ولا اصلح
عليه • وقال الحسنان لابن عمهما جعفر انك قد اسرفت
في بذل المال فقال بابي انتما وامي ان ربي قد عودني •
ان يتفضل علي وعودته ان اتفضل على عباده فاخاف
ان اقطع العادة فيقطع عني • ومنهم ذوي الاصل
رذي الطباع والحمق بما في تدبيره فهذا لا يصلحه المال
ولا يصلح عليه ويؤيد هذا الاختلاف ما روي من قوله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان من عبادي
من لا يصلح ايمانه الا بالغنى ولو افقرته لافسده ذلك
وان من عبادي لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته
لافسده ذلك **ومن هذا** حديث الابرص والاقرع
والاعمى الذين اغناهم الله تعالى بعد شدة فقرهم
ثم مجيء الملك اليهم يسألهم شيئا فابى الاولان
واعطاه الاعمى وشكر نعمة الله تعالى عليه فقال
له الملك امسك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك
وسخط على صاحبيك • ومن الاجوبة عن دعائه صلى
الله عليه وسلم لانس بكثرة المال والولد انه ليس
المراد كثرة ما في اليد لاحتمال ان يريد ان يتجدد
له كل يوم مال كثير وهو ينفقه اوله فاوله ومن ثم
روى احمد ان امه قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو عندها بكل تمرا وسمنا خادمك انس ادع له
وقيد انه ما ترك خير آخرة ولا دنيا الا دعا له به
وقال اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له فيه قال
انس فما من الانصار انسان اكثر مالا مني وذكر
انس انه لا يملك ذهبا ولا فضة غير خاتمه وحينئذ
فلا ينافي هذا ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا لان المحذور اذا كان
بقدر المدخل بحيث له يتخلف منه شيء فهو قوت بمعنى
انه بقدر الكفاية وليس فيه زيادة عليها • ومع ايضا

قوله

٢٢

قوله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان اردت اللحوق بي فليكفيك
من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا •
تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه • ورواية ان ابنا للشافعي
رضي الله عنه قدم من اليمن الى مكة ومعه عشرون الف
دينار فلم يصل الظهر حتى فرقها كلها فارسل اليه هارون
الرشيد بخمسة الاف دينار فاعطى شيخا حلق رأسه خمسين
دينارا ثم فرق الباقي في العشيين ولم يرجع الى بيته
الا فلس ما به دينار **ومن الاجوبة** عن حديث انس
انه يحتمل ان الكثرة المدعو له بها في المواشي او الزرع
او الغرس لان ذلك من اكثر اموال الانصار الذي قال
رضي الله عنه انه من اكثرهم مالا ويؤيده ما مر عنه انه
لا يملك ذهبا ولا فضة غير خاتمه وورد انه كان له
بستان يحمل في السنة مرتين وكان فيه ريحان يجيء
منه ريح المسك • وروى البخاري في الادب المفرد عنه
انه قال ان امي لما قالت خويدمك انس الا تدعو له
قال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر له
فدعا لي بثلاث قد دفنت مائة وثلاثة وان ثمرتي
لتطعم في السنة مرتين وطالت حياتي حتى استحييت
من الناس وارجو المغفرة • وجاء فيه على ارضه فقال
يا ابا حمزة عطشت ارضك فخرج الى البرية ثم صلى
ثم دعا فثارت سحابة وغشيت ارضه •
وامطرت حتى ملأت صهريجا له وذلك في الصيف •
فارسل بعض اهله فقال انظروا ما اذا بلغت فاذا هي
لم تعد ارضه **ولا يرد عليه ما سبق** ان المال قد يكون
خيرا كله وقد يكون شرا كله وقد يكون خيرا من وجه وشرا
من وجه لكنا هنا كثير به له وان كان حلالا وذلك لانهم خافوا
من فتنته فانه قل من بسطت له الدنيا فسلم منها ولو لم يكن
في الحلال الا الحساب عليه لما صح في الحديث انه لا تزول
قدما صاحب مال يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من اين
اكتسبه وفيم انفقه • ولذا جاء عن ابن عباس مرفوعا يا ابن
آدم ما تصنع بالدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب • وجاء
ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو
خمسمائة عام • وعكس هذا قوم منهم سفيان الثوري فانه

كان يقول لان اخلف عشرة آلاف درهم احاسب عليها احب الي من
ان احتاج الى الناس وكانه اخذ هذا من قوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح لسعد بن ابي وقاص انك ان تذر
ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس
وانك لن تنفق نفقة الا اجرت فيها الحديث • ومن قوله
صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك حين استشاره في
الخروج من ماله امسك عليك بعض مالك فهو خير لك
وقال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة يا بني •
عليكم بالمال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم •
وعن سفيان ايضا المال في هذا الزمان سلاح المؤمن
وعن سفيان بن عيينة من كان له مال فليصلحه •
ومن روايته عنه فليصلحه وليكنه فانكم في زمان •
من احتاج الى الناس فيه كان اول ما يبذله لهم دينه قال
الحافظ السخاوي بعد ذكره ما مر وكان السفيانين •
اشارا الى ما يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال •
اذا كان اخر الزمان لا بد للناس من الدراهم والدنانير
يقيم الرجل بها دينه ودنياه ونحوه يأتي على الناس
زمان من لم يكن معه اصفر ولا ابيض لم يتهن بالعيش
وكان سعيد بن المسيب يقول اللهم انك تعلم اني لم اجمع •
المال الا لاصون به حسبي وديني • وقال عمر رضي الله
عنه يا معشر الفقراء استبقوا الخيرات وابتغوا من
فضل الله ولا تكونوا عيالا على الناس • وقال
ابو الدرداء من فقه الرجل اصلاح معيشته ولاجل
ذلك ذهب كثيرون من العلماء الى تفضيل الغني الشاكر •
على الفقير الصابر بصريح الحديث المشهور السابق
بقوله ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى **ثالثها**
الغضب • والحقد • والحسد • وهذه من نتايج الغضب
فاحتيج الى معرفة حقيقة كل من الثلاثة ثمرته ونتيجته
وذمه ودوائه • اعلم ان ما وقع بين الاقارب
من العداوة والبغضاء والتقاطع انما نشأ اولا •
عن محبة الدنيا والبخل بها وثانيا من الغضب لاجل
فقدها المترتب عليه الحقد وثالثا عن الحسد •
بينها فاحتجنا اولا الى بيان ذم الدنيا والبخل بها •

وما

وما يتعلق بذلك لتضمنه الغضب اذ لا نجد الغضب ينبع •
غالبا الا عن التزاحم على الدنيا ومحبة الاستئثار بما •
والبخل بشيء منها • ثم اذا وقع الغضب اثمر الحقد والحسد
وهما المهلكان المفسدان • اذ اول ذنب عصي الله
به الحسد والحقد لان ابليس اللعين لما رأى ما انعم الله
تعالى به على آدم عليه السلام حقد عليه وبغضه ثم حسده
حتى خالف امر ربه له بالسجود فامتنع ولم يبال ما حق
عليه من العذاب الابدي واللعن السرمدي وغضب
الله الاعظم وعقابه الاكبر الا [illegible] • وقد انكشف •
للناظر بهذا التحقيق ان الانسان ينزع منه عرقه •
الى الشيطان اللعين ليستفزه لان الغضب الى ان •
يقوى فيه يجليه بما تخلق به الشيطان حين قال
خلقتني من نار وخلقته من طين فتقلب الى الملحقا •
والفخر بما هو عين النقص اذ الطين افضل العناصر
واشرفها لان من شانه الانبات والصلاح والانماء
والحياة والثمرة الطيبة والخضراوات العجيبة •
المختلفة والرزانة والسكون • ومن شان النار
الاستعار والخفة والطيش والاهلاك والاعدام
فعلم ان الغضب ونتيجته المذكورتين كل منهما •
يخرج الانسان عن حس انه عند الله ويتبع الانحراف
المودي الى عطبه وهلاكه فاشتدت الحاجة الى •
معرفة ما هو شر ليحذره الانسان ويتجنبه •
ويحبطه عن قلبه الذي اذا صلح صلح الجسد كله واذا
فسد فسد الجسد كله **فاما الغضب** فقد روي في ذمه
ما هو مشهور عند اكثر الناس فلا يحتاج الى استقصا
ما فيه لان الصفوة اجمعت على ذمه ونتيجته من حيث
هو • ومن ذلك قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته •
على رسوله وعلى المؤمنين ذم الحمية من نتيج ذم •
الغضب ومدح الرضى بما لا يخفى عظيم وقعه على من •
عنده ادنى تامل للفظ الحمية المأخوذ من الحمو •
المنبي عن شدة نار الغضب وعظم استعارها المودي •
الى الاهلاك لصاحبها وللمغضوب عليه ولا ما فيها

للجاهلية ولذم الكفار عليها المؤذن بان هذه الحمية
المنقبحة الجاهلية من شأن الكفار دون المؤمنين
ممن فوضت عليه واستحكمت فيه خرج عن كمال
المؤمنين الى نعت الكافرين واتصف بما هو حقيق
بهم فتأمل ذلك فانك لا تجد لنفسك اوزع عن
غضبهما من ذلك مع ما يأتي بعضه وللفظ السكينة
الماخوذة من السكون والهدو المنبئ عن غاية
الرضا والحلم والانعام والاحسان والتوصلة
والوفاء ولو طاف فيما الى الله تعالى ولهذا المتوكل
بها من منا بلذا الحمية للجاهلية ولكون الذين
كفروا هم الجاعلين لهذه الحمية الذميمة في
قلوبهم وشتان بين سكون انزل الله تعالى منزل من
عنده وسكون للجاهلية ممتزل من الكافرين
وهذه الاشارات من هذه الاية الى اعظم قبح الغضب
واعظم مدح ضده ظاهرة جلية وان لم يتنبهوا
عليها فيما علمنا • ولو لم يكن من ذم الغضب ومدح
ضده الا هذه الاية لكفى فكيف وقد جاء في ذمه
ما لا يحصى كثرة • منها ان ابن عمر قال قلت
لي يا رسول الله قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب
فاعاد عليه ذلك ثم اعاد فاعاد عليه ذلك • واخذ
منها ابن المبارك قوله لمن طلب منه ان يجمع له حسن الخلق
في كلمة هو ترك الغضب • وان ابا الدرداء قال يا رسول
الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب • وقال
جعفر الصادق الغضب مفتاح كل شر • فاذا علم ذم الغضب
فحقيقته قوة في القلب خلقت من نار كامنة تغلي منها
دم لطلب الانتقام ممن هو دونه ثم اذا خالف عزمته
ثم قبل الوقوع يكون ذا فعال للمؤذي وبعده يكون تشفيا
من فاعله ويكون شأن النار الارتفاع علت الى اعالي
البدن فاحمر منها الوجه والعينان وانتفخت الاوداج
واضطرب البدن فلا يسكن الا بالانتقام فان
كان الغضب على من يتعذر الانتقام منه تولد منه
انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب فاصفر
اللون ونحزن الاعضا وصار ذلك حزنا • ثم

الناس في هذه القوة على ثلاثة اقسام اما تفريط
بان تفقد او تضعف هذه القوة او تفقد الحمية وذلك
مذموم لمنافاته للكمال ومن ثم قال الشافعي من استغضب
فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان
ولولا الغضب لله لم يؤمر احد بجهاد ولا بامر بمعروف
ولا نهي عن منكر ودفع صائل وحد وتعزير لمرتكب
ما يوجب ذلك • واما افراط بان تغلب هذه القوة
حتى تخرجه عن كمال سياسة العقل والدين • واما
اعتدال وهو الامر الوسط بين تينك المرتبتين •
بان تنتظر تلك القوة اشارة العقل والدين
وزعم من زعم ان الغضب لا يمكن علاجه اصلا باطل
فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا ولا لنفسه وانما
يغضب اذا انتهكت حرمات الله • وصح عنه انه كان اذا خطب
او ذكر الساعة عقبه فيشتد غضبه حتى تحمر عيناه ويعلو صوته
وكان مع شدة غضبه لا يجاوز حد الاعتدال ولا يقول الا حقا • وصح
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انما انا وفي رواية انما محمد
بشر يرضى كما يرضى البشر ويغضب كما يغضب البشر • وجاء عنه
ادوية ازالة الغضب
صلى الله عليه وسلم ادوية لازالة الغضب منها التعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ويتفل عليه ويجلس القايم ثم اضطجاعه ان لم يسكنه
جيد • ومما يستدعيه الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم
الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك
شيئا فليلصق خده بالارض اي لان من اعظم ادوية الغضب
التواضع لله والخوف من انتقامه • وفي رواية فاذا وجد احدكم
من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع
فان لم يزل بذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار
لا يطفيها الا الما • ومما يزيل الغضب ايضا التفكر في قوله
تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين • وان
يتامل ويستحضر ما جاء في فضايل وثواب كظم الغيظ قال
تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس اي ان الجنة
اعدت للمتقين الموصوفين بذلك • وما جاء في ثواب
وفضايل الحلم وهو افضل من كظم الغيظ لان كظمه تحكم
يحتاج لشدة مجاهدة في اطفا ما اشتعل في قلبه من
نار الغضب والحلم يمنع هذا الاشتعال من اصله • وروي

ابو داود متصلا او مرسلا لكن قال البخاري المرسل اصح ان
ابا بكر انتصر ممن شتمه فقام صلى الله عليه وسلم من المجلس
فقال يا رسول الله شتمني فسكت فلما تكلمت قمت
قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك
وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان
واخرج الحاكم وسلم يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم
ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي
واحلم عنهم فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان كما تقول
فكانما تسفهم المل اي الرماد الحار ولا يزال معك ظهير
من الله ما دمت على ذلك وما احسن قول علي رضي الله
عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان
يكثر علمك ويعظم حلمك وقال الشي من قولها لي اذ قبح
بالنبي هو احسن الا ينبغي هو الرجل بشتمه اتاه فيقول
ان كنت كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله
لي وشتم رجل علي بن الحسين فرمى عليه خميصة كانت
عليه وامر له بالف درهم فقيل قد جمع خصال الحلم
واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله
وحمله على الندم والتوبة وعوده الى المدح بعد الذم
وقال لقمان لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الاخ
الا عند الحاجة ولا الشجاع الا عند الحرب انتهى
تنبيه قال حجة الاسلام كل ظلم صدر من شخص
لا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة غيبة بغيبة
ولا سب بسب وكذا سائر المعاصي ثم نقل عن قوم انه
يجوز مقابلته بما لا يكذب فيه كقولك من انت وهل
انت الا من بني فلان ويا احمق لانه لا يخلو عن حمق
فيما بينه وبين ربه ويا جاهل اذ ما من احد الا وفيه
جهل ويا سيء الخلق يا صفيق الحلق يا ثلاب
الاعراض وكان ذلك فيه وكذا لو كان فيك حياء
ما تكلمت ويا احقر في عيني بما فعلت واخزاك
الله وانتقم منك **واما الحقد** فهو متولد من نتائج
الغضب وبيانه ان الغضب اذا كظم عجزا عن التشفي حالا
احتقن في القلب وصار منه استشعار البغضاء والنفرة
فيتمنى زوال نعمته ويديم هجره ويتكلم فيه بما لا يحل

ويعقه

ربيقة حقد من ملة ودم وكذلك حرام شديد التحريم
وتامل قوله صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود تعلم ان
بين الايمان اي الكامل والحقد غاية المنافاة والبعد
وانهما لا يجتمعان فاحذر ان يسلب عنك اسم الايمان
واسع في ازالة الحقد من اصله وتامل ما وقع للصديق
رضي الله عنه مع قريبه مسطح لما دهاه الشيطان فان مسطحا
كان من جملة من خاض في الافك مع كون الصديق يقوم به
وينفق عليه لفقره ولم ينظر لهذا الاحسان الواسع بل
سمح بمشي في الافك ولم يراع حق القرابة ولا حق
احسان ابي بكر وانفاقه عليه ولا فضله الباهر على
جميع الصحابة بل نزلت هذه الامور كلها نسيا منسيا وخاض
في افك ما يشين الطاهرة المنزهة المبراة مع من خاض
ممن اكثرهم منافقون مارقون من الدين فقصد الحالف
ابو بكر انه ما ينفق على مسطح ومع ذلك كله عتب الله تعالى
على الصديق في حقده وامره بعوده الى حقله والانفاق
عليه واشار له الى انه لا ينبغي لاهل الفضل ان يتركوا
فضلهم وصلتهم وان فعل معهم ما واشار له الى انه لا ينبغي
لاهل الفضل ان يتركوا افضالهم وصلتهم وان فعل معهم من
العظيمة وسوء الادب ما فعل فقال عز قائل ولا ياتل
اي ولا يحلف اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا
وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم
فتامل هذه الاية وما اشتملت عليه من مدح الصديق
بالعتاب وتاديبه بهذا التاديب اللطيف وتسميته اهل
الفضل والسعة الظاهرة والباطنة في العلوم والمعارف
ومن مدح مسطح وان جنايته لم تزل فضله وثوابه وهجرته
الى الله ورسوله ومن امر ابي بكر بالعفو بالباطن والصفح
بالظاهر عن مسطح وان اتى ما اتى من تلك الجناية
العظيمة ومن ملاطفة ابي بكر الملاطفة العظيمة الدالة
على عظيم قدره بقوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله
لكم فقال رضي الله عنه بلى احب ان يغفر لي واعاد
الى مسطح نفقته وتامل ايضا قوله ان يغفر الله لكم
فان فيه الاشارة الى ان الانسان من شانه انه

طبع على الذنب والجناية والتقصير والنقص المقتضي لطلب المغفرة من الله تعالى في كل احواله وان وصل من المراتب الرفيعة ما وصل • ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يستغفر في المجلس الواحد مائة مرة واذا كان هذا من شأن الله تعالى فينبغي له ان يعامل الناس معه بما يطلبه من ربه تعالى فكما انه يجني ويطلب من ربه العفو فكذلك اذا جني عليه ينبغي العفو عن الجاني ليعفو الله عن جنايته جزاء وفاقا • ومن تأمل هذه الآية وما اشتملت عليه من الاشارات والدلالات التي اشرت الى نزر يسير منها لم يبق في قلبه ادنى ذرة من حقد لاحد وان وصل اليه منه من الاذية والقطيعة ما وصل فينبسط لذلك واستحقره واسئل الله التوفيق للعمل فان فيه من الخير والبركة وعموم النفع والارشاد ما لا يحصى بل ينبغي لك ثانيا ان يزيد في الاحسان اليه ويرونها لمجاهدة لنفسه وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين • وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح اي العدو لان فيه زيادة في الصلة والاحسان وكسرا للنفس ومنعها من حظوظها **ومما يخفف عنك الحسد** او يزيله ان تعتقد وتلاحظ بقلبك ان الله تعالى عالم باحوال خلقه حكيم فيما يعطيه لهم قادر على ان يجعل الغني فقيرا والفقير غنيا منزه عن العجز والسهو والنسيان جزاء بينهم لانه ما امسكه منها عن خلقه فلحكمة وما اعطاه منها فلحكمة فاحذر ان تتهم الحكيم فان ذلك ربما سلخك عن الايمان بالكلية واراك الى فتح دركات الخسران الدنيوية • وقد مر عيسى عليه السلام برجل اعمى مقعد مجذوم السماء من فوقه والوادي من تحته والثلج عن يمينه والبرد عن شماله وهو يقول الحمد لله رب العالمين ثلاثا فقال عيسى يا عبد الله على ما تحمد وانت من هذا الحال فقال احمد الله الذي لم اكن ممن يقول انك الرب ابن الاله وثالث

ثلاثة

وان تعاديد النعم لا يمكن عدها م

ثلاثة • واعلم ان تعاديد النعم على العبد لا يمكن عدها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانما التي يمكن ملاحظتها اجمالا • وقد قيل لو اردت ان تشكر على نعمة النفس وحده لما احصيت شكرها اذ جملة الانفاس في اليوم والليلة اربعة وعشرون الفا وكل منها يقتضي شكرين لتعلقه اذ لو لم يخرج لهلك ولو لم يدخل لهلك فكيف لو تأملت نعمة الوجود ثم النعمة الحيوانية ثم الانسانية ثم نعمة العقل ثم نعمة الاسلام ثم نعمة العافية فهذه بعض جلائل النعم فلو اردت شكر واحدة منها لم تطقه فدم على الشكر فانك اذا لم تجتهد هذا فقط اذ لا يبلغ الحسد الا من قلبه ساه غافل عن الله تعالى ومقاتله وابانة عادم عقله ولبه وزمني بالشيطان وتبعه حتى لم يؤثر فيه وعظ واعظ ولا زجر زاجر فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **واما فضل العفو** فاعلم ان العفو احق من الحلم وكظم الغيظ لا يزيد عليهما اذ هو اسقاط الحق والابراء منه فوق المكافأة او غرامته ولاجل زيادة فضله قال تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين تقدمه على المقامين بعده اعلاما بذلك • وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا وما عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر • وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز لديك قال الذي اذا قدر عفى **فضل الرفق واللين** اعلم ان مما يلحق بالعفو الرفق في الامور ولين الجانب اذ هو محمود وضده العنف والحدة المنتجان للعنف والفظاظة لان الرفق واللين ينتجان حسن الخلق وقد بالغ صلى الله عليه وسلم في الثناء على الرفق فقال اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق • والترمذي تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب • وروى مسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه • واعلم ان الرفق ليس محمودا في كل الاحوال

قال الله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم • وقال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره
بيده • الحديث وإنما المحمود الوسط المعتدل بين اللين •
والعنف وإن كان الرفق محمودا في أكثر الأحوال
والكامل من يميز مراتب الرفق من مراتب العنف فيعطي
كلا منهما حقه ولا يتم ذلك إلا برعاية ميزان الشرع •
والأخلاق النبوية التي قال الله تعالى لنبيه بسببها
وإنك لعلى خلق عظيم **وأما الحسد** فينبغي
الكلام عليه وعلى ذمه وعلاجه أما ذمه فمن ذلك روى •
الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تحاسدوا •
ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد
الله إخوانا • والترمذي دب إليكم داء الأمم من قبلكم •
الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر
ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا
الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا •
أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم والطبراني
إن لهذه النعم حسادا فاحذروهم • وعن نبي الله •
زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال
الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي •
غير راض بقسمتي التي قسمتها بين عبادي •
واختلف السلف في أول ذنب عصي الله تعالى به فقيل
الحسد لأن إبليس ترك السجود لآدم حسدا له وقيل
الكبر لأنه تركه تكبرا عليه والأبين دخولهما لكل منهما ومنع ذلك
لأنه منع أنه حسده ثم تكبر عليه ففي الحسد دخل في سابقه •
بما حصل للعبد من المقت واللعن والطرد والكفر ودوام
العذاب وأليم الحجاب فما هذا الحسد وعواقبه وشؤمه •
ويكفيه لبيان قبحه ما أصاب إبليس وما أصاب قابيل
حين قتل أخاه هابيل حسدا فأداه حسده إلى أن استباح
دمه وهتك حرمته وعصى ربه فأصبح من الخاسرين
وكان رجل يقف بحذاء ملك وينادي أحسن إلى المحسن
بإحسانه والمسيء تكفيه إساءته فحسده رجل فقال
للملك إنه يقول إنك أبخر فقال كيف نتحقق أمره فقال إن الملك
سيدعوه ويأكل ثم عزم عليه وأطعمه ثوما فدعاه الملك

ليجد ثم

ليجد ثم فوضع يده على فمه مخافة أن يتأذى الملك فظن
أنه إنما وضعها لبخره فصدق فيه وكتب لعامله إذا أتاك
حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واملأ جلده تبنا وأرسل
به إلي فخرج بالكتاب فلقيه حاسده فأخبره بإنعام الملك عليه
ظنا أنه ينعم به عليه فأعطاه الكتاب فذهب به فقال
له إن فيه قتلك فقال ردوني أراجع الملك فقال ليس لكتاب
الملك مراجعة فذبحه وأرسل به فجاء الرجل ينادي كعادته
فعجب الملك وسأله فقال له الملك إنه قال إنك تقول إني
أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فمك وأنفك
قال كان أطعمني طعاما فيه ثوم قال صدقت ارجع إلى مكانك
كفاك بالمسيء إساءته **قال** ابن سيرين ما حسدت أحدا
على شيء لأنه إن كان من أهل الجنة فما أناله أعظم وأجل
وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على الدنيا ومصيره
إلى النار **وقال** معاوية كل إنسان أقدر على رضاه
إلا الحاسد لنعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها **ووجه** تحريم
الحسد المجمع عليه بل هو كبيرة لما فيه من الوعيد الشديد
في الكتاب والسنة أن فيه تسخطا لقضاء الله تعالى ونعمته
وفيه أيضا نسبة الله إلى الجور تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وهذا يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى أما إذا أحببت
أن يحصل لك مثلها مع بقائها لأخيك فلا يسمى ذلك حسدا إلا
حقيقة بل غبطة وحسن قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد
أي لا غبطة محمودة إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا
فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو
يعمل به ويعلمه **وهناك دقيقة** يغفل عنها كثير من الناس
وهي أن الإنسان قلما ينفك عن أن يرى أحدا فوقه في
نعمة وذلك أن الرائي أيس عن حصول مثلها له وبالضرورة
أن الإنسان يكره تخلفه عن غيره ويحب زوال ما به تخلفه
عنه وهو تلك النعمة فيكاد لا ينفك أن لا ينفك عن محبة
ذلك وسموه زوال النعمة التي يزول بها تخلفه لكن
يطلب تقواه ويقوى إيمانه ويزداد صفاء نفسه وطهارتها
فيصد نفسه ويمنعها عن إظهارها عليه وهذا معفو عنه
تنبيه قد يشكل على ما تقرر في الغبطة قوله تعالى
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض • الآية

ابن ابي الدنيا عن ابن عباس في الاية انه قال لا يتمنى الرجل فيقول
ليت ان لي مال فلان واهله فنهى الله سبحانه عن ذلك
ولكن يسأل الله من فضله • والجواب ان هذه الاية لا تنافي
ما مر لانها في تمني نعمة الغير بعينها والذي سبق مدحه
انما هو تمني مثلها مع بقائها لصاحبها فتامل واسبابه
كثيرة منها العداوة والبغضاء وهي اشد اسبابه • ومنها
ان يثبت نعمة لمن يتكبر له ويتكبر عليه لا سيما ان كان
المحسود حقيرا عنده ومنها انه يخاف ان نعمة المحسود
تفوت بها مقاصد الحاسد لوجاهته عند الناس ونحو ذلك
ومنها محبة الانفراد وعدم النظير واعلم انك بحسدك
تجني على نفسك وتقلبك من دوام الكمد والغم والهم
والغيظ ما لا طاقة لك به حينئذ فان الله تعالى لم يخل اعداءك
من زيادة نعمه عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها
بهم وبلية انصرفت عنهم فتبقى مهموما ضيق النفس والمحسود
في غاية التلذذ والفرح بما اتاه مولاه فلا تغيظ الله
وبرحمته بحسدك فليفرحوا فشتان ما بين حالك وحال
محسودك فتنبه لغفلتك فانك لو طلبت انت وعقلك
لنفسك بتجنب الحسد اذ كل عاقل يفر من المولمات والموذيات
وان كان عاقلا فدع الاعراض عما تحسده لو فرض انه لا اثر
في زوال النعمة لكان في ذلك بعض تخفيف عليك لكنه لا اثر
له في ذلك اصلا بدليل الغالب المعلوم من عادة الله تعالى
بل المستقر ان الحاسد لا يزداد الا غيظا وذلا وعقابا
وبلاء ومحنة والمحسود بعد ذلك فتيقظ من غفلتك
لنفسك واعلم ان مما يورث الفتنة والبغضاء والتقاطع
بين الاصدقاء والاقارب التكبر عليهم اما بالجاه واما
بالمال اما الكبر فالكلام عليه من وجوه الاول في ذمه •
اعلم انه ورد في ذمه من الكتاب والسنة ما فيه مقنع من
ذلك قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وخاب كل جبار عنيد • فبئس مثوى المتكبرين • سأصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض • وصح انه صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري من نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وفي
اخرى قصمته وفي اخرى فقذفته في النار وفي اخرى عذبته

لا يدخل

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر الحديث
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في
النار على وجهه • يخرج من النار عنق له اذنان يسمعان
وعينان يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة
بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها اخر وبالمصورين
تحاجت النار والجنة فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين • وفي رواية اسنادها حسن يحشر المتكبرون
يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله
وهذا كله لفظ النبوة فتامله وابذل وسعك في العمل
بمقتضيه لتسلم من ورطة الكبر المهلكة • وقال وهب
لما خلق الله جنة عدن قال انت حرام على كل متكبر :
وقال الحسن عجبا لابن ادم يغسل الخرء كل
يوم بيده مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات والارض
وما احسن ما قال بعض الاكابر ما دخل قلب امرء شيء
من الكبر قط الا نقص من عقله قدر ما دخل من ذلك
قلا او كثر • وقال بعضهم السيئة التي لا تنفع معها حسنة
الكبر الثاني فيما يتعلق بحقيقته هي ما اشار اليها
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الكبر
من بطر الحق وفي رواية من سفه الحق اي امتنع من قبوله
وغمط الناس اي استنقصهم اي ترى نفسك فوق غيرك
من صفات الكمال فتستهزئ بحقه وتستحقره ••
وتعامله بما لا يستحقه لعزة نفسك عليك وهوانه
عليك عندك وباعتقاد ذلك يحصل في القلب
فرح وركون وعزة النفس فتلك العزة هو خلق
الكبر منه واشباهها ثمرات الكبر فانه الذي
يحدث بها اكثر الناس وقلما يخلف ذلك عن
حقارتهم وقلة من عوامهم الا من عصمه الله وحماه
الثالث في بيان اسبابه منها العلم وهو سريع
الرحلة للعلم لان اكثرهم يتعززون بعزه وجماله
وكماله فيستحقرون الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم
وهذا محبط لنور العلم وعظيم نفعه في الدنيا وفي
الاخرة فليحذر اهله من ذلك وان لا يغتر بشيء
من ذلك فانه لجام ومن على طريقة الفنيجة

ادّى بهم علوّهم الى الهلاك الابدي والعذاب السرمدي نسأل
الله العافية والسلامة والتوفيق الى اتباع المخلصين
المتواضعين والاندراج في سلك الاولياء والصالحين آمين
ومنها العبادة والزهد وكثيرا ما يؤديان لكثير الى قلوب
العباد فيرون انهم احق الناس بالتردد اليهم والخضوع
لديهم والسعي في قضاء مآربهم لرؤيتهم انهم الناجون دون
غيرهم فينبغي تجنب ذلك فانه السم القاتل والداء
المهلك اعاذنا الله من ذلك ومنها الحسب والنسب
فاكثر من نسبه شريف يفتخر على من ليس كذلك غافلا عن
قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وصح انه صلى الله عليه وسلم قال الكرم التقوى
اي فلا تتفاخروا بحسب ولا نسب فان ذلك نتيجته تتر
غيرنا مع نسبنا الا ترى الى بعد ابي طالب وابي لهب
وانسابهما منه صلى الله عليه وسلم والى قرب سلمان
الفارسي وبلال وانسابهما منه صلى الله عليه وسلم
وجازاهم بالكمال الاعظم والنعيم الابدي لما تحلوا بامتثال
اوامره واجتناب مناهيه على الوجه الاكمل ومن ثم
قال لولا التقريب فانك قد علمت ما وقع لابن نوح
وابي ابراهيم واقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين لم يؤمنوا به ومنها المال واكثر اهله سلبهم
الله تعالى الكمال بالعقول فاغتروا بالحياة الدنيا
ولهوها وزينتها فاحتقروا الفقراء وتكبروا عليهم
ولم يبقوا يحفظونهم غافلين عن نقصهما وانقضائهما
باعدائهما من اليد تارة والموت عنها اخرى وانتقالها
الى من يضيعها غالبا في المعاصي فكن على بصيرة
وجاهد نفسك في الله ليهديك الى سبيله ويجعلك
من خير حزبه وقبيله واما التواضع وهو ان
لا ترى لنفسك عظمة ولا فخرا ولا تقدما على احد
بشيء من تلك الاسباب ومن ثم فسره الفضيل بن
عياض بالخضوع للحق والانقياد له وفسره
الحسن بان لا ترى شيئا الا رأيت له عليك فضلا
وفضلا ورد في مدحه احاديث كثيرة منها

منها

صح انه صلى الله عليه وسلم قال ما زاد الله عبدا بعفو الا
عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله • خيرني ربي بين
امرين عبدا رسولا وملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار
وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت راسي فقال
تواضع لربك فقلت عبدا رسولا • اربع لا يعطيهن
الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة • والتوكل
على الله والتواضع • والزهد في الدنيا • وقال
ابن السماك لهارون الرشيد يا امير المؤمنين ان تواضعك
في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت
فقال يا امير المؤمنين ان امرأ اتاه الله جمالا في خلقته
وكمالا في حسبه وبسط له من ذات يده فعف في جماله
وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله
من خالص عباده فدعا هارون بدواة وقرطاس
وكتبه بيده • وقال بعضهم النفس معجونة
بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه
منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد به
خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر
ادركها التواضع مع نصرة الله واذا هاجت في نفسه
نار الحسد ادركتها النصيحة مع توفيق الله تعالى
واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة
مع عون الله تعالى وقال بعضهم كنت بالمسعى
فرايت انسانا على بغلة وحوله من يدفع الناس عنه
ثم صرت الى بغداد فرايته على اذل حال وارث هيئة
فقلت له اما انت الذي رايتك بمكة بصفة كذا وكذا
فقال نعم فقلت ما فعل الله بك قال اني ترفعت في
موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع
الناس وكان ابراهيم النخعي يقول ان زمانا صرت
فيه فقيه الكوفة لزمان سوء خامسها لما عز من
يريد ان يقع بينهم العداوة والبغضاء كالزوجة وذي
بغيتها لو كل منهما وينقل اليه بالكذب والبهتان ويوسو
ويوسوسون الى كل من الاخوين مثلا حتى يقع بينهم التقاطع
والتحاسد والتباغض واعظم ذلك قبحه ما يقع
عن زوجات الاقارب لا سيما يتحاسدن ويتباغضن

فكل بنت تمايل الى زوجها وتوحي اليه ما يكرهه في اهله واما ادبر ظنها
منها ان غيره بينه وبين قولها اذا قال لهم ثم يقوى عندها هذا الظن
فتبالغ في اعمال الحيلة الى ان توقع بينهم غاية المنافرة
والمباعدة والكثير رأينا بينهم العداوة والبغضاء بين
الاقارب لم تحصل الا من سوء هذا الظن في ذلك •
فتفطن لها فكان لا يحقق الكلام ابدا اما اولا فلقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ الاية •
صح ان سبب نزول هذه الاية ان بني المصطلق اسلموا •
فارسل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن
عقبة بن ابي معيط ليأخذ منهم الزكاة وكان بينهم وبينه
شيء في الجاهلية فلما قرب من ديارهم رجع الى النبي •
صلى الله عليه وسلم واخبره انهم امتنعوا عليه وارادوا
قتله فهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم فجاءوا معتذرين
فنزلت الاية فعفا عنهم قال الحسن فوالله لئن •
كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة انها لمرسلة الى يوم •
القيامة ما نسخها شيء فتأمل الكذب وشؤم عاقبته
وما يترتب عليه من ان المخبر به قد يصدق في الخبر به •
ويرتب عليه مقتضاه فيتبين له انه كذب فيشتد ندمه
على فعله فعليه ان يتثبت وينبغي ما امكنه التأني له
لامر الله وله بل في ان العجلة من الشيطان كما في
الحديث • واما ثانيا فلما سيأتي من الاحاديث •
والبينا منها الالتفات قوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما •
بلغه ان فارسا ولوا ملكهم كسرى له بنته قال لن يفلح
قوم ولوا امرهم امرأة وفي رواية ابن خطاب قوم ولوا امرهم •
امرأة ومما يناسب ما في قصة قابيل وهابيل
ابني ادم انه اول فتنة وقتل انما هو من النساء •
سادسها ظن السوء باهلك وكثيرا ما يقع به التقاطع •
بين الارحام انما هو بظن السوء فاحذر ان تسترسل مع ظنك بل
كف نفسك عنه ما استطعت ولا تصغ الى ارحامك بل وغيرهم
بظن اصله قال تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم الاية واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى
الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث

ولا

ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا •
عباد الله اخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة اخيه حتى ينكح •
او يترك • واخرج ابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم قال
من اساء بأخيه الظن فقد اساء بربه ان الله يقول اجتنبوا •
كثيرا من الظن **تنبيه** لا يعارض هذا الحديث حديث •
ان من الحزم سوء الظن لان هذا محمول على ما اشار اليه
عمر رضي الله عنه من تعرض للتهم فلا يلومن من اساء به
الظن • فالحاصل انه متى قامت قرينة ظاهرة على
ما يقتضي سوء الظن كان هو الحزم حينئذ بمعنى انه يجتنب
معاشرة ذلك المظنون به السوء لئلا يجر معاشرته
الى سوء ولكن ينبغي مع ذلك له باطنا ان يكون سليما
لاحتمال كذب او عذر له • واخرج ابو الدرداء وغيره
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر
من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من اتبع عورات المسلمين يفضحه
في قعر بيته • وفي رواية خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اسمع العواتق في الخدور ينادي باعلا صوته
يا معشر من امن بلسانه ولا يدخل الايمان الى قلبه لا تتبعوا
عورات المسلمين ولا تعيبوهم فانه من تتبع عورة اخيه •
المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في قعر بيته

الباب الثاني في جملة من الآيات

والاحاديث الناصة عليها في قطيعة الرحم من الوبال
والوعيد الشديد والتحذير الاكيد فلنذكر لسمعها عما
ذلك وصف لها فيهما ودهشك فاحذر ان تكون ممن
بلغه هذا الكلام اصغى اذنيه ويخرج من الاخرى فان امثال
هؤلاء لا يتوجه اليهم خطاب ولا يرجى لهم صلاح والاحسن
ناب وانما هم على خطر الخطيئة • ودوام الاحوال الشنيعة
ومن اراد ان عقله يربي نفسه عن هذه السقطات
وينبغي من صلة ارحامه بكل نوع من انواع البر والائتلاف
ليسلم من هذا الخطر • وليعفو له من الله تعالى جميع الوطر
وهاك من جملة تلك الاحاديث • لعلك ان تمتثل فتكون
ممن قال الله تعالى في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة • ولنقدم عليها بعض الآيات ثم نتبعها بذكرها

وارشاد المتأملين • قال الله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام المستفاد من العطف بالواو الدال على عظيم
فضل صلة الرحم ووبال قطعه كيف والله تعالى يأمر
باتقاء قطعه كما امر باتقاء عذابه وغضبه قال تعالى
واتقوا الله ويحذركم الله نفسه • وتاملوا ايضا
ختم الآية بقوله موكدا لامره باتقاء عذابه وقطع
الرحم ان الله كان عليكم رقيبا فانك اذا علمت
ان الله رقيب على اعمالك حافظ لها مجاز عليها
رجعت اليه وامتثلت امره وكنت على غاية الخوف
من اليم عقابه وعظيم حجابه • وقال تعالى فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا •
ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى
ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب •
اقفالها اشتملت هذه الآية على تاكيدات عجيبة
وتشديدات غريبة في الرحم وذلك انه تعالى جعل
قطع الارحام عديل الفساد في الارض كما انه جعله
في الاولى قطعها عديل قطع تقوى الله ثم جعل
عقاب اولئك المفسدين في الارض القاطعين
للارحام ان لعنهم وابعدهم عن مواطن الخيرات
والرحمة فلا يقبلون خيرا قط ولا يرجى لهم فلاح •
بوجه وحين ثم فرع على تلك اللعنة قوله تعالى فاصمهم
واعمى ابصارهم كناية عن كونهم سلبوا اسباب
الهداية بفقد امهات حواسهم الظاهرة والباطنة
ولا عقاب اشد من ذلك • ثم اشار الى سبب الوقوع في
هذه اللعنة الموذنة بذلك الوعيد الشديد والنقص
الذي ليبقى على فجره بعد عدم تدبر آيات القرآن
وما اشتملت عليه من ابلغ الزجر عن الفساد في الارض
وتقطيع الارحام فالى ان سبب عدم التدبر ما حجر
قلوبهم عنه من تلك الاقفال المقفلة المتقفلة •
عليها حتى منعها من فعل ما ينفعها وترك ما يضرها
وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد •
ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار في هذه الآية

تشديدات

تشديدات كثيرة على قاطعي الرحم بانهم من جملة من قطع ما امر
الله به ان يوصل وافاد دخولهم في جملة اولئك من غير شك •
ولا ريب لحقهم ذلك الوعيد الشديد • ومن كان عنده ادنى •
يقظة وفهم وتدبر يرجع عن قطيعة الرحم بادنى ما دلت عليه •
آية من هذه الآيات الثلاث • وقال تعالى وما يضل به الا الفاسقين
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون
اشتملت هذه الآية على ابلغ النكال لقاطعي الرحم كما تقرر انهم
داخلون في الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل
الموصوفين بالفسق ونقض ما اخذ الله عليهم من مواثيقه
الاكيدة وبالفساد في الارض وبانحصار الخسار فيهم فتأمل
ذلك كله فانك متى قطعت احدا من ارحامك كنت ممن وصف
عنده الاوصاف القبيحة وعد بواسطته الانواع الشنيعة التي
في هذه الآيات الكريمة وفقنا الله لفهمها والعمل بها بمنه وكرمه
وبعد ان اشرنا لذلك الى هذا الذي اعطاه الحق ولذا المنة على
لسان العلم وحفظ من الزلل الموجب للندم فلنذكر بعض ما ذكره
المفسرون في هذه الآيات الآية الاولى اخرج ابن جرير وابن
ابي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى واتقوا الله الذي
تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذي تساءلون به
والارحام وصلوها وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى صلوا ارحامكم فانه ابقى لكم في
الحياة الدنيا وخير لكم في آخرتكم واعلم ان قراءة حمزة
والارحام بالجر دلالة واضحة على تاكد شان الرحم والاعتناء •
به قديما وحديثا حيث كانوا يتناشدون ويتساءلون في •
حوائجهم المهمة بالله وبالرحم • اخرج ابن جرير وابن المنذر
وابن ابي حاتم عن مجاهد تساءلون به والارحام قال
يقول اسالك بالله وبالرحم فعلم بهذا ان الرحم لا اكد •
من حقها عندهم حيث كانوا يقرنون السوال بالله السوال
بها واذا كانت الرحم على هذه الحالة الاكيدة في العظمة
والرعاية جاهلية واسلاما فكيف يسوغ لاحد ان
يستهزئ بشيء من حقوقها او ان يرتكب شيئا من قطعها او من
عقوقها • ومما يدل على تأكد الرحم قوله تعالى واذا حضر
القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم

منه وقولوا لهم قولا معروفا قال كثيرون انها محكمة وآخرون
انها منسوخة بآية المواريث اي فالمنسوخ الوجوب فيبقى
الندب المستفاد منه ما قلناه من تأكد حق الرحم وقال
مجاهد بل الوجوب باق الى الآن فيجب على اهل المواريث
للارحام واليتامى والمساكين اذا حضروا القسمة ما يطيب
به خاطرهم وعليه الحسن والزهري • ومما يدل على تأكد
حق الرحم ايضا قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا
سديدا اخرج ابن ابي حاتم وابن جرير والبيهقي عن ابن
عباس في الآية قال يعني الرجل يحضره الموت فيقال
له تصدق من مالك واعتق واعط منه في سبيل الله
ولكن يأمره ان يبين ما له وما عليه من دين ويوصي
من ماله لذوي قرابته الذين لا يرثون بالخمس •
او الربع يقول اليس احدكم اذا مات وله ولد ضعاف
يعني صغارا ان يتركهم بغير مال فيكونون عيالا على
الناس ولا ينبغي لكم ان تأمروه بما لا تأمرون به انفسكم
ولا اولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك فتأمل
هذا التأكيد الذي للارحام وهذا الحث على صلتهم
في الحياة وبعد الموت واذا تقدم حق الارحام على
العتق والانفاق في سبيل الله فما بالك بما يستكثر
من صلة الرحم التي فيها هذا الثواب العظيم والعز الجسيم
واما الآية الثانية فاخرج عبد بن حميد وابن جرير
عن قتادة انه قال في فهل عسيتم ان توليتم الآية كيف
رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله وسفكوا الدم
الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن • واخرج
ابن ابي الدنيا في كتاب الصمت عن الحسن قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا الناس اظهروا العلم •
وضيعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب
وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم
واعمى ابصارهم **واما الآية الثالثة** فاخرج ابو
الشيخ عن ميمون بن مهران قال قال لي عمر بن عبد العزيز
لا تواخين قاطع رحم فاني سمعت الله لعنهم في سورتين
من القرآن سورة الرعد وسورة محمد **واما الاحاديث**

فاخرج



فاخرج البخاري ومسلم وآخرون عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت
الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك
من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من
قطعك قالت بلى قال فذاك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
الى قوله ام على قلوب اقفالها • وصح قوله صلى الله عليه وسلم
ما من ذنب اجدر اي احق ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا
مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم والخيانة والكذب
وان اعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون
فجرة فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا وما من اهل
بيت يتواصلون فيحتاجون وقوله لا يدخل الجنة قاطع قال
سفيان يعني قاطع رحم • وقوله الرحم معلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله • وقوله صلى الله
عليه وسلم قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم
وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
قطعته • وقوله ان الرحم شجنة آخذة بحجزة الرحمن عز وجل
يصل من وصلها ويقطع من قطعها • وقوله ان الرحم شجنة
من الرحمن تقول يا رب اني قطعت يا رب اني اسيء الي يا رب
اني ظلمت يا رب يا رب فيجيبها الا ترضين ان اصل من وصلك
واقطع من قطعك • وقوله ان الرحم حجنة متمسكة بالعرش
تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني
فيقول الله انا الرحمن شققت للرحم من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن بتكها بتكته الحجنة بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف
النون صنارة المغزل اي حديدته المعقفة التي يعلق بها
الخيط ثم يفتل الغزل والبتك القطع • فتأمل وفقك الله
لطاعته وطاعة رسوله ما افاده صلى الله عليه وسلم في
هذه الاحاديث من ان شؤم قطيعة الرحم يتجاوز فاعلها
الى عقبه فيمنعهم من شمول الرحمة لهم كما منعه من شمولها
له فاذا كان هذا شؤمها في القوم الجالسين مع القاطع
فما بالك بالقاطع نفسه فتيقظ لنفسك فان امر قطيعة
الرحم وشؤمها عظيم اي عظيم وسل الله ان يوفقك
الى صلتها وان كان في قلبك ما كان فانه على كل شيء قدير

والبزار بسند فيه متروك لكن قال ابن عدي ارجو انه لا باس
به ثلاث معلقات بالعرش الرحم تقول اللهم اني بك فلا اقطع
والامانة تقول اللهم اني بك فلا اخان والنعمة تقول
اللهم اني بك فلا اكفر • واخرج ابن ابي شيبة وابو داود
والترمذي والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي
الله عنهما يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا اهل الارض يرحمكم اهل
السما الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله ومن قطعها
قطعه • واخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال قلت
يا رسول الله اوصني قال اقم الصلاة واد الزكاة وصم
رمضان وحج البيت واعتمر وبر الديك وصل رحمك
واقر الضيف وامر بالمعروف وانه عن المنكر وزل مع الحق
حيث زال • واخرج ابن ابي شيبة والحاكم وصححه عن
عبد الله بن سلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام
وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام •
واخرج الديلمي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان
الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها
عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء •
ان الكبريا لله عز وجل • واخرج ابن مردويه والديلمي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اشراط الساعة سوء الجوار وقطيعة
الرحم • واخرج ابو نعيم عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون
خصلة اذا رايتم الناس اماتوا الصلاة واضاعوا الامانة
واكلوا الربا • واستحلوا الكذب • واستخفوا الدما • ولبسوا
الحرير • وظهر الجور • وكثر الطلاق • وموت الفجاءة •
وائتمن الخائن • وخون الامين • وصدق الكاذب •
وكذب الصادق • وكثر القذف • وكان المطر قيظا •
والولد غيظا • وفاض اللئام فيضا • وغاض الكرام
غيضا • وكان الامرا والوزرا كذبة • والامنا خونة •
والعرفا ظلمة • والقرا فسقة • فلديهم انتن من الجيفة

ومن اشراط الساعة

دائمة

وامرت العقير • يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها
تهاوك اليهود الظلمة • وتظهر الصفرا يعني الدنانير •
وتطلب البيضا • وتكثر الخطايا • وحليت المصاحف وزخرفت
المساجد • وطولت المنابر • وخربت القلوب • وشربت
الخمور • وعطلت الحدود • وولدت الامة ربتها •
وترى الحفاة العراة وقد صاروا ملوكا • وشاركت المراة
زوجها في التجارة • وتشبه الرجال بالنسا والنسا
بالرجال • وحلف بغير الله • وشهد المرء من غير ان
يستشهد • وتفقه لغير الله • وطلبت الدنيا بعمل الاخرة •
واتخذ المغنم دولا • والامانة مغنما • والزكاة مغرما
وكان زعيم القوم ارذلهم • وعق الرجل اباه • وجفا امه
وبر صديقه • واطاع امراته • وعلت اصوات الفسقة
بالمساجد • واتخذت القينات والمعازف • وشربت
الخمور في الطرقات • واتخذ الظلم فخرا • وبيع الحكم
واتخذ القران مزامير • ولعن اخر هذه الامة اولها
الحديث وفيه فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمرا ومسخا
وخسفا وقذفا وايات • واخرج ابن ابي شيبة عن
سلمان الفارسي قال ان من اقتراب الساعة ان يظهر
البنا على وجه الارض وان تقطع الارحام وان يؤذي
الجار جاره • واخرج احمد والبخاري في الادب والحاكم
وصححه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال بين يدي الساعة تفشو التجارة حتى تعين
المراة زوجها على التجارة وقطع الارحام وتظهر
شهادة الزور وكتمان شهادة الحق والله اعلم •

الباب الثالث في بيان حقيقة

قطع الرحم وانه كبيرة اعلم ان كون قطع الرحم كبيرة
هو صريح هذه الاحاديث الكثيرة الصحيحة بل المتفق
على صحة كثير منها وبعد ايراد توقفت امام المذهب
ابي القاسم الرافعي في قول صاحب الشامل انه من الكبائر
وكذا تنظير امام المذهب ايضا ابي زكريا يحيى النواوي
للرافعي على توقفه هذا اما انه اعترض عليه توقفه
من غير هذا او لم يعترض عليه في توقفه في هذا وتوقفه
في هذا اجدر واحق بالرد وكيف يتوقف في هذا

مع تقرير الاحاديث السابقة في الباب فتأمل هذا على قطيعة
الله تعالى لقاطع الرحم ومع قوله صلى الله عليه وسلم
القاطع لا يدخل الجنة وانه ما من ذنب احرى ان يعجل
عقوبته من ذنب قاطع الرحم وان الله لا يقبل عمله وغير
ذلك مما مر تحقيقه لا مساغ للتوقف في انه كبيرة بل
هو من اعظم الكبائر هذا هو الحق الموافق لصرائح تلك
الاحاديث . ومن ثم قال بعض ائمتنا لا ينبغي التوقف
في ذلك مع النص من القرآن على لعنة فاعله . ثم روي
عن محمد الباقر ان اباه عليا زين العابدين قال
لا تصاحب قاطع رحم فاني وجدته ملعونا في كتاب الله
في ثلاثة مواضع وذكر الآيات الثلاث المتقدمة
اية القتال واللعن فيها صريح واية الرعد واللعن
فيها بطريق العموم لان مما امر الله به ان يوصل يشمل
الارحام وغيرها . واية البقرة واللعن فيها
بطريق الاستلزام اذ هو من لوازم الخسران .
وقد نقل القرطبي في تفسيره اتفاق الامة على
وجوب صلة الرحم وحرمة قطعها ثم المراد بقطيعة
الرحم التي هي كبيرة وفسق على الاصح قال الامام
ابو زرعة الولي ابن العراقي ينبغي ان يختص بالاساءة
وقال غيره لا ينبغي ان يختص بذلك بل ينبغي ان
يتعدى الى ترك الاحسان لان الادلة عامة آمرة بالصلة
ناهية عن القطيعة ولا واسطة بينهما والصلة
ايصال نوع من انواع الاحسان كما فسرها بذلك غير
واحد فالقطيعة ضدها وهي ترك الاحسان انتهى
ولك ان تقول في كل من هذين البحثين نظر اما الاول
فلانا ان اريد بالاساءة ما يشمل نحو المكروه والمحرم
او ما يختص بالمحرم ولو صغيرة نافى ما قاله عن
البلقيني وغيره من ضابط العقوق من انه ان
يفعل مع احد الابوين ما لو فعله مع اجنبي كان
محرما صغيرة فينتقل بالنسبة اليهما الى كونها كبيرة
فاذا كان هذا هو ضابط العقوق ومعلوم ان
حق الوالدين اكد من حق بقية الاقارب فان
العقوق غير قطيعة الرحم كما عرف وجب ان

يكون

يكون المراد بقطع الرحم المحكوم عليه بانه كبيرة ما هو اشد
من الايذاء من العقوق لتظهر مزية الوالدين واما ما قال
ابو زرعة يلزم منه اتحادهما بل القطيعة يتراخى منهما
ما هو المراد من الايذاء بناء على ان الاساءة من كلامه لتشمل
فتشمل بقية الاقارب على الابوين حيث جعل مطلق
الايذاء في حقهم كبيرة واذا كان الايذاء في حقهم كبيرة .
فالابوان لم يجعلا الايذاء في حقهم كبيرة فهذا مناف .
لصريح كلامهم فوجب رد كلام ابي زرعة لئلا يلزم .
عليه ما ذكر . واذا علمت ان كلامهم في العقوق يرد ما ذكره
فما ذكره غيره من ان قطع الرحم عدم فعل الاحسان كلامهم
يرده بالاولى . وحينئذ فالذي يتجه ليوافق كلامهم
ويفرق بينهم بين العقوق وقطع الرحم ان يقطع احدهما
ما يتأذى به تأذيا ليس بالهين وبالثاني قطع ما الف .
القريب منه من سابق الصلة والاحسان لغير عذر .
شرعي لان قطع ذلك بعد وجوده يؤدي الى ايحاش .
القلوب وتنفيرها وتأذيها ويصدق عليه حينئذ انه .
قطع وصلة رحمه وما ينبغي لها من عظيم الرعاية فلو فرض
ان قريبه لم يصل اليه احسان ولا اساءة قط لم يفسق بذلك
لان الابوين اذا فرض ذلك في حقهما من غير ان يفعل
معهما ما يقتضي التأذي لغناهما مثلا لم يكن كبيرة فاولى
بقية الاقارب . ولو فرض ان الانسان لم يقطع عن قريبه
ما الفه منه من الاحسان لكنه فعل معه محرما صغيرة .
او قطب في وجهه او لم يقم اليه في ملأ او لم يعبأ به لم يكن
ذلك فسقا بخلاف نظيره مع الابوين لان تأكد حقهما اقتضى
ان يتميزا على بقية الاقارب بما لا يوجد نظيره فيهم
وبقي لذلك بقية ذكرتها في كتابنا الزواجر عن اقتراف
الكبائر وقلت فيها آخرها فتأمل ذلك واستفده فاني لم
ار من نبه على شيء منه مع عموم البلوى به وكثرة الاحتياج
الى ضبطه . والظاهر ان الاولاد والاعمام من الارحام وكذا
الخالة فيأتي فيها وفيهم ما تقرر بين قطعهم وعقوق
الوالدين . والذي دلت عليه الايات والاحاديث ان
الوالدين وان علوا اخصا من الرعاية والاحترام .
والطواعية والاحسان بامر عظيم جدا وغاية رفيعة

لم يصل إليها أحد من بقية الأقارب ويلزم من ذلك أنه
يكفي من عقوقهما وكونه قسيما مما لا يكتفى به من عقوق
غيرهما **والحاسد** الذي يبتغي لهم فقدان
نجاة من صلة رحمه بكل طريق أمكنه فقد قال بعضهم
في قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع أي
قاطع رحم ممن قطع أقاربه الضعفاء وتكبر عليهم وهجرهم
ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيا وهم فقراء فإذا أخذ
في هذا الوعيد الشديد محروم هو لا يدخل الجنة إلا أن يتوب
ويحسن إليهم وأما من يحرم قرابته لعجزهم لم يقبل
الله صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة وإن كانت
فقيرا وصلهم بزيارته والتفقد له فهو لهم بقوله صلى الله
عليه وسلم صلوا أرحامكم ولو بالسلام فينبغي للكامل
أن يرا في هذا القول وأن يبالغ فيهما حذر عليه من الإحسان
إلى أقاربه لما يأتي قريبا من الأحاديث المؤكدة في ذلك
والدالة على فضله **وقد حكي** أن رجلا غنيا حج
فأودع أخا موسوما بالصلاح ألف دينار حتى يعود
من عرفة فلما عاد وجده قد مات فسأل ورثته عن
الأمانة فلم يكن لهم بها علم فسأل علماء مكة عن
قضيته فقالوا له إذا كان نصف
الليل فأت زمزم وناد يا فلان باسمه فإن كان
من أهل الخير فسيجيبك من أول مرة فذهب
ونادى فيها فلم يجبه أحد فأخبر العلماء بذلك
فقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون نخشى أن يكون
صاحبك من أهل النار اذهب إلى أرض اليمن ففيها
بئر تسمى برهوت يقال إنها على فم جهنم فانظر
فيها بالليل وناد يا فلان فسيجيبك فمضى إلى
اليمن وسأل عن البئر فدل عليه فذهب
إليها ليلة ونادى يا فلان فأجابه فقال له
أين ذهبي فقال إنه مدفون في الموضع الفلاني من
داري فأت أولادي واحفر هناك تجده فقال
له ما الذي أنزلك هاهنا وقد كنت نظن بك
الخير قال كانت لي أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحن
عليها فعاقبني الله بسببها وأنزلني في هذا المنزل

غريبة

فبالله

فبالله عليك إذا رجعت لأولادي وأخذت حقك تذهب
إلى أختي وتعطها جميلا وتسألها أن ترضى عني فلما
ذهب الرجل إلى أولاده وذكر لهم الأمانة فأجابوه إلى
ذلك فأخذها وأمرهم أن يتوجهوا إلى عمتهم وأن
يأخذوا إليها طرفا وبينوا لها أن تحمل أخاها في ما تقدم
إليها من جفوتها فقال الناس فما ذو الأولاد
الرجل فذهب الرجل إليها وقال لها ما كان من أخيها
فأبت وقالت لا تذكره لي وأعضت فأخذ الرجل فألطفها
وأعطاها صلة فعفت عن أخيها ودعت له بالرحمة
ثم عاد الرجل بعد تلك الليلة ووقف بجانب زمزم
ونادى يا فلان فأجابه وقال جزاك الله عني خيرا
قد رضي الله عني برضاها وأعادني إلى ههنا والحمد
لله وحده ويصدق ذلك الحديث السابق لا يدخل الجنة قاطع

الباب الرابع في ذكر شيء من الآيات

والأحاديث التي فيها الحث والتأكيد الشديد على صلة الرحم
أما الآيات فمنها قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب اعلم أن في هذه الآية
من تأكيد الحث على صلة الرحم ومن بعث الموفق على صلات
يبذل وسعه في ذلك حتى يتحلى بهذه الأوصاف المذكورة
في هذه الآية وهو ما أكده الله علينا من امتثال أوامره
واجتناب نواهيه وعدم نقض الميثاق ووصل ما أمر
الله به أن يوصل وخشية الله وخوف سوء الحساب
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في
قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
فعليكم بالوفاء بالعهد ولا تنقضوا الميثاق فإن الله قد
نهى عنه وقدم فيه أشد التقدمة وذكره في بضع
وعشرين موضعا نصيحة لكم وتقدمة إليكم وحجة
عليكم وإنما تعظم الأمور بما عظمها الله تعالى عند أهل
الفهم والعلم والعقل وذكر لنا أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقول في خطبته لا إيمان لمن لا أمانة
له ولا دين لمن لا عهد له وأخرج ابن أبي حاتم وأبو
الشيخ عن سعيد بن جبير في قوله والذين يصلون

ما امر الله به ان يوصل يعني من الايمان بالنبيين وبالكتب كلها
ويخشون ربهم يعني يخافون من قطيعة ما امر الله به ان
يوصل اي كالرحم ويخافون سوء الحساب يعني شدة
العذاب • وذكر لنا ان رجلا من خثعم اتى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو بمكة فقال انت الذي تزعم انك
رسول الله قال نعم قال فاي الاعمال احب الى الله عز
وجل قال الايمان بالله قال ثم مه قال ثم صلة الرحم
وقال تعالى وآت ذا القربى حقه يعني من الصلة
والبر وذو القربى هو كل من بينك وبينه قرابة وتامل قوله
وآت ذا القربى حقه تجد له عليك حقا يجب عليك ان
تخرج اليه منه وان لم تؤديه والا كنت عاصيا آثما بذنب فاسقا
لما امر ان قطيعة الرحم كبيرة • وقال تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى يعني صلة الرحم
وتامل قرنه تعالى الامر بصلة الرحم بالامر بالعدل
والاحسان تعلم ما في الاية كون صلة الرحم من التاكيد
وانه لا يتم من احد عدل ولا احسان الا ان وصل رحمه
والا كان جائرا مسيئا قاطعا • واخرج الشيخان انه
صلى الله عليه وسلم قال من احب ان ينسأ اي يؤخر
وهو بضم اوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمز له
في اثره اي في اجله فليصل رحمه • والبزار وعبد الله
ابن الامام احمد في زوائد المسند والحاكم عن سمرة
ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة
السوء فليتق الله وليصل رحمه • والبزار باسناد
لا باس به والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال
مكتوب في التوراة من احب ان يزاد في عمره وان
يزاد في رزقه فليصل رحمه • ورواه الترمذي مختصرا
وحسنه ابن حبان في صحيحه والطبراني بسند ضعيف
عن ابي الدرداء قال ذكروا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم الارحام فقلنا من وصل رحمه انسئ له في
اجله فقال انه ليس يزاد في عمره قال الله تعالى فاذا
جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
ولكن الرجل يكون له الذرية الصالحة فيدعون له
من بعده فذلك الذي ينسأ في اجله وبهذه الرواية

زيادة العمر ونقصه

احد

احد جماعة فقالوا ان الزيادة في العمر المذكورة في الاحاديث
زيادة البركة والذرية الصالحة لمن عاد له بعد موته
وقال آخرون لا مانع ان تكون زيادة حقيقية :
لقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
اي فان اللوح المحفوظ يقبل الزيادة والنقص لكون
ذلك فيه معلقة بنحو فلان عمره عشرا ان لم يصل
رحمه وعشرون ان وصله والذي في ام الكتاب ليس
الا احدهما باعتبار ما يعلم الله وقوعه لا غير ويدل
لذلك ما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما يمحو الله
ما يشاء ويثبت قال من احد الكتابين هما كتابان
يمحو الله ما يشاء من احدهما ويثبت وعنده ام الكتاب
وصح عنه ايضا لا ينفع الحذر من المقدور ولكن الله
يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر • وابو يعلى باسناد جيد
والطبراني بسند فيه متروك جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي ابا واما واهلا
فايهم احق بصلتي قال امك واباك واختك
واخاك ثم ادناك ادناك • وروى البخاري ومسلم
من حديث قيس بن ابي حازم عن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
جهارا غير سر ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء
ان وليي الله وصالح المؤمنين زاد البخاري تعليقا
ولكن لهم رحم ابلها ببلالها اي اصلها بصلتها
التي تنبغي لها ولهذه الجملة ترجم البخاري في البر
والصلة من صحيحه فقال باب تبل الرحم ببلالها
ووصلها في بر الوالدين وكذا وصلها ابو نعيم •
والاسماعيلي وآخرون واقتصر الطبراني في معجمه
الكبير على ايرادها بلفظ ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان لبني ابي طالب عندي رحما ابلها
ببلالها وكذا وقعت الزيادة عند مسلم في صحيحه •
قال بعض العلماء ومعنى الحديث ان ولائي
احدا احق بالنصرة من غيره بايمان وانما اولى من اولى
بالايمان والصلاح سواء كانوا من ذوي رحمي ام لا
ولكن اراعي لذوي رحمي حقوقهم واصل رحمهم •

فتأمل ايها الموفق زادك الله توفيقا حب ذا عمي صلى الله
عليه وسلم لارحامه وان كانوا كفارا فكيف انت
لا ترعى رحمك المسلمين وتقطعهم بمجرد وهمهم وتريد
ذلك من قوله تعالى في آخر لقمن وان جاهداك على ان
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في
الدنيا معروفا فاوجب عليك من الكافرين اللذين
يريدان اخراجك عن الاسلام ويبذلان في ذلك جهدهما
ان تصل رحمهما اذ المصاحبة بالمعروف هي صلة
الرحم وبقية الارحام كالوالدين في ذلك واذا
طلب منك صلة الرحم الكافر فما بالك بالمؤمن
فتيقظ من سنة غفلتك فان الامر خطير والحساب
عسير وصح عن اسامة بن شريك قال شهدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو
يقول امك واباك واختك واخاك ثم ادناك
ادناك والطبراني بسند حسن خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحث على صلة الرحم وروى
البزار بسند فيه مجهولون عن ابن عباس قال
اصاب قريشا ازمة شديدة حتى اكلوا الدم ولم
يكن احد من بني هاشم ايسر من رسول الله صلى الله
عليه وسلم والعباس بن عبد المطلب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس يا عم ان
اخاك ابا طالب قد علمت كثرة عياله وقد اصاب
قريشا ما ترى فاذهب بنا اليه حتى نتحمل عنه
بعض عياله فانطلقا اليه فقالا له يا ابا طالب
ان حال قومك ما قد ترى ونحن نعلم انك رجل
وقد جئنا لنحمل عنك بعض عيالك فقال ابو طالب
دعا لي عقيلا وافعلا ما احببتما فاخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا واخذ العباس
جعفرا فلم يزالا معهما فقال سفيان ولم يزل جعفر
مع العباس حتى خرج مهاجرا الى الحبشة فتامل هذه الصلة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها تزداد رحما لا
وكلا اذا كانت من اهوال المزدلات واما اهوال
السنة فالامر فيها هين واسع وروى ابو بكر بن

ابي شيبة

مهمة

ابن ابي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال
يا رسول الله ان لي قرابة احسن اليهم ويسيئون واصل
ويقطعون واعفو ويظلمون افاكافيهم بما يصنعون
فقال صلى الله عليه وسلم اذا تتركوا جميعا ولكن جد
عليهم بالفضل فانه لن يزال لك عليهم من الله ظهير
واخرج ابن عساكر ان اخوف ما اخاف على امتي طول الامل
واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الاخرة وان اتباع الهوى
يصد عن الحق فان الدنيا مدبرة والاخرة مقبلة ولكل واحدة
منهما بنون فكونوا من بني الاخرة ولا تكونوا من بني الدنيا
اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل فرحم الله من تكلم
فغنم او سكت ربوا المنزلة مقبلة كانت او مدبرة واخرج
بسند رواته ثقات بل اكثرهم من رجال الصحيح عن ابي ذر
قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان لا تاخذني في الله
لومة لائم واوصاني بصلة الرحم وان ادبرت فذكر الحديث
وروى الطبراني ما من رجل اتاه ابن عمه يسأله من فضله
فمنعه منعه الله يوم القيامة فتامل رحمك الله هذا
الوعيد الشديد لمن حذر ان ينفع فيه بلا اساءة لك
من بيتك شيء انت قادر عليه فبادر باعطائه فقد يتعلم
وصلة لرحمه واعلم ان لزمني الخير من قوة نفسه
وقويت همتك لم تكن الكمال الاعظم انك لا تحوجه الا ان
يسألك بل اذا اطلعت على انه وقع في امر فبادر بتجهيزه
واعطائه ما يسد فاقته لمن تقدم عظيم ثواب ذلك
فيجازيك باحسن من ذلك واخرج ابن ابي الدنيا
من بسط رضاه وكف غضبه وبذل معروفه وادى امانته
ووصل رحمه كان في نور الله الاعظم واخرج احمد انه
صلى الله عليه وسلم قال لعقبة بن عامر يا عقبة الا
اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا واهل الاخرة
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك الا ومن اراد ان يبسط له في رزقه ويمد له في
عمره فليتق الله وليصل رحمه وروى احمد بسند
صحيح عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان له ثلاث بنات يأويهن ويرحمهن ويكفلهن
وجبت له الجنة البتة قيل يا رسول الله وان كانتا اثنتين

مهمة

كفالة البنات

قال داود كانتا اثنتين ومن رواية للطبراني قلنا وواحدة
قال وواحدة • وابو يعلى وابن حبان في صحيحه من عال
ابنتين او ثلاثا او اختين او ثلاثا حتى يبن او يموت
عنهن كنت انا وهو في الجنة كهاتين واشار بالسبابة
والوسطى • والبزار بسند فيه مدلس من كفل يتيما
ذا قرابة او لا قرابة له فانا وهو في الجنة كهاتين •
وضم اصبعيه • ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة
وكان له كاجر مجاهد في سبيل الله صائما قائما • والطبراني
بسند فيه ضعيف من عال ابنتين او اختين او خالتين
او عمتين او جدتين فهو معي في الجنة كهاتين • وضم
اصبعيه السبابة والتي اليها • واحمد بسند صحيح
اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يشكوا قسوة قلبه
قال اتحب ان يلين قلبك وتدرك حاجتك ارحم اليتيم
وامسح راسه واطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك
حاجتك • ومن رواية كافل اليتيم له او لغيره معي في الجنة
كهاتين يعني المسبحة والوسطى • واخرج ابن ابي
شيبة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه لما نزلت •
وآت ذا القربى حقه دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاطمة واعطاها فدكا اي ارضا بخيبر • واخرج
ابن ابي شيبة بسند رواته ثقات واحمد وابن حبان •
في صحيحه والحاكم وصححه عن ابي هريرة رضي الله عنه •
انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله •
اني اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني فانبئني •
عن كل شيء خلق فقال كل شيء خلق من الماء قال
قلت فانبئني بشيء اذا اخذت به دخلت الجنة قال
افش السلام واطعم الطعام وصل الارحام وقم •
بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام • واخرج
ابن ابي شيبة عن كعب قال والذي فلق البحر لموسى •
وبني اسرائيل ان في التوراة مكتوبا يا ابن ادم اتق
ربك وبر والديك وصل رحمك امدد لك في عمرك وايسر
لك يسرك واصرف عنك عسرك • ونقل بعض العلماء •
ان الرجل ليصل رحمه وما بقي له الا ثلاثة ايام فيزيد
الله في عمره ثلاثين سنة وان الرجل ليقطع رحمه •

وقد بقي

وقد بقي من عمره ثلاثين سنة فينحط الى ثلاثة ايام
وقد مرت الاحاديث المصرحة بذلك والكلام فيها •
قال بعض العلماء واعلم ان في صلة الرحم خصالا •
محمودة منها رضا الله تعالى والزيادة في العمر والبركة
في الرزق والزيادة في المودة والزيادة في الاجر
بعد الموت فانهم كلما ذكروا احسانه اليهم دعوا له •
اي ودعاؤهم اقرب الى الاجابة من غيرهم كما صرح به •
بعضهم قال الواصل للرحم في ظل العرش يوم القيامة

قوله تعالى يمحو الله الاية م

تنبيه سبق في الاحاديث ان صلة الرحم
تزيد في العمر وان للعلماء فيه قولين احدهما انها زيادة حقيقية
والثاني انها زيادة مجازية والمراد زيادة الاعمال
والبركة في الاثار الصالحة التي يدوم له ثوابها بعد الموت
وسبق الاستدلال بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده
ام الكتاب مع الاشارة الى شيء من معناه وبقي منه اشياء منها
ما اخرج ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابي
حاتم عن مجاهد قال قالت قريش حين نزل وما كان
لرسول ان ياتي باية الا باذن الله ما نراك يا محمد تملك من
شيء ولقد فرغ من الامر فانزلت هذه الاية تخويفا ووعيدا
لهم يمحو الله ما يشاء ويثبت انا ان شئنا احدثنا له من امرنا
ما شئنا ويحدث الله في كل رمضان فيمحو ما يشاء ويثبت
من ارزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم
واخرج ابن عبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر
وابن ابي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس في قوله
يمحو الله ما يشاء الاية قال ينزل الله امره في كل شهر
رمضان الى سماء الدنيا فيدبر امر السنة الى السنة فيمحو
ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة •
والممات • واخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله يمحو الله ما يشاء
قال ذلك كل ليلة القدر يرفع ويجبر ويرزق غير
الحياة والممات والشقاوة والسعادة فان ذلك
لا يتبدل • ويعارض ذلك كله ما اخرجه ابن ابي شيبة
وابن جرير والطبراني عن ابن مسعود انه كان يقول
اللهم ان كنت كتبتني من الاشقياء فامحني من الاشقياء

وابتغي في السعدا فانك تمحوا ما تشا وتثبت وسيأتي كثير
مما يؤيده • واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال
ان لله عز وجل لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة سنة من
درة بيضاء له دفتان من ياقوتة والدفتان لوحان •
لله كل يوم ثلاث وستون نظرة يمحوا الله ما يشا ويثبت
وعنده ام الكتاب • واخرج ابن مردويه وابن عساكر
عن علي كرم الله وجهه انه سأل رسول الله صلى الله •
عليه وسلم عن هذه الاية فقال له لاقرن عينك •
بتفسيرها ولاقرن عين امتي بتفسيرها الصدقة
على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف يحول
الشقا سعادة ويزيد في العمر ويقي مصارع السوء
واخرج ابن مردويه والديلمي عن ابن عباس قال
كان ابو رومي من شر اهل زمانه وكان لم يدع شيئا •
من المحارم الا ارتكبه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لئن رايت ابا رومي لاضربن عنقه وكان يضيف
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتاه ضيف فقال
لزوجته اذهبي الى ابي رومي فخذي لنا منه بدرهم
طعاما حتى ييسره الله فقالت له انك لتبعثني
الى ابي رومي وهو من افسق اهل المدينة فقال
اذهبي اليه فليس عليك منه باس ان شا الله •
فانطلقت اليه فضربت عليه الباب فقال من هذا
قالت فلانة قال ما كنت لنا بزوارة ففتح لها الباب
فاخذها بكلام رفث ومد يده اليها فاخذتها رعدة
شديدة فقال لها ما شانك قالت ان هذا عمل ما عملته
قط فقال ابو رومي ثكلتك امك ابا رومي انت هذا عمل عمله •
منذ هو صغير لا تاخذه رعدة ولا يبالي على ابي رومي
عهد الله ان عاد لشيء من هذا ابدا فلما اصبح غدا •
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابي •
رومي واخذ يوسع له المكان وقال له يا ابا رومي •
ما عملت البارحة فقال ما عسى ان اعمل يا رسول الله
انا شر اهل الارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله قد حول مكتبك اي ما قبلك الى الجنة
فقال يمحوا الله ما يشا ومن روا هذا انه لما [illegible] من

فضل الصدقة

قصة ابي رومي

بعيد

بعيد قال له مرحبا بابي رومي وابشر فقال له ان الله قد حول
مكتبك الى الجنة فقال يمحوا الله ما يشا ويثبت وعنده
ام الكتاب • واخرج ابن جرير عن الضحاك في الاية
قال يقول الله انسخ ما شئت واصنع من الاجال ما شئت
ان شئت زدت فيها وان شئت نقصت وعنده ام الكتاب
قال جملة كتاب الله وعلمه يعني بذلك ما ينسخ
منه وما يثبت • ومن روايته عن ابن عباس ان المراد •
من الاية ما ينسخ من القرآن وما يبقى وعنده ام الكتاب
اي الناسخ والمنسوخ عنده من ام الكتاب وجاء عن قتادة
وابن زيد وغيرهما نحو ذلك • واخرج ابن جرير عن سعيد
ابن جبير في الاية قال يثبت في البطن الشقا والسعادة
وكل شيء هو كاين فيقدم منه ما يشا ويوخر ما يشا • واخرج
ابن ابي حاتم عن السدي وعنده ام الكتاب يقول
علمه الذي لا يبدل **تنبيه اخر** قد سبق ان سبب •
تاليف هذا الكتاب ما وقع من تقاطع شديد بين اخوين
شقيقين احدهما اكبر من الاخر ووقع مني تاكيد
شديد لاصغرهما ان يسامح ما امكنه ان يوصل
له حقا ولاكبرهما نحو ذلك لكنه ادون من الاول
وانما فعلت ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم
حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده
رواه ابو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية
ابي هريرة ورواه ابو داود من رواية سعيد بن عمرو
ابن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس •
فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن ابيه
عن جده سعيد بن العاص وسياتي حقوق الوالد
على ولده وهي كثيرة فاذا علم عظيم رتبة كبير
الاخوة على صغيرهم وان حقه كحق الوالد فعلى
الصغير ان يبالغ في اكرام الكبير وارضائه والتادب
معه وارضائه والعفو والصفح عنه ما امكنه وسياتي
قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده
على بره • وحينئذ فينبغي على الكبير الذي هو بمنزلة
الوالد ان يبالغ في اعانته لاخيه الذي هو بمنزلة الولد
على بره بان يتحمل كله وجميع ما يصدر منه ويبالغ في الاحسان

سبب تاليف هذا الكتاب

اليه حتى يتخذ وده ويجتنب جنده ويكون له خادما فضلا عن
اخ ومن ثم قال الاحنف فان طلبوا فاعطهم وان سخطوا
فارضهم يبذلوا ودهم ويجتنبوا جندهم ولا تكون عليهم
ثقلا فيملوا جانبك ويجتنبوا وفاتك ويكرهوا قربك
فعلم ان كبير الاخوة مطلوب منه اشيا وصغيرهم
مطلوب منه اشيا وان الاول يتقي ربه اسه والله
اعان ولده على بره والثاني يبقي كبير الاخوة
حقه على صغيرهم كحق الوالد على الولد فلينبه مثله
ذلك كله كل من الكبير والصغير لعلهما يتجنبان
من هلكة التدابر والتقاطع والتحاسد والتخاصم
والتنازع **تنبيه اخر** من الادب بين الناس ان اشار
النبي الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الى
الناصحة لان التقاطع بين الاخوين والاقارب
الناشي من الاذن اخرج ابو منصور الديلمي في مسند
الفردوس من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استغيب
على احدكم ذا بنه او نما طنت اذنه اذا احدثت
اهلكته فليكون في اذن الى اليمنى كاهر الناس
وكان سر ذلك ان اساءة الخلق انما تحصل من الشيطان
وقد صح عن الصادق صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
اذا سمع الاذان ادبر وله ضراط بحيث لا يسمع التاذين
ببعد قدر بعيد وقد يشق بذلك فلما كان من الشيطان
هذا التبرؤ العجيب المخرج عن حيز العقلا الى حيز
البهايم والابعاد الغريب تاكد فعله عند اساءة خلق
احد ممن ذكر لان الشيطان يتخلى عنه وهو المسي الخلق
واذا تخلى عنه رجع لاصل خلقته من صفا الباطن
من كل كدر وسلمه الناس منه من كل ضرر فتامل دقايق
وانفكاره وما في هذا الكتاب لتسلم وتكمل اخلاقك
تنبيه اخر من الادب بين الناس فعنه بل لا انفع منها
قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله فاستعذ بالله
انه هو السميع العليم فتامل هذه الاية الكريمة
واتبع بتدبيرك وتامل معناها تجدها قد

اشتملت

اشتملت على نفع الادب بين الناس فان العداوة بل
وبدلها صداقة وهو الدفع بالتي هي احسن وجاعله
ان تواصل اليه ما قدرت عليه من خير وتودد وتتعهد
ما يبعد عنه في حقك فاذا فعلت ذلك لم يبق لك
عدو من اهلك ولا من غيرهم • وبعد ان علمت هذا
الدوا الذي لا انفع منه لا عذر لك في تفاقم الغضب
ولا يبعد ولا يبتذل منك التغافل وما احسن ما قيل
ولم ار في عيوب الناس عيبا • كعيب القادرين على الكمال
فحيث رزقك الله فطنة وعقلا ودراية ولطفا وحسن
خلق فلا تضيع ذلك برفق ... مع نفسك وحملها
وهو ان بان المطلوب منك ان تقهر نفسك بالتواضع
للغريب والبعيد ما امكنك وان تواصل اليه من الخير
والتودد ما ينقلب بعضه محبة وعداوته صداقة
فان ابيت من ذلك فكن انت التابع السالم وان كان
هو الخاسر الهالك • وتامل قوله تعالى وما يلقاها
اي هذه الخصلة وهي الدفع بالتي هي احسن
الا الذين صبروا اي على الاذى وتحمل المشاق فهزوا
لانفسهم ما امكنهم وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
اي وما يفعل الدفع بالتي هي احسن الا من له نصيب
عظيم ومرتبة عالية عند الله تعالى لحبه ونفقته
لهذه المكرمة العلية • ثم عقب الله تعالى ذلك
بالتنبيه على ما يكون سببا لعدم الدفع بالتي هي
احسن وهو تسويل الشيطان للنفوس بما يوافق
هواها من محبة الانتصار للنفس ومقابلة السيئة
بمثلها وعداوة العدو ثم امر تعالى بدرء هذه
النزغة وهو الاستعاذة بالله من الشيطان ومكره
وخداعه فانه لا قوة لاحد عليه الا بتوفيق الله وهدايته
وتامل قوله تعالى وهو السميع العليم تعلم ان القدم
مراقبتك وسمع وانك اذا لجات اليه في دفع •
الشيطان ووسوسته ومكره اجابك ووفقك •
ووفقك للدفع بالتي هي احسن فاحفظ هذه الاداب
فانك بها تسلم وتغنم **تنبيه اخر** انما اطلت
الكلام في هذا المقام اعتنا بالحث على صلة الرحم

واقعة غريبة

والزجر عن قطعها لاني رأيت في زماننا من تنفرهم الناس
عن الصلة ما حملني على ذلك بل لما لعواقب القطيعة الى
افعال تنفرنا هاهم العلية وتنفر من سماعها
فضلا عن ارتكابها الاسماع وتملها الطباع لما اشتملت
عليه من نتايج لا تخفى ومساوي وقبايحات لا تستقصى
من ذلك ان اخوين اعرابيين من اعراب جبال الحجاز جاءا
الى مكة ليبيعا شيئا فباع احدهما ما كان معه بنحو عشرين
درهما ثم خرجا متوجهين لمحلهما فلما توسطا الطريق
حسد من لا دراهم له اخاه على تلك الدراهم فجاء من خلفه
وضربه بسكين معه كانت فيها حتفه ثم ستره وذهب
فلما وصل الى اهله سيل عنه فانكر ما فقته له نشهد
عليه بها فارسلنا بوالي بنابر دققوا طريقهما حتى
انقطع اثر الاخر ففتشوا مزاوده فتبين فسيل اخوه
فاقر انه قتله لياخذ تلك العشرين الدرهم التي
معه فاخذوه وقتلوه ثم حرقوه فتأمل كيف
وصل الناس من القطيعة الى ما ذا يقتل الانسان
اخاه شفيقه على هذا الشي الحقير جدا لكن
هذا يقع امثاله من الناس بقايا من الخير فلقد
اخبرني رجل من اهل الصلاح والكرم انه اضاف
جماعة من العربان وكان هذا الفتى قد سبقهم
الى محل الضيافة وكان المضيف جاهلا بحاله
فلما صلوا ورأوه رجعوا كلهم فقال لهم المضيف
ما شانكم قالوا لا ندخل الى محلك وفيه قاتل اخيه
عمنا شيخنا فنحن لا نجالسه ولا ناكل معه فقال
احملوني نتيله وانا اخرجه فذهب اليه واخرجه
الى محل بحيث لا يرونه ثم ادخلهم فاطمأنوا حينئذ
واكلوا فقاتل نفرة هولاء من اجله في القرب
والبوادي على قاطع الرحم هذه النفرة العظيمة فكيف
ان نتج قطيعة الرحم امر مستقر في نفوس العامة
فضلا عن الخاصة **ومن نوع المناقشة** المودي
للقطيعة ما وقع بمجلسي فان انسانا ممن نعرفه
مات عن اولاد ذكور ثلاثة وبنات ثلاثة وكلهم
اشقا وعن تركة واسعة وكلهم كاملون مع فتح

واقعة اخرى

بينهم

بينهم شنآن في كيفية قسمة اعيان التركة ثم استقر امرهم
على ان يكون ذلك بحضوري فحضرت اليهم فاقتسموا
مع شدة مخاصمة وعتو من كل على البقية فلم تزل بهم
الى ان اقتسموا الكل الا ستة من الفلوس الجدد تساوي
تلك الستة ثلاثة اخماس عشر ثلث درهم فضة فلم
تنقسم تلك الستة عليهم لان نصيبكم من الستة كما علمت
نصف كلا من الذكور فلس وثلاثة النساء فلس ومن
الاناث ستة النساع فلس فاعلمناهم ان هذه الستة
لا تنقسم عليكم صحيحا مثلا فلا باس بان يسمح بعضكم
بحصته فيما فابوا الا المناقشة ولم يسامح احد منهم بشي
مثلا فقلنا لهم اشتروا بها شيئا يمكن قسمته على عددكم
فابوا وعجزت الحيلة فيهم فقلنا لهم اتركوا هذه الستة
فلوس حتى تصطلحوا بينكم على شي وخرجت من دارهم
والامر على ذلك فتامل هذه المناقشة بين الاخوة
الاشقا كيف وصلت الى ماذا ولقد عددت حضوري
لهذه الواقعة كرامة باهرة لا يمكنني انفعالها والعرفيين
نا من كنت في مبادي الطلب اذا رأيت ما بينا بعوث
جيد من تدقيقهم الكسور الى حد غير منزول اقول
في نفسي وهل يتفق ان احدا يحتاج في مثل ذلك
فاراني الله تعالى بهذه المشاحة البالغة عيانا حتى
علمت انهم رضي الله عنهم اخبروا الناس وعلموا
ما هم عليه من المشاحة التي قد تصل الى نحو ما ذكرنا
في هذه الواقعة الغريبة • ولقد رأيت من المقامات
والمنا لعند الواقعة بين الاخوان لمن سمي برسوم الفقها
والصلحا والصوفية والخطبا والايمة ما لا يسع الكلام عليه
ديوان فاقول لا اجد ذلك الا لمكث الفقي في هذا لنا ليمت
لعل الله تعالى ان ينفع به وان يوصل لكثير من الاقارب وذوي
الارحام الحنوات بسببه **تنبيه اخر** قد يقع للانسان
من الغيرة لله ولرسوله ما يقتضي ان يقتل رحمه ويوحشه
الله ورسوله على ذلك اذ مع رعاية جانب الله لا يراعي
نسيب ولا غيره الا ترى الى ابي عبيدة عامر بن الجراح
احد العشرة المشهود لهم بالجنة في يوم بدر يتصدى له
والده فاعرض عنه ثم تصدى له فاعرض عنه فلما اكثر

غريبة

ذلك عليه تصدى له هو فضربه فقتله فانزل الله تعالى مدحا
له على ذلك لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم
الاية ومما يعلم ان بغض الرحم في الله لكفره او فسقه
المتيقن من كمال الايمان وان طلب سترها في ذلك الرفق
بر والانتزال العزل والاحسان اليه الا ترى الى قوله
ايمتنا ليس لذي الرحم عيادة قريبه الذمي
وليناس بالعيادة عند بعضها من كلما فيه رفق وبالذمي
الفاسق ومن قولهم يكره له في حرب الكفار قتل رحمه
الا ان سبه بسب الله او رسوله او الاسلام تنبيه
اخر مما يحملك على التحري على صلة الرحم ويحذرك
عن قطعها ويقوي عندك العلم بان صلة الرحم تزيد
في العمر وقطعها ينقص العمر ما رواه ابو الحسن
ابن معروف والخطيب وابن عساكر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل ملكين
اخوين على مدينتين وكان احدهما بارا برحمه عادلا
في رعيته وكان الاخر عاقا لرحمه جائرا في رعيته
وكان في عصرهما نبي فاوحى الله الى ذلك النبي
انه قد بقي من عمر البار ثلاث سنين وبقي من عمر
العاق ثلاثين سنة فاخبر ذلك النبي رعية هذا
ورعية هذا فاحزن ذلك رعية العادل واحزن
رعية الجائر ففرقوا بين الاطفال والامهات
وتركوا الطعام والشراب وخرجوا الى الصحراء
يدعون الله عز وجل ان يمتعهم بالعادل ويزيل
عنهم الجائر واقاموا على ذلك ثلاثا فاوحى الله
الى ذلك النبي ان اخبر عبادي اني قد رحمتهم
واجبت دعاءهم فجعلت ما بقي من عمر البار لذلك
الجائر وما بقي من عمر الجائر لذلك البار فرجعوا
الى بيوتهم ومات العاق لتمام ثلاث سنين
وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة ثم تلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير

نفيس

تنبيه اخر لا زالت صلة الرحم سنة الانبياء

والاولا

سبب هلاك بني اسرائيل

والاوليا فعليك ان تتاسى بهم في ذلك فان الخلق الاعظم
قال موسى يا رب منعت فرعون اربعمائة سنة لم يصدع
له فيها راس فقال تعالى يا موسى انه كان حسن
الخلق فاحببت ان اكافيه فاذا علمت ان حسن
الخلق يبلغ حتى كافرا ادعى الربوبية وتجبر
على الله تجبرا لم يتجبره غيره فما بالك بحسن الخلق
من مسلم فانه يوجب من سعادة الدارين ما تقر به
العين ولذا زاد العمر في التخلق بما امكنهم ومما
يدل على صلة الرحم وان قطعوا ما اخرجه ابن اسحاق
صاحب السيرة ان الله تعالى نبأ ارميا من بني
اسرائيل وبعثه الى ملكهم ليسدده جريا على عادة
بني اسرائيل ان كل ملك لا بد له من نبي فاكثروا في
المعاصي فاوحى الله الى ارميا ان ذكر قومك نعمتي
فقام فيهم خطيبا فلم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى
في ذلك الوقت خطبة بليغة قال في اخرها عن
الله عز وجل واني احلف بعزتي لا يقيضن لكم فتنة
يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليكم جبارا قاسيا البسه
الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد
الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني
اسرائيل فصاح وبكى وشق ثيابه ونبذ التراب
على راسه فاوحى الله اليه اشق عليك ما اوحيت
اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل
ما لا اسر به فاوحى الله اليه وعزتي لا اهلك بني
اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح
بذلك ارميا وقال والذي بعث موسى بالحق لا ارضى
بهلاك بني اسرائيل ابدا ثم اتى الملك فاخبره بذلك
وكان ملكا صالحا فاستبشر وقال ان يعذبنا ربنا
فبذنوبنا وان يعفوا عنا فبرحمته واسعة فلبثوا
ثلاث سنين لم يزدادوا الا عتوا فقد عام الملك الى
التوبة فلم يتمكنوا فسلط الله عليهم بخت نصر
فخرج من ستمائة الف راية يريد بيت المقدس
ففزع الملك فقال لارميا اين ما وعدك ربك
فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد فارسل الله

الي ربنا ملكا في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارميا
من انت قال رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك
في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم ات اليهم الا بالاحسان
ولا يزيدهم الاكرام اليهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم
فقال احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر
بخير فانصرف الملك ثم بعد ايام جاءه في صورته الاولى
واعلمه انه الذي استفتاه في رحمه فقال له
ما طهرت اخلاقهم لك بعد قال يا نبي الله ما اعلم
كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمه الا اتيتها
اليهم وافضل من ذلك فقال له ارجع فاحسن
اليهم واني اسال الله ان يصلحهم فانصرف ومكث
اياما وقد نزل بخت نصر وجنوده بيت المقدس
ففزع منهم بنو اسرائيل وقال ملكهم اين ما وعدك
ربك يا ارميا قال اني واثق بوعد ربي ثم اتى
الملك في صورة رجل وهو جالس على جدار
بيت المقدس يضحك ويستبشر بوعد ربه فجلس
بين يديه فقال انا الذي اتيتك في شان اهلي
مرتين فقال ارميا الم يان لهم ان يفيقوا من
الذي هم فيه فقال يا نبي الله كل شيء كان يصيبني
منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم قد
رايتهم في عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارميا
على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم من سخط
الله فغضبت لله واتيتك واني اسالك بالله
الذي بعثك الا ما دعوت الله تعالى عليهم ان
يهلكهم فقال ارميا يا ملك السموات والارض
ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على
عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت هذه
الكلمة ارسل الله صاعقة من السماء على بيت
المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة
ابواب من ابوابها فلما راى ذلك ارميا صاح
وشق ثيابه وقال يا ملك السموات والارض
اين وعدك الذي وعدتني فنودي انه لم يصبهم
ما اصابهم الا بفتياك ودعائك فعلم انها فتياه

وان

وان ذلك السائل كان رسولا من عند الله اليه فطار ارميا
حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت
المقدس ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم •
وخرب بيت المقدس ثم امر جنوده ان يملأ كل منهم ترسه
ترابا ويقذفه فيه حتى ملاه • تنبيه اخر
قد تعاقب من قطيعة الرحم وان كان له فيه نوع من
شبهة الازري ان محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله
عنهما لما حضر قتل عثمان رضي الله عنه واعان عليه
جوزي بذلك وذلك ان عليا رضي الله عنه ولاه •
مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين واقام بها الى ان
بعث معاوية عمرو بن العاص في جنود اهل الشام
ومعهم معاوية بن حديج بضم ففتح للمهملة اوله
ومن حمله بفتح المعجمة وكسر المهملة فقتلوهم وانهزم
محمد واختفى في بيت مجنونة فدلتهم عليه فربطوه
وجروه بالارض واتى به الى ابن حديج فقال له احفظني
لابي بكر فقال له قتلت من قومي في قضية عثمان
ثمانين رجلا فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين وامر به
ان يجر في الطريق وان يمر به على عمرو لكراهته لذلك
وان يحرق بالنار في جيفة حمار فقتل ووضعه في جيفة
حمار واحرقه • وسبب خصوص الاحراق
انه يوم الجمل ادخل يده في هودج اخته عائشة رضي
الله عنها ليمسكه فظنته اجنبيا فقالت من ذا •
الذي يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
احرقك الله بالنار فقال لها يا اختاه قولي بنار الدنيا
فقالت بنار الدنيا • ولما سمعت امه اسماء بنت عميس
رضي الله عنها بخبره كظمت الغيظ حتى تشخبت •
ثدياها دما ووجد عليه علي زوجها بعد ابي بكر
وجدا عظيما وقال كان لي ربيبا وكنت اعده ولدا
ولبني اخا • تنبيه اخر صلة الرحم والميل
للاقارب وحفظ عهدهم والاخذ بثارهم امر معروف
مستقر حتى عند الحيوانات الضواري فقد ذكر •
المسعودي عن الزبير بن بكار ان اعرابيا في الجاهلية
نزل في ظل شجرة بجنب صفاة فقال ابن الرواح

تنبيه

خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فالقته اليهما
فقالا ان هذا من كنز هنا فاستمرت مهما كذلك ثلاثة
ايام فقال احدهما للاخر الى متى ننتظرها اما نقتلها ونحفر عن هذا
الكنز فناخذه فنهاه اخوه وحذره العطب فابى
الا قتلها فضربها فجرحها وبادرت الى البئر فقتلته فدفنه
اخوه وقام من الغد فخرجت اليه بلا شيء معصوبة الراس
فقال لها اني في مصيبة فابي فهل لك ان نتعاهد على ان
لا تضريني ولا اضرك وترجعين الى ما كنت عليه فقالت
له كيف وانت تعلم ان نفسك لا تطيب لي ابدا
وانت ترى قبر اخيك ونفسي لا تطيب لك ابدا وانا ارى
هذه الشجة **تنبيه اخر** كثيرا ما يغتر الانسان
على رحمه بكثرة ماله فيتردد اليه ويقطع رحمه بسبب ذلك
ويتخذ انه اعز على امه من كل احد فقد روى الامام
احمد في الزهد عن نوف البكالي قال انطلق مؤمن
وكافر يصطادان السمك فالقى الكافر شبكته على
اسم الهته فامتلات سمكا والقى المؤمن شبكته
على اسم الله تعالى فلم يحصل له الا سمكة واحدة
فاخذها فانفلتت منه فوقعت في البحر ورجع بلا شيء والكافر
رجع بشيء كثير فقال الله تعالى انظروا الى مسكن عبدي المؤمن
في الجنة فانه لا يضره ما اصابه بعد ان يصير الى هذا
والى مسكن الكافر في النار هل ينفعه ما هو فيه شيئا
تنبيه اخر ينبغي لك ان تبالغ في نفع رحمك
وتؤثرهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم فانهم احق الناس
بك واحسنهم بنفعك وترك الامر الى الغايات الحكيمة
وكان عندنا رجل من اهل البلد لكن الله تعالى
يختبر من عباده من يشاء وقد رضي ابتر وكان انسه
بازان على فلان فيتم يوما يا ما ينفعه فقال
يا بني كن على حذر من الكريم اذا اهنته ومن العاقل
اذا اهجته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الجاهل
اذا صاحبته ومن الفاجر اذا خاصمته وتمام المعروف
تعجيله وعليك باحتمال الاخوان وتفقد المعدة
للصديق واول الغضب جنون واخره ندم ثلاثة
فيها الرشد مشاورة الناصح ومداراة العدو

والحاسد

٤٤

والحاسد والتحبب للناس. احذر الحسد فانه يفسد
الدين ويضعف النفس ويعقب الندم. واذا حدثت
كبيرا فلا تنم عليه لاحد فانه اذا سمع منك نم وسمع
عنك وتحسبن ان يتم عليك كما تعيب عليه فيحترس
منك وكن اقرب الناس اليه عند فرحه وابعدهم منه
عند غضبه واياك ان تتبعه فان تحنثه واقبل قليله
فانه يفضي بك الى كثيره. وغض طرفك في مجلسه وانظر
في حديثه واكتم سره ولا تامن غضبه فان وثبته
كوثبة الاسد. يا بني اذا اردت ان تتزوج على الحكمة
فلا تملك نفسك لغيرك فان المراة حرب ليس فيها
صلح وهي ان احببتها اكلتك وان ابغضتها اهلكتك
تنبيه اخر احذر شهادة الرحم عليك فانها كما ورد في
الحديث تنطق يوم القيامة بلسان فصيح ذلق تقول اللهم صل من
وصلني ادخله الجنة ومن قطعني فادخله النار **تنبيه**
لا تظن ان الرحم هم الاقارب الادنون بل منهم الابعدون ايضا ففي
حديث الديلمي عن انس قال على طلبتي شفيعا فقلت يا رسول الله
منتسبا فاذا رايت عجبا رايت الرحم متعلقة بالعرش تنادي
في كل يوم ثلاث مرات اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني بقطيعته
فتركنا في ذلك الرحم فاذا هي في حسنه عشرا تاملات من
بيت الى عدل الخامس عشر من جملة رحمك تعلم ان المراة بالارحام
كالغريب ينسب اليك من جهة الاب والام وان بعد جدا او نزل
جدا **تنبيه اخر** ينبغي لك اذا سالك رحمك شيئا
انت قادر عليه ان تعطيه شيئا ينفعه او تدعو له تنفعه
اخرج الطبراني ان عليا اتى فاطمة فقال لها طاهر
رضي الله عنهما الوافية النبي صلى الله عليه وسلم فاستقي في
بيت ام ايمن فقالت لها يا فاطمة لقد اتيتنا في ساعة ما عودتنا
ان تاتينا في مثلها فقالت يا رسول الله هذه ملائكة الله
طعامهما التسبيح والتحميد فما طعامنا فقال صلى الله عليه وسلم
والذي بعثني بالحق ما اقتبس ال محمد نارا منذ ثلاثين
يوما ولقد اتتنا اعنز فان شئت امرت لك بخمسة
اعنز وان شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبريل انفا
قالت فاطمة بل علمني الخمس كلمات فقال قولي يا اول
الاولين. ويا اخر الاخرين. ويا ذا القوة المتين

ويا ارحم للشاكين ويا ارحم الراحمين فقالت ام المؤمنين رضي الله
عنها وقالت ذهبت من عندك بالدنيا واتيتك بالآخرة
وذكرت لزوجك فقال حبذا يا ملك حبذا يا ملك

تنبيه آخر ينبغي ان تكون لك الأسوة في رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما امرك الله تعالى به لك في قوله لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وذلك انه لما سار عليه
السلام بجموعه الكثيرة الى فتح مكة لقيه في الطريق ابن
عمه ابو سفيان بن الحارث وولده جعفر وابن عمته عاتكة
عبد الله بن ابي امية فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما
لما كان يلقى منهما من شدة الاذى في الهجو وكان ابو سفيان
المذكور اخاه صلى الله عليه وسلم من رضاع حليمة وكان
يألف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث الفا كبيرا
لما بينهما من الاخوة والرحم فلما تعب اذاه الاذى البالغ
الشديد فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك
اشقى الناس بك وقال علي لابي سفيان ائت رسول
الله من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله
لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى
ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان
فقال له لا تثريب عليكم اليوم ويقال انه ما رفع رأسه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء منه وكان
اسلامهما قبل دخولهما مكة فتأمل عظيم حلمه صلى الله
عليه وسلم ووفائه بالرحم فانه بمجرد تذكر رجع الى
غاية صلتهما والحنو والشفقة عليهما ثم بعد ان ذكرك له
قول اخوة يوسف المتضمن للاعتراف بالذنب والتقصير
في حفظ الرحم والتفريط في تضييع صلته اجاب بما
تضمن العفو والرضى وعدم المؤاخذة والدعاء بالمغفرة
فكذا ان اردت هذا التأسي الاعظم بحبيبك وشفيعك
ووسيلتك الى ربك كذلك مع رحمك فانهم اذا فعلوا معك
ما فعلوا من الايذاء والشتم والعداوة ثم جاؤوا اليك
معتذرين فاقبلهم واعف عنهم وسامحهم فيما وقع منهم
وقابلهم ببسط وجه واعطف عليهم وقربهم اليك
فانك حينئذ تكون من افضل الواصلين واكمل المقتدين
حققنا الله تعالى واياك بذلك بمنه وكرمه وفضله

تنبيه آخر

تنبيه آخر ينبغي لك اذا انتقمت من رحمك لله تعالى ثم تاب
منهم فيه ورجع الى الله تعالى ان تبادر الى صلته وقبالته في
دفع تفريطهم الاشتراك الى العفو واقع في يوم فتح مكة من سعد
ابن عبادة سيد الخزرج وكان حامل راية الانصار انه
لما رأى ابا سفيان وقد ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم
وامر من هو موكل به ان يقف به على الطريق ليرى قبائل
الاسلام وما هم عليه من القوة الباهرة والابهة
القاهرة قال له يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة فتأوه
ابا سفيان من هذه الكلمة وخشي على نفسه وقومه
الهلاك وتوقف الى سعد ان يجيء وعنى ان يكون
له قوة يحمي بها قومه ثم لما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم
قال له امرت بقتل قومك قال لا فقال ان سعدا قال
كذا ثم ناشده الله والرحم فقال يا ابا سفيان اليوم
يوم المرحمة يعز الله تعالى قريشا وقام رجل صلى الله
عليه وسلم امرأة من قريش فقالت

يا نبي الهدى اليك لجاء ... حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الارض ... وعاداهم اله السماء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر ... باهل الحجون والبطحاء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم شعرها دخلته الرأفة
بقريش ورق لهم ورحمهم وارسل عليا الى سعد فاخذ منه
الراية خوفا ان يكون له في قريش صولة وان يدفعها
الى ولد سعد وهو قيس رضي الله عنهما فتأمل هذه
الواقعة العجيبة الشأن يعني التدبر لتتأسى بافعال
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فانه مع مبالغة قريش
في قطيعة رحمه وصلته في ابنته وتعذيبهم في ابتداء
ايذاء ارحامهم من المهاجرين لما سمع منهم ادنى رقة وادنى
تعطف تعطف عليهم وعاقب سعدا بنزع تلك الكلمة
بأخذ الراية منه فكذلك ينبغي لك ايها الموفق ان تكون
كذلك فاذا بالغ رحمك في قطيعة الرحم وزاد في
الايذاء الى الحد الاعلى ثم جاءك وتوفق اليك وسألك
العفو والصفح فاجبه واحمده واشكره ولا تنظر لما مضى
منه بوجه من الوجوه فان من شأن الكرام العفو عند
ذلات اللئام والصفح والغفران والحمد لله والسلام

قصة زيد بن حارثة ٢

تنبيه اخر ينبغي لك ان تقيس على ذلك ما ملكت فضلا
عن غيرهم فلعل لك عند الله درجة لكنها موقوفة على
صبرك • ففي الحديث الذي رواه البخاري في تاريخه
وابو داود في سننه وابن شاهين انه صلى الله
عليه وسلم قال اذا كان للعبد عند الله درجة
لم يبلغها ابتلاه في الدنيا ثم صبره ليبلغه تلك
الدرجة **تنبيه اخر** قد تطلب منك محبة استاذك
ومعلمك ومرشدك اكثر من جميع اهلك لانه لا رابطة
بعده بينك الا رابطة الدين ولا قرب الا قربه •
وتامل ما وقع لزيد بن حارثة الكلبي وامه من بني
معن بن طي فاغارت عليهم خيل فاحتملوه وباعوه
بسوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة
ام المؤمنين رضي الله عنها فلما تزوجها النبي
صلى الله عليه وسلم وهبته له ثم علم به ابوه وعمه
فجاءا يفديانه فدخلا على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بالمسجد فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد
قومه انتم اهل حرم الله تفكون العاني وتطعمون
الاسير جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا واحسن
في فدائه قال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة قال
او غير ذلك ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم بغير
فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على
من اختارني فداء قالوا زدتنا على النصفة فدعاه
فقال هل تعرف هؤلاء قال نعم هذا ابي وهذا عمي
قال فانا من قد علمت وقد رايت صحبتي لك فاخترني
او اخترهما فقال زيد ما انا بالذي اختار عليك
احدا انت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد
اتختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك
واهل بيتك قال نعم اني قد رايت من هذا الرجل
شيئا ما انا بالذي اختار عليه احدا فلما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منه ذلك اخرجه الى الحجر وقال
اشهدوا ان زيدا ابني ارثه ويرثني فلما راى ذلك
ابوه وعمه طابت انفسهما وانصرفا فدعي زيد بن
محمد حتى جاء الاسلام وانزل الله تعالى ادعوهم لآبائهم

فلما كان محمد ابا احد من رجالكم ذكر ذلك ابن سعد وابن اسحاق
بنحوه وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم مولاته ام ايمن
فولدت له اسامة فكان اسامة حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابن حبه ثم زوجه صلى الله عليه وسلم قرشية
اخرى ولم يذكر صحابي في القران باسمه العلم الا زيد هذا
وجاء باسناد قوي عن عائشة رضي الله عنها ما بعث •
صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سرية الا امره عليهم
ولو بقي لاستخلفه لكنه مات في حياته في غزوة مؤتة
بارض الشام • وصح عن ابن عمر لاسامة اكثر مما
فرض لي فسالته فقال انه كان احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ابيك **تنبيه اخر** قد يكثر
ايذاء الغريب الى قريبه الى ان ييأس من صلاحه فربما
دعا عليه فاستجيب له فقد صحح الحاكم انه صلى الله
عليه وسلم دعا على عتبة بن ابي لهب لعنهما الله لشتمه
وقبحهما فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه
الاسد بالزرقاء من ارض الشام • وروى الحافظ ابو نعيم
بسنده الى الاسود بن هبار قال تجهز ابو لهب وابنه
عتبة نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا الشراة قريبا
من صومعة راهب فقال الراهب ما انزلكم هاهنا
هنا سباع فقال ابو لهب انتم عرفتم سني وحقي قلنا اجل •
قال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه
الصومعة ثم افرشوا لابني عليه وناموا حوله ففعلنا ذلك
وجمعنا المتاع حتى ارتفع ودرنا حوله وبات عتبة فوق
المتاع وجاء الاسد فشم وجوهنا ثم وثب فاذا هو فوق
المتاع فقطع راسه فقال سيفي يا كلب ولم يقدر على
غير ذلك وفي رواية فضربه الاسد بيده ضربة واحدة
فخدشه فقال قتلني فمات لساعته فطلبنا الاسد فلم
نجده وسمى صلى الله عليه وسلم الاسد كلبا لانه يشبهه
في رفع رجله عند البول • وتامل هذا مع ما وقع للاسد
مع سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
لما اخطا الجيش او اسر بارض الروم فانطلق هاربا فاذا
هو بالاسد فقال له يا ابا الحارث انا سفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من امري كيت وكيت

قصة سفينة مع الاسد ٢

فاقبل يبصبص حتى قام الى جنبه فلم يزل كذلك حتى يخرج الجيش
من جم الاسد رواه البيهقي وفي رواية فقلت انا سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا نابر فجعل
يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق ثم همهم فظننت
انه السلام **تنبيه آخر** احذر ان تبعد من يبغضك
اتكالا على قرابته وان تدني عدوك ثقة به فان الاول
يميل متوددا اليك والثاني لا يهمل الا ترى انه قيل لابي
مسلم الخراساني وهو المزيل لدولة بني امية والمحيي
لدولة بني العباس ما كان سبب خروج الدولة عن بني
امية قال لانهم ابعدوا اولياءهم ثقة بهم وادنوا عدوهم
تالفا لهم فلم يصر العدو صديقا بدنوه وصار الصديق
عدوا بابعاده **تنبيه آخر** ينبغي لك ان تتباعد
اقاربك على ما يحويهم لا سيما النساء لضعفهن وكثرة تطرق
الفساد اليهن فاذا وقع البغض ازمع الازواج سيما
بحيث يغلب منه الفساد فاجتهد في ازالته ما امكنك
الا ترى الى ما حكاه بعض المورخين ان بهادار في مملكته
قسطنطنية عرف بباب فطلب ما فخرجت اليه امراة جميلة
فناولته كوز ماء فاستقى بها فراودها عن نفسها
فتطلعت انه لا يمكنها الامتناع فاخرجت له كتابا وقالت
انظر في هذا حتى اصلح شاني فنظر فيه فاذا فيه الزجر
عن الزنا فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح عليها
فناولها الكتاب ثم ذهب فلما جاء زوجها اخبرته الخبر
فخاف ان يكون للملك فيها غرض فلم يجامعها بعد ذلك
وطيها بعد ذلك مدة فاعلمت اقاربها فرفعوه للملك
فقالوا ان هذا قد استاجر منا ارضا للزراعة فزرعها
مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنوجرها
لمن يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها
بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال
الملك لزوج المراة ما يمنعك من زرع ارضك فقال
بلغني ان الاسد دخلها وقد هبته فلم اقدر على
الدنو منها لعلمي باني لا طاقة لي به ففهم الملك
القصة فقال له يا هذا ان ارضك طيبة فاحرث للزراعة
فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود

فقد حكي

البها

البها ثم انه وصلها ولزوجها بصلة حسنة **تنبيه آخر**
احذر ان تقطع رحمك ولو بادر من قاطع فيغضب الله تعالى
من يستحق منك ويسيئه ويعاملك بعد فقدك الا ترى انه
لهشام بن عبد الملك فانه حج في ايام ابيه وهو امير المومنين
فلما طاف جهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فعجز
عن ذلك من الزحام فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر الناس
ومعه جماعة من اعيان الشام اذ اقبل الامام زين العابدين
علي بن الحسين رضي الله عنهما وكان من اجمل الناس وجها
واطيبهم ريحا فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلمه
فقال رجل من اهل الشام من هذا فقال لا اعرفه مخافة ان
يرغب فيه اهل الشام وكان الفرزدق حاضرا فقال
انا اعرفه فانشد قصيدته المشهورة ومنها

هذا ابن خير عباد الله كلهم . هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطاته . والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا راته قريش قال قائلها . الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يغضي حياء ويغضى من مهابته . فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته . كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله . بجده انبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره . العرب تعرف من انكرت والعجم
ما قال لا قط الا في تشهده . لولا التشهد كانت لاؤه نعم
من معشر حبهم دين وبغضهم . كفر وقربهم منجى ومعتصم

فغضب هشام على الفرزدق وامر بحبسه فانفذ له زين
العابدين اثني عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء
فارسل اليه انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده والله
تعالى يعلم نيتك ويثيبك عليها فشكر الله لك سعيك فلما
بلغته الرسالة قبلها **تنبيه آخر** مما ينبهك على
تاكد صلة الرحم ما اخرجه البخاري في صحيحه عن انس رضي
الله عنه قال كان ابو طلحة رضي الله عنه اكثر الانصار
بالمدينة مالا من نخل وكان احب امواله اليه بيرحاء
وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال
انس فلما انزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

واقعة زين العابدين مع هشام

قصة ابو طلحة رضي الله عنه

وقال يا رسول الله ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وان احب اموالي الي بيرحا وانها صدقة لله ارجوا
برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث اراك
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال
رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت واني ارى ان تجعلها
في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في
اقاربه وبني عمه فتامل حرمة الاقارب وانهم اولى الناس
ببرك وصلتك وانك اذا تصدقت بصدقة او وقفت
وقفا فالاولى لك ان تجعله في اقاربك ورحمك . ومع
انه صلى الله عليه وسلم لما حلق راسه عمي فرق شعر
شق راسه الايمن على اصحابه الشعرة والشعرتين
واعطى ابا طلحة هذا الشق الايسر كله لمعنى قرابته
الجميلة التي منها بالعفة في صلة الرحم . انتهى
تنبيه اخر احذر ان تستعجل لشيء فعلا وانه فانك
تعاقب بحرمانه لاسيما اذا كان ذلك في الرحم الا ترى
الى ما وقع في بني اسرائيل ان رجلا منهم كان غنيا وله ابن
عم فقير لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه
ثم حمله فالقاه بين قرية اخرى ثم اصبح يطلب
بثاره وجاء بناس الى موسى عليه السلام فادعى عليهم
القتل فجحدوا فاشتبه امر القتيل على موسى قال
الكلبي وذلك قبل نزول اية القسامة في التورية
فسالوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم فاوحى الله اليه
امرهم بذبح بقرة فشددوا فشدد الله عليهم حتى
اشتروها بملء جلدها ذهبا ومن ثم ورد عن نبينا
صلى الله عليه وسلم قال لو اعترضوا ادنى بقرة كانت
تذبحها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم
ذلك سلفنا سوء . ولما عينت لهم ذبحوها ثم ضربوا
القتيل ببعضها اي بلسانها او غيره على الخلاف فيه
فقام القتيل حيا باذن الله واوداجه تشخب دما
وقال قتلني ابن عمي فلان ثم سقط ومات مكانه
محروما الميراث فتامل شؤم قطيعة الرحم وفي هذه
القصة اظهر فضل لصلة الرحم فان تلك البقرة
كانت ليتيم بار بامه فنفعه الله تعالى ببركة بره .

قصة بقرة بني اسرائيل م

لانه

عرض الاعمال في الاثنين والخميس م

لانه وصلة الرحم فشتان ما بين الاول القاطع وهذا البار
الواصل تنبيه اخر من شؤم قطيعة الرحم ان الله تعالى
يحرم القاطع فضله من اوقات تفضله على عباده ويشاهد
ذلك حديث الطبراني تعرض الاعمال على الله تعالى
يوم الاثنين والخميس فيغفر الله الا ما كان من متشاحنين
او قاطع رحم . وحديث احمد وابي داود والترمذي
تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر
فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه
وبين اخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا
وللخطيب وابن عساكر ان اعمال العباد تعرض على الله
في كل اثنين وخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا
الا عبدا بينه وبين اخيه شحناء . وجاء من طرق ان الله
يطلع على خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده
الا لجماعة منهم المتشاحن وقاطع الرحم تنبيه اخر
اخبرنا امامنا الشافعي رضي الله عنه انه لا ينفع ذكرها لا اسفل
لا همة له ولا مروءة او ظالم لا دين له ولا نخوة ظلم نفسه .
وعدم عقله وحسبه حيث اذا ظلم الناس لصفته اللئيمة .
اذا ارتفع فانه حينئذ يجفوا اقاربه ويتكبر عليهم ويتحقق
بالاشراف ويتكبر على ذوي الفضل فاحذر ان تكون ايها
غير كريم وسفلا غير ذي رحيم تنبيه اخر

وصية حسنة

ينبغي لك ان تجعل ذكرك وتصدق بالك فيما جاء عن سادس
الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو .
قوله يا ميمون بن مهران احفظ عني اربعا لا تصحبن
سلطانا وان امرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون
بامراة وان اقراتها القران . ولا تصلن من قطع رحمه فانه
لك اقطع . ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر عنه غدا . فتامل
قوله رضي الله عنه فانه لك اقطع تعلم ان قاطع الرحم لا يؤمل
منه صلة لاحد وقد بين رضي الله عنه سبب ذلك بدليله الواضح وهو
قوله فانه لك اقطع وذلك لانه اذا استهتر بالرحم وقطع صلتها
التي امر الله تعالى بها ورسوله واجمع المسلمون على تاكد حفظها
ولو فاتحوه فيها على الوجه الاكمل والحال الافضل كان بغيرها
من سائر الحقوق وغيرها من حقوقها على كل حال اقطع واظهر
فحينئذ تقطع من صلته امال المؤملين ويياس الناس من ذكرها

حتى تبيد على توالي الايام وتعاقب السنين والاعوام حرسنا الله واياك
من هذه الحالة ان تفجعه فانه ربما اعداه فتقلبه الى طبيعته
اللئيم وعدل به عن الصراط المستقيم وهذا احسن القائل •
عدوى البليد الى الجليد سريعة • والجمر يوضع في الرماد فيخمد •
تنبيه اخر ينبغي ان تغتنم دعاء رعاياك بمزيد
عدلهم وترك الاجحاف اليهم فان الدعاء يظهر العجب من
الاجابة لا يرد فكيف من الاقارب فقد حكي ان بعض
الخلفاء العباسيين اراد ان يحدث مظلمة فقال
لاهل بغداد ان فعلت هذا ما تريدون فقالوا وهل لكم قدرة
على محاربتي فقالوا نعم قال بماذا فقالوا بسهام الليل
فقال لا اذا لا قدرة لي على محاربتكم ومن ذلك ان نظام
الملك لما ولي وزارة الملك ابي الفتح ابن الب ارسلان
وكان قد وزر لابيه من قبله فقام بدولتهما احسن قيام
حتى ذلل له الملوك وفضله عن غيرهم وكان مما مهد له ذلك
انه اشتد بجبلته على رعاياه حملة الدين من العلماء
والفقهاء بنى المدارس للعلماء والفقهاء والرباطات
للصوفية والزهاد ثم اجرى عليهم من الارزاق ما عمهم
وعمهم حتى لم يبق في مملكته احد الا وهو مغمور بنعمه
واحسانه فلم يكن من اوائل مملكته وهو من بيت المقدس
الى ما وراء الشام وديار بكر والعراقين وخراسان باقطارها
وسمرقند من وراء نهر جيحون سيرة زها مائة يوم
حامل علم او طالبه او متعبد او زاهد في زاويته الا
وكرامته واصلة اليه وكان جملة ما يصل اليهم ستمائة
الف دينار في كل سنة فوشى به الى ابي الفتح واغروا
صدره عليه فقال له الملك يا ابه بلغني انك تخرج هذا
المال الى من لا ينفعنا فبكى نظام الملك وقال
له يا بني انا شيخ اعجمي لا ساوى خمسة دنانير وانت
غلام تركي لا تساوي ثلاثين دينارا وانت مشتغل
في لذاتك وشهواتك واكثرها يصعد الى
الله تعالى بما يغضبه وكذلك جيوشك فاقمت لك
جيشا يسمى جيش الدعاء اذا نامت جيوشك ليلة قامت
جيوش الليل صفوفا على اقدامهم بين يدي ربهم فارسلوا
دموعهم واطلقوا السنتهم ومدوا الى الله تعالى اكفهم

بالذي

بالذي قالت وجيوشك قامت وجيوشك في خفارتهم تعيشون
وبدعائهم تبيتون وببركاتهم تمطرون وترزقون تخرق
سهامهم الى السماء السبع بالدعاء والتضرع فبكى الملك •
ثم قال شاباش يا ابه شاباش يا ابه اكثر لي من هذا
الجيش **تنبيه اخر** اعلم ان من قطع رحمه كان كالظالم له
بيد خالق جميع ما اعده الله للظالمين في الدنيا والاخرة
وقد قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما
يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية وعيد للظالم
وتسلية للمظلوم • وقال كعب الاحبار مكتوب في التوراة
من يظلم يخرب بيته فقال ابو هريرة ذلك في القران قال
تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم اذا يجر
الى سلب النعم وحلول النقم • وفي حديث مسلم القدسي
يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما
فلا تظالموا • وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة • اتقوا
دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب من كانت
له عند اخيه مظلمة من عرضه او ماله فليتحلله منه قبل
ان لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه
ان الله تعالى يملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته • وقرا صلى
الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
ان اخذه اليم شديد **ومما يصرح** بان قطيعة الرحم ظلم
واثما كبيرة وفسوق وان الظلم اعم من الفسق وقد حذر
الله من ذلك بقوله عز من قائل واذا اردنا ان نهلك قرية •
امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا اي امرناهم بالطاعة فخرجوا عنها • وجاء ان بذنوب
الخلق يمتنع المطر فتهلك الحشرات والدواب وتقول هذا من
اجل عصاة بني ادم فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون
وحكي ان رجلا كان ينادي من رآني فلا يظلمن احدا
فقيل له ما ذا فيقول اخذت من صياد سمكة ظلما فعضت
السمكة ابهامي فوقعت منها الاكلة فقطعتها فسرت
الى كفي وذراعي فقطعتها فسرت الى العضد فخرجت سائحا
لاقطعه فنمت فرايت قائلا يقول لي لم تقطع اعضاءك رد
الحق الى اهله فعدت الى الصياد فذكرت له ذنبي فحللني

ثم تناثر الدود من عضدي وسكن الوجع فقلت له بماذا
دعوت علي قال نظرت الى السما فقلت يا رب اشهد انك
عدل تحب العدل وهذا استحق وعدل دخلقتني وخلقته
وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا فاسئلك اللهم كما خلقته
قويا وخلقتني ضعيفا ان تجعله عبرة لخلقك • وقال
بعضهم من الظلم ما لا يغفر وهو الشرك وما لا يتركه الله
تعالى وهو مظالم العباد وما لا يعبأ الله به وهو ظلم العبد
لنفسه فيما بينه وبين الله • قال سليمان بن عبد الملك
لابي حازم ادع الله لي قال اذا دعوت الله هنا ومظلوم بالباب
يدعوا عليك فاي الدعوتين احق بالاجابة **فائدة**
سبق حديث البخاري من كانت لاخيه عنده مظلمة فليتحلله
منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ من حسناته
لاخيه فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه
فاستشكل بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل
نفس اثم نفس اخرى ورد بان معنى الاية ان احدا لا يعاقب
بذنب احد ابتدا واما من سيئاته فهو لم يعاقب الا على مظلمة
بغيبة عنده لم يجدها وقد نقمت سيئة المظلوم عليه
انما يعنيها من فعله لا غير فلم يعاقب بفعل غيره وهذا
معنى قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم على
احد التفاسير **وروي** مسلم اتدرون من المفلس
قالوا من لا مال له فقال المفلس من امتي من يأتي
يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا
وقذف هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي
ما عليه اخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم القي في النار
فائدة اخرى اختلفوا في حشر البهائم وجريان
القصاص بينها فقال ابن عباس حشرها موتها وقال
الجمهور بل تحشر ويقتص للمظلوم منها من ظالمها بيانا
واظهارا للعدل في ذلك اليوم ومن ثم جاء انه يقتص في ذلك
اليوم حتى للجمادات بعضها من بعض ويؤيد ذلك قوله
تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم الاية وقوله واذا الوحوش حشرت وخبر مسلم
لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة

الجلحا

الجلحا من الشاة القرنا فالمراد اظهار العدل في ذلك اليوم
لا حقيقة القصاص لعدم التكليف نقله الاشعري لا قصاص
بينهما اي حقيقة وقال الاستاذ ابو اسحاق يقع
بينهما القصاص اي موازنة فلا خلاف في المعنى فلا ما لمن
زعم محالا ان لله تعالى ان يتصرف في ملكه كما شاء فكما جاز
ان يولمها ابتدا جاز ان يولمها بعد حياتها وقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا المراد منه التعذيب
على عدم امتثال الامر والنهي وتعذيب البهائم لا من
حيث المعصية بل من حيث التصرف في الملك بما اقتضته
الحكمة الالهية • وصح في الحديث اقتلوا الوزغ فانه
كان ينفخ النار على ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فلذا عوقب لسوء طبع جنسها • وصح ايضا
ان موسى ضرب الحجر الذي فر بثوبه الخ وضمنه عليه
ليغتسل وتركه عريانا لينظر بنوا اسرائيل عورته
ويعلموا براءته مما اتهموه به من الادرة اي كبر الخصيتين
لكونه كان يغتسل في خلوة عنهم **تنبيه اخر**
اذا بلغ رحلك في قطيعة واذا بنيت فاصبر وتحمل اذاه
مهما استطعت فان الله تعالى لابد ان يعوض عليك
بصبرك اعز من الاذى الذي قدره الله تعالى لهاجر وابنها
اسمعيل عليه السلام وذلك ان سارة ام اسحاق
غارت من هاجر سرية ابراهيم لما ولدت اسمعيل
فاراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان يبعدها
عنها فامر بحملها الى مكة فوضعها عند البيت عند
دوحة فوق زمزم وليس ثم احد ولا ماء وقد وضع عندها
جرابا فيه تمر وسقا ماء ثم ولى ذاهبا فتبعته قائلة الى من
تدعنا هاهنا وكررت ذلك وهو لا يلتفت اليها فقالت
الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ورجعت
فاستقبل ابراهيم الكعبة ودعا بما حكاه الله عنه في اخر
سورة ابراهيم ثم نفذ ماؤها فاشتد بها وبولدها
العطش فذهبت الى الصفا لتنظر احدا فلم ترى احدا
فنزلت مسرعة في عدوها الى المروة لتنظر احدا فلم ترى
احدا فكررت ذلك سبع مرات فلم تنظر احدا وفي حديث
ان ذلك كان سبب سعي الناس بين الصفا والمروة • ولما

وانتقلت هاجر ام اسمعيل عليها السلام

كانت الحزيرة عند المروة سمعت صوتا فانكرته ثم سمعته
فاذا هو الملك عند زمزم فضرب بعقبه او بجناحه الارض
حتى ظهر الما فجعلت تحوض عليه وتقول زم زم فلذلك
سميت زمزم وجا في حديث يرحم الله ام اسمعيل لو تركت
زمزم لكانت عينا معينا ولما شربت وارضعت ولدها
اسمعيل قال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا
بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه ان الله تعالى
لا يضيع اهله ● ثم كان من شان بنا البيت على يد ابراهيم
واسمعيل وكثرة ذرية اسمعيل وكون العرب من ذريته
وكون نبينا صلى الله عليه وسلم منهم ما هو مشهور
ويعلم بان هذا وامثاله عاقبة المظلومين وشان
المقطوعين فثق بالله وتوكل عليه وفوض امرك
اليه فانه لا بد ان ينصرك على من ظلمك وان يعوضك
ثم يقهر من حرمك وقطعك ● تنبيه اخر اذا قطعك
رحمك فابتهل الى الله تعالى في ان يجبر كسرك ويصل
قطيعتك فانه يستجيب لك لان دعوة المظلوم ليس
بين الله اي قبولها وبينها حجاب ● ومما يحملك على ذلك
اذا تاملت فيما وقع ليوسف عليه السلام مع اخوته
لما رموه في الجب وباعوه وبالغوا في قطع رحمه وذلك
ان يوسف عليه السلام لما بيع ووصل الى مصر اشتد حزنه
وصار يبكي ليلا ونهارا على فراق ابويه واخوته ووطنه
وابتلايه بالرق فاشتد دعاوه الى الله تعالى في
بعض الليالي ان الله يجعل له فرجا ومخرجا ويحبب اليه
هذه البلدة التي دخلها وكذا كل من دخلها ويجمع
بينه وبين ابويه واخوته فاعلمه في نومه انه استجاب
له جميع ذلك وانه سيملكه مصر واقليمها ثم حقق الله
تعالى له ذلك جزاء لصبره على ما ابتلي به من قطيعة
رحمه وما رمي به مما هو مطهر منه صلى الله عليه وسلم
فكن كذلك ليقيك الله تعالى ذل هذه النقم ويدفع
عنك سائر البلايا والنقم فانه سبحانه وتعالى اكرم
كريم وارحم رحيم قال الطرطوشي ودعا يوسف
عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يحبب مصر لكل من دخلها
فصارت محبوبة لكل من دخلها لا يكاد احد يخرج بعد ان

دخلها

دخلها ان يخرج منها قال مماذ ما سكنها نبي بعد يوسف عليه
الصلاة والسلام وعلى نبينا ● وظفر امير يزيد بن عبد الملك
على خريجية بعد قوله وفي يده عنقود عنب فقال له والله لطال
ما سالت الله ان يمكنني منك من غير عهد ولا عقد فقال له الاخر
والله لطال ما سالت الله تعالى ان يجيرني منك فقال له الامير
والله لئن سابقني ملك الموت الى روحك لاسبقنه والله لا اكل
هذه الحبة حتى اقتلك فاقيمت الصلاة فوضع العنقود من
يده وصلى فبينما هو راكع اذ تواعد اهل امير يقتله على قتله
فتقدم اليه رجل منهم وضربه بعمود على راسه فقتله ونبذ
لذلك الوجدان حيث ساب فسبحان من قتل الامير الباغي
واحيا الاسير الداعي سنة الله التي قد خلت في عباده انه يملي
للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ● ومما يقرب من ذلك ان ملكا
ارق ليلة ولم يدر ما سبب ذلك فقال لعل بلدي احدث فيه فامر بقوم
ليسير مركب اليمنا ثم اصبح فراي المركب في موضعه لم يبرح فقال
فقالوا ذهبنا حين امرتنا فلما توسطنا البحر سمعنا صوتا يكرر
باعيانه المستغيثين فاجبناه بلبيك وتوجهنا نحوه فاذا هو غريق
على احد دفوف من جانب فاخذناه وسالناه عن حاله فقال
غرقت مركبنا منذ ايام وقد اشرفت على الموت فعرفنا ان ارق
الملك انما كان لاجل خلاص هذا الغريق ● ووقع بالقيروان
ان جزارا ذبح كبشا فتفلت منه فتبعه وهم ذبحه وتبعه والسكين
ملطخة بالدم في يده فدخل خربة ليبتدره فاذا انسان مقتول
فادركه الناس ولم يشكوا انه القاتل فحملوه للسلطان ليسال
فاقر بانه قتله فامر به ليقتل فلما قدم للقتل برز رجل وقال
هذا مظلوم والله انا قاتله فحمل الى السلطان فقال له ما حملك
على هذا وقد كنت نجوت فقال رايته يقتل ظلما فكرهت لقاء
الله عز وجل بدم رجلين فامر به فقتل ثم قال للاول ما حملك
على الاعتراف فقال رايت الانكار والاعتراف لا يفيدان فقال
له انصرف مكرما ● وكان ناصر الدولة ابن حمدان به قولنج
اعيى الاطبا علاجه فعزم السلطان على قتله فارصد له
رجلا بسكين اذا امر به هلل لعشر ضرب بر موضع للعشا
الذي فيه تلك العلة استفرغ الخاصرة فخرج ما فيه من الخلط
ثم عولج فصح وبرا احسن ما كان ● تنبيه اخر من باهر
نصرة الله تعالى للرحم ما وقع لموسى بن جعفر الكاظم رضي الله عنه

لما حبسه هارون الرشيد فانه دعا صاحب شرطته فقال
له رأيت حبشيا اتاني في منامي ومعه حربة فقال لي ان لم تخل
عن موسى بن جعفر والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل
عنه واعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام عندنا فلك
ما تحب وان احببت المضي الى المدينة فامض قال صاحب
الشرطة لموسى لقد رأيت من امرك عجبا قال انا اخبرك بينما
انا نائم اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى
حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في
السجن قل يا سامع كل صوت الدعا المشهور وهو في حياة الحيوان
في البعوض ◦ وكان الشافعي رضي الله عنه يقول قبر موسى الكاظم
الترياق المجرب **تنبيه اخر** ينبغي لك ان تتاسى بالاكابر
في حفظ الجوار فضلا عن القرابة وذلك انه كان للامام ابي ◦
حنيفة رضي الله عنه جار اسكاف يشرب الخمر ليلا فاذا ◦
سكر وغلب عليه السكر غنا وقال ◦ ◦ ◦
اضاعوني واي فتى اضاعوا ◦ ليوم كريهة وسداد ثغر ◦ ◦
كاني لم اكن فيهم وسيطا ◦ ولم تك نسبتي في ال عمرو ◦ ◦
اجرد في المجامع كل يوم ◦ فيا لله مظلمتي وصبري ◦ ◦
ويكرر ذلك وابو حنيفة رضي الله عنه يستمع لانه كان ◦
يقوم الليل كله ففقد صوته فسال عنه فقيل اخذه العسس
منذ ليال فركب بغلته واتى دار الامير فاذن له وامر
ان لا ينزل الا على بساطه فلما نزل وسع مجلسه وساله عن ◦
حاجته فتشفع في جاره فقال الامير اطلقوه وكل من اخذ معه ◦
من تلك الليلة الى الان فخلوا سبيل الكل فركب ابو حنيفة ◦
رضي الله عنه بغلته وخرج الاسكاف يمشي وراءه فقال ◦
له ابو حنيفة هل اضعناك قال لا بل حفظت الجوار ورعيت
فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل توبة نصوحا
فتامل حسن رعاية الجوار فضلا عن الرحم وما يترتب ◦
على ذلك وفقنا الله واياك لمرضاته **فائدة**
هذا البيت لابن ابي عثمان وقد استدل به النضر بن شميل
على المامون لما روى حديث اذا تزوج الرجل المراة لدينها
وجمالها كان فيها سداد من عوز بفتح السين فقال له النضر
انما هي مكسورة والفتح لحن فقال له اتلحنني يا نضر فقال
انما لحن هشيم راويه ثم ساله عن الفرق فقال هو بالفتح

القصد



القصد في الدين وبالكسر البلغة وكلما سددت به شيئا فهو سداد
فقال او تعرف العرب ذلك قال نعم هذا البيت فامر له بخمسين
الف درهم عند الفضل بن الربيع فساله عن السبب فحكاه له
فزاده ثلاثين الف درهم وجوز غير النضر الكسر والفتح وهو
ظاهر **تنبيه اخر** من وخيم قطيعة الرحم ان الله تعالى يعاجل
القاطع بقطيعته ويرميه بهوانه وفضيحته الا ترى الى ان
زياد بن ابيه لما جمع الناس بالكوفة في اثارة عليهم ليلعنوا
علي كرم الله وجهه ويتبراوا منه فملا بهم المسجد والقصر
والرحبة وكان يوما عظيما فاخذت بعض الحاضرين سنة
فراى اسدا في صورة مزعجة مهولة ضخما فقال له الى اين
قال بعثت الى صاحب هذا القصر فاستيقظ الرجل فزعا
فاخبر اصحابه فبينما هو يخبرهم اذ خرج عليهم صاحب زياد
قائلا ايها الناس انصرفوا فان الامير مشغول عنكم فاذا هو
قد ضربه الله في تلك الساعة بالفالج فاخش ايها القاطع
لرحمه ان الله تعالى يعجل عليك بقهره وسطوته فبادر
الى الله تعالى بالتوبة من القطيعة لتنجو من سخطه واليم ◦
عقابه **تنبيه اخر** لم تزل صلة الرحم في الجاهلية والاسلام
معروفة بين الناس يمدح فاعلها ويذم قاطعها فان قاطعها
اشر الناس وفاعلها اجل الناس ومما يدل على ذلك
ما ذكره ابن ظفر في كتابه خير البشر بخير البشر ان يزيد
ابن عبد كلال عم عشيرته عطيته فوفد عليه زعماء العرب
وشعراؤهم فاوسعهم عطاء ثم راى رؤيا ازعجته واخافته
خوفا عظيما واسهرته فانقلب سروره حزنا وجعل يستخبر
الكهان ويسالهم فلم ير عندهم علما فتقاعس فبلغته جنية
فقالت له امه وقد تكهنت ان الكواهن اهدى لما تسال
عنه فجمعهن اليه فلم يجد عندهن شيئا فايس ثم ذهب
بنفسه فاشتد عليه الحر فقد راى بيتا فتلقته عجوز ورحبت
به فلما اشتد الاوار وخففت نام فاستيقظ فاذا
فتاة بين يديه لم ير مثلها فقالت ايها الملك هل لك
في الطعام فخاف على نفسه اذ عرفته فقالت له حذار
عليك فاكل وشرب وهي تذهب عنه فتاملها وهي مقبلة
ومدبرة فوعت عينه فقال لها من عرفك بي فذكرت له
حشره للكواهن والكهان لرؤياه فقال لها افتعلمينها

واقعة وقصة عظيمة

قالت نعم ثم بينتها لك بانه رأى رؤيا عظيمة متتابعة فيها
لهب يلمع ودخان يسطع ونور يلمع وعقبها صوت يجري ويصيح
فيها موت عظيم فهابها فلما هلموا الى هذا الشيخ فانه من يثرب
يزجر عنه سرى وامن فقال لها نعم هذه رؤياي فما تأويلها
فاولت له الرؤيا بان ملوك التبابعة وهم ملوك اليمن
والهن العلم الواسع والصوت بان موت نبيها فقال
لها اسلم هذا المقام حرب فانتهت لك امن حرب بريق الدما
وتبيني التنا فبينت فهن وبينتهن في الخدمة فقال
لها الرؤيا يدعو الى الصلاة وصيام وارحام وكسر
اصنام وتعطيل ازلام واجتناب اثام فقال من حرس قالت
مضر بن ربيعة وبينهم وقايع يثور فيها الغبار وتذبح
فيها الرجال فقال اذا ذبح مضر من النضارة قالت سادة
اجلا يحتقون البدو ويفرون بين يديه فالحرق واتر نفسه
من خطبتها فاخبرته بانه نكحها حتى عنود لا يمكن احدا ان
ينكحها بعده فانطلق عنها وارسل اليها بماية ناقة
كرمه فتامل صلة الارحام وتأكدها وان الجاهلية
كانوا يعرفونها بهذه المثابة العظيمة فانها لم نذكر من
مزيانه صلى الله عليه وسلم الا الدعا اليها وما فيها مجملها
من اعاظم صفاته صلى الله عليه وسلم المعروفة لعظيم
خطره في الجاهلية قبل وجوده وبعثته بازمنة طويلة
فعليك بالمبالغة في التخلي بهذه الصفة التي قد تلي عليك
من عظيم قدرها ما تلي وتحقق عليك من دلائلها ومن
فضائلها وعوائدها ما قص عليك فان ذلك تجده ان لم
يوثر فيك باعثا يبعثك على المبالغة في التحلي بصلة الرحم
والا كنت عبدا محروما شقيا بعيدا ابعد من فلاحك
وصلاحك ونجاحك فابك على نفسك فانه فرض عليك
موجب شقاوتك وفقنا الله واياك لما يحبه ويرضاه
تنبيه اخر ينبغي لك ان تديم شكر نعمة الله عليك
بصلة رحمك وغيرهم والا يوشك ان يزيلها الله عنك
في اسرع من طرفة عين فتصير حقيرا ذليلا الا ترى الى
قول محمد بن عبد الرحمن الهاشمي دخلت على امي يوم
عيد اضحى فرأيت عندها امرأة في ثياب رثة دنسة
فقالت لي امي اتعرف هذه قلت لا قالت هي ام جعفر

ابن يحيى

ابن يحيى البرمكي فسلمت عليها وقلت لها حدثيني ببعض
امركم قالت اذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر مر علي مثل
هذا اليوم يوم عيد وعلى راسي اربعمائة وصيفة وانا ازعم
ان ابني جعفرا عاق لي وقد اتيتكم اليوم اسألكم جلدي
شاة احتذي احدهما شعارا والآخر دثارا قال فدفعت
اليها خمسمائة درهم ولم تزل تختلف الينا الى الموت
تنبيه اخر احذر ان تقطع رحمك فيقطعك الله عنه
او اشد الاذى الى ولد كسرى انوشروان لما قتله •
فتح خزانته فوجد فيها حقا مختوما مكتوبا عليه نافع
للجماع مجرب من اكل منه كذا استقبل لوقته وجامع ثمانين
فاكل منه فمات لوقته وذلك ان كسرى قال لما تيقن
انه يقتل فقال لا تمكث الا يسيرا بعد موتي ثم لا حتفا سما
موحيا وكتبت عليه ما ترى فاول ما فتح ولده خزانته ذاته
فلم يملك الا مدة يسيرة فكان قد حقق لبغيه وقطعه
لرحمه ومما حمله على سرعة قتله له انه كان لابيه ثلاثة
آلاف امرأة لا يتركن الا لابنه الاكبر فتطلع اليهن لما كانت
تقوى عليهن بمثل هذا الدوا **خاتمة في ذكر**
الآيات للصحبة حقوقا لا يتم كمال صلة الرحم المطلوبة
المتأكدة الا بها فلا بأس بذكر بعضها اعلم ان اشرف
ما يتزين خلقا الحضرة المحمدية وادل المراتب العلية
هو تأسيهم باخلاق نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
وشيمه الكريمة التي تأدب فيها بآداب ربه عليه
وحقق امره بحسب الامكان حتى مدحه تعالى بقوله
وانك لعلى خلق عظيم وتولى بنفسه تعليمهم فقال
تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر
فاذا عزمت فتوكل على الله ثم قال ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك • وسئلت عائشة
رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت
كان خلقه القرآن قال تعالى خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين • فالحمد لله الذي اهلهم لهذه
المراتب السنية • واكرمهم بهذه الاخلاق المحمدية
وهداهم الى صحبة الاخوان لا سيما اهل الفضل الامناء غير
منهم والاكابر • وعراهم عن الادناس الذميمة والاخلاق

حقوق الصحبة

الدينية في الباطن والظاهر فاحبوا حبيبه صلى الله عليه وسلم
وصفيه بانه الذي من عليهم بالتوفيق والهداية لهذه
المعالي فتعاونوا بها على ممر الايام والليالي بقوله عز
وجل لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم فالالفة سبب للاخوة والاخوة
سبب لحسن العشرة وعظيم المودة والمحبة • والله
تعالى هو الموفق لذلك من يشاء من عباده والمعين لهم
بفضله ورحمته ووداده • فهو ولي ذلك والقادر عليه
والامور كلها اليه اعلم ان اداب الصحبة وحسن العشرة
على وجوه ولكل فرقة من ذلك وجوه منها تناسب
طريقتهم فاحفظ ادابك ونزل ادابك مع اقاربك
على حسب ما يليق بكل منهم لتفوز بالاحسان الى جميعهم
والقيام ببرهم وصلتهم على الوجه الاكمل ولا تظن ان
ذلك خاص بهم بل يجري في غيرهم الا انهم انما قصدوا بالذكر
لان حقهم اكد من حقوق غيرهم فقطيعتهم اقبح من
قطيعة غيرهم وبرهم والصدقة عليهم افضل من غيرهم
ومن تلك الاداب ان تعلم وتستحضر ان المؤمن اخو المؤمن
فان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وان
المؤمنين كلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى
كله فكن كذلك مع اخوانك • واحذر ان تصاحب الا من
ينهضك حاله او يدلك على الله تعالى مقالة وعمله
وانفعا له واذا اراد الله بعبد خيرا وفقه لمصاحبة
اهل السنة والصلاح والدين ونزهه عن صحبة
اهل الاهواء والبدع والمخالفين • وقد روي ان المرء
على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ومنها
حسن الخلق لاسيما مع الاقارب والاصدقاء فقد اثنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نزلت الاشارة اليها
في المقدمات • وفي الحديث يا رسول الله ما خير ما اعطي
الانسان قال حسن الخلق ومنها ما ريد عيوب
ما استطعت قال بعض الائمة المؤمن يطلب معاذير اخوانه
والمنافق يطلب عثرات اخوانه وقال بعضهم اذا زل
اخوك فاطلب له سبعين عذرا ومنها الصفح عن عثراتهم
وزلاتهم ما يثبت عليها قال تعالى فاصفح الصفح الجميل

قيل

قيل في تفسيره هو الذي لا يكون فيه معاتبة ولا تقريع ولا
تأنيب مع الرضا وزوال ما في الباطن • وقال الفضيل الفتوة
العفو عن عثرات الاخوان • وقال غيره من تناسى مساوي
اخوانه دام له ودهم ومن ثم قيل •

ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب •

ومنها ان لا يحسد اخاه على ما يراه عليه من اثار نعم الله
بل يفرح بذلك ويحمد الله عليه كما يحمده على نعمة نفسه وقد مر
في التفسير عن الحسد ما ان تأمله المرء حق لم يحسد احدا قط
ومنها ان لا يواجهه بما يكرهه فان ذلك يورث الضغائن
ويكدر الخواطر ومنها مجانبة الحقد وملازمة الصفا والود
له قال بعض الكاملين اخذت على نفسي ان لا اكافي احدا
بسوء قط وما احسن ما قيل •

لما عفوت ولم احقد على احد • ارحت نفسي من هم العداوات •
اني احيي عدوي عند رؤيته • لادفع الشر عني بالتحيات •

وقال بعضهم ايضا •

ومن لم يغمض عينه عن صديقه • وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة • يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب

ومنها الاغضاء عن بعض المكاره ان لم يستطع من كلها فقد
قيل كما ذكره ابو عبد الرحمن السلمي •

صبرت على بعض الاذى خوف كله • ودافعت عن نفسي بنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تجرعت • ولو حملته جملة لاشمأزت
فيا رب عز ساق للنفس ذلة • ويا رب نفس بالتذلل عزت ولم
اغمض عيني عن صديقي تعمدا • كاني بما يأتي من الامر جاهل •
وما بي جهل غير ان خليقتي • تطيق احتمال الكره فيما تحاول •

وقال بعض الفضلاء •

اذا كنت في كل الامور معاتبا • صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه • مقارف ذنب مرة ومجانبه •
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى • ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

ومنها ان لا تستخف بهم بل تكرمهم على ما يليق بهم قال
ابن المبارك من استخف بالعلماء ذهبت اخرته ومن استخف
بالامراء ذهبت دنياه ومن استخف بالاخوان ذهبت مروته
ومنها اذا ظفرت باخ او صديق فاحذر ان تضيعه فان
الاخوة والصداقة عزيزة قال حكيم ولوجدان الكبريت

الاخ اليسر من وجدان الصديق او الاخ الموافق وان لبقي
طلبهم سنة حسين سنة فاظفرت الا بنصف اخ فتمرد على
ان تقلب • وكتب الاحنف الى صديق له اما بعد فاذا قدم
عليك اخ لك فليكن منك بمنزلة السمع والبصر فان
الاخ الموافق افضل من الولد المخالف **ومنها** حفظ
المودة القديمة والقرابة المتاصلة والصداقة
الصادقة لما في الحديث ان الله يحب حفظ الود القديم
وان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فادناها
فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة
وان حسن العهد من الايمان • وقيل من احب ان
تدوم له المودة فليحفظ مودة اخوان القدما
ولذلك قال بعضهم •
اذا فقد الفتى على سعوة • الا مرج صديق اميت
من كان حيا اخ صالح • فذلك المغبون حق اليقين
ومنها حفظ المودة ويدعمها ما قاله بعض الايمة
لما قيل له كيف اصحب اخي على شريطة الاسلام
والسلامة قال ان تغطيه من مالك ولا تطمع في ماله
وان تنصفه ولا تطلب منه الانصاف وتستكثر
قليل بره وتستصغر ما منك اليه **ومنها** ملازمة
الادب وحسن العشرة سئل سيد الطايفة الجنيد
عن الادب فقال حسن العشرة **ومنها** حفظ سره
ففي الحديث استعينوا على حوايجكم بالكتمان فكل ذي
نعمة محسود ومن كلام بعض الحكما قلوب الاحرار قبور
الاسرار فينبغي لصديقه سرا ثم فالحفظه
قال لا بد لبيته ولبعضهم •
ليس الكريم الذي ان زل صاحبه • بث الذي كان من اسراره كتما
ان الكريم الذي تبقى مودته • ويحفظ السر ان صافا وان صرما
ومنها مشاورته فقد قال تعالى لاكمل خلقه صلى الله
عليه وسلم وشاورهم في الامر اي ليقتدي بك امتك
في ذلك ومن ثم لما نزلت الاية قال صلى الله عليه وسلم
ان الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها رحمة
لامتي فمن شاور منهم لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة
منهم لم يعدم غيا **ومنها** ايثاره على نفسه تاسيا

بالصحابة

بالصحابة رضي الله عنهم ومن ثم اثنى الله تعالى عليهم بقوله
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وسعي بجماعة من
اكابر الصوفية الى الخليفة بانهم زنادقة فامر بضرب
اعناقهم وكان من جملتهم الامام العارف الكبير ابو الحسن
النوري فتقدم الى السياف ليبدا بضرب عنقه فقال
له يا لك بادرت من بين اصحابك فقال احببت ان اوثر
اصحابي بحياة هذه اللحظة فكان ذلك سببا في نجاتهم
ومنها ان يميز بين مراتبهم فقد قيل كمال الرجل في
ثلاثة في المعرفة بنفسه لكل النفس وفي الصحبة بان
يتخلق باخلاق الرجال وفي الفطنة بان يميز بين مراتب
الناس ويعاملهم كلا بما يستحقه **ومنها** ترك المداهنة
في الدين لانه يترتب عليها من المفاسد وسلوك
مسالك التهم ما لا يليق قال سهل بن عبد الله
التستري لا يشم رايحة الصدق عبد داهن نفسه
او غيره **ومنها** دوام الرحمة والشفقة وطيب الكلام
ودوام البر والصلة ففي الحديث الصحيح من لا يرحم
لا يرحم قال ابو عبد الرحمن السلمي البر احق من
الصلة ولذلك خص بالوالدين وهي بالاقارب وفي
الحديث يا رسول الله من ابر قال امك قلت ثم من
قال امك قلت ثم من قال امك قلت ثم من قال
اباك ثم الادنى فالادنى **ومنها** طلاقة الوجه
لان البشاشة من اخلاق الصديقين **ومنها** ترك
حذر من ترك بر قال يحيى بن اكثم بت ليلة عند •
المامون فانتبهت عطشان فتقلبت فقال يا
يا يحيى قلت عطشان يا امير المومنين فوثب من
مرقده فاتاني بكوز فقلت هلا امرت خادما فقال
لا ثم روي حديثا ان سيد القوم خادمهم **ومنها** ان لا
يغفل عن اخيه او صديقه مسالة عن حاله او تمام لما يسره
من المغفلات **ومنها** الوفا بحق الاخوة ولو بعد الموت
بحفظه في ولده ودوام الدعا له وزيارة قبره وحفظ
عورته وكتمان قبيح فعاله والاولاد صديقه واقاربه
ويكون لهم مواسيا في جميع الاوقات ولبعضهم •
ثلاث خصال للصديق جعلتها • مضارعة للصوم والصلوات

ومواساته والصفح عن كل زلة • وترك ابتذال السر في الخلوات

ومنها ان يديم الحياء والمودة معه ففي الحديث الحياء
من الايمان الحياء خير كله الحياء شعبة من الايمان يا رسول
الله اوصني قال استح من الله كما تستحي رجلا صالحا
من قومك ومنها ان يتحرى عشرة العالم الحليم
التقي النقي قال ذو النون المصري ما خلع الله
على عبد من عبيده خلعة احسن من العقل ولا
قلده قلادة اجمل من العلم ولا زينه بزينة افضل
من الحلم وكمال ذلك التقوى ومنها ان لا تخلف
وعدا وعدته من حيث العرب وغيره فان ذلك
كالكذب والغدر والخيانة من علامة النفاق
العهد المودي الى نفاق الشرك والعياذ بالله
وقال الثوري لا تعد اخاك موعدا فتخلفه
فتبدل المودة بغضا ومنها ان تبادر الى قضاء
حاجته وتعجلها اليك قال جعفر الصادق رضي
الله عنه اني لاسارع الى قضاء حوائج اعدائي مخافة ان اردهم
فيستغنوا عني • وقال بعضهم لم يبق في الدنيا الا قضاء حوائج
الاخوان ومنها اذا دعوته الى منزلك فلا تحتجب عنه ولا
تحجبه عنك فان هذا شان الجبارين المتكبرين وقد قيل •
قل لمن يحجبني • يا عينا الحاجب عني •
هو مثل فان • عدنا الى الباب مني •

ومنها المبادرة برد جواب الكتاب بالسلام كما يجب المبادرة
برده باللفظ فان في الكتاب غير السلام كان جوابه من الادب

ومنها تكرر زيارة الاخوان لكن غبا كما في الحديث وكثرة
السوال عن احوالهم روي ان رجلا زار اخا له في قرية فارسل
الله ملكا على طريقه فقال له الى اين يا عبد الله قال
ازور اخا لي في هذه القرية فقال له طبت وطاب ممشاك •
قال ابن مسعود كنا اذا افتقدنا اخانا تيناه فان كان مريضا
كان عيادة وان كان مشغولا كان عونا وان كان غير ذلك
كان زيارة قال بعضهم •
نزوركم لا نكافيكم بجفوة • ان المحب اذا لم يستزر زارا •
يقرب الشوق دارا وهي نازحة • من عالج الشوق لم يستبعد الدارا •

ومنها حفظ الاقارب على قدر قربهم والاصحاب على قدر

قرابتهم

قرابتهم ومودتهم قال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم صلة ومودة •
شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة قربية من قطعها قطعه الله
وقال غيره صداقة عشرين يوما قرابة ومنها ان لا يفرط ولا •
يفرط في صداقة ولا عداوة للحديث المشهور احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما
عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقد نظمه السيوطي رحمه الله • •
وكن معدنا للخير واصفح عن الاذى • فانك راء ما عملت وسامع •
واحبب اذا احببت حبا مقاربا • فانك لا تدري الى اين راجع •
وابغض اذا ابغضت بغضا مقاربا • فانك لا تدري متى الحب راجع •
وقيل لابي سفيان بن حرب ما بلغ بك من الشرف ما نرى قال
ما خاصمت رجلا قط الا جعلت للصلح بيني وبينه موضعا وقال
موعدا ومنها ان تعرف حق من بدأك بالود قال بلال
من سبقك بالود فقد استرقك بالشكر ومن لفظه سبقتنا بالود
والسابق بالود لا يكافى ومنها ان تستمع لحديثه سماع شيق
وان لا تعرض بقلبك عنه وان لا تقطع حديثه فان اضطررت
لحال في ذلك فاعتذر اليه ومنها ان تفتح في السرور دون
الملق مع المبالغة في البيان للاصح والتبري عن الخطأ •
وخفض الصوت ورعاية عذر عليه وفهمه ومنها ان
تتفقده وتشتغل البر في المهمات والنوايب والامراض مع
الصلة والافضلة وتحزن في الحزن واظهار فرح في السرور
وتوانسه بجلوسك عنده ما ظهر لك انه يود ذلك والقيام •
بتنيامه والجلوس بجلوسه قال بعضهم • • •
فلما بصرنا به مقبلا حللنا • الحبا وابتدرنا القياما •
فلا تنكرن قيامي له • فان الكريم يجل الكراما •

ومنها ان المحبة على انواع ولكل نوع منها اداب وواجبات
تليق به • فالمحبة مع الله تعالى باتباع ما امكن من مامورات
واجتناب منهياته وبدوام الذكر والفكر وطهارة القلب
من ان يطلع الله على ادنى نقص فيه من حب رياء او عجب او كبر •
والرضا بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على
خلقه وما يشابه هذه الامور من الاخلاق الزكية • ومع رسول الله
صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب ما خالفها من البدع
ومحبة اصحابه واهل بيته • ومع صحابته واهل بيته بالترضي
عنهم ومعرفة فضلهم وحقهم والامساك عما شجر بينهم

والمحبة على انواع

مع نزاهتهم عن ادنى كبيرة يعتقد حرمتها بل كلهم مجتهدون فهم
مجتهدون مثابون المحق منهم بعشرة اجور والمخطئ باجر واحد
والعتاب واللوم والفسق مرفوع عن جميعهم فتفطن •
لذلك والا زلت قدمك وحق هلاكك وندمك
ومع الاولياء والعلماء باصلاحهم وتوقيرهم واعتقاد
نزاهتهم عما ينسب اليهم من سخافات الحلول
والاتحاد فانهم بريئون من ذلك الالحاد وهم
كلامهم لا يتيسر بالعلم ولا يظهر الا بحرية استعداد
محق فاولئك يؤول امرهما لولا هم ولا يبادر بالانكار
عليهم لاحتمال انهم محقون وليس من قوله اكابر •
المحققين ممن لهم الباع الراسخ في العلوم والتمييز
بين المصطلحات التي يتعارفها العوام والتي يتعارفها
غيرهم فهولاء يدرون ما يرمون بر لما ظهر بل ثقنا بل
عنهم من سعة العلوم واتقان الرسوم وتقى النفوس
ودوام المشاهدة والمراقبة على قدم الصدق •
فحياهم الله وبياهم وادام علينا وعلى المسلمين •
نفحات مددهم ورضاهم وجعلنا ممن انتظم في سلك
محبتهم لنحشر معهم في زمرتهم بمنه وكرمه • ومع
اولى الامر بالطاعة الا في معصية • ومع الاهل والولد
والاقارب والمحارم والارحام بالمداراة وحسن
الخلق وسعة النفس وتمام الشفقة والرحمة
والرفق والمحبة والاغضاء والعفو والصفح والصلح •
وتناسي ذنوبهم وستر عيوبهم وتعليمهم الاداب •
والاحكام والعلوم والحمل على الطاعات وبلا زمة
التقوى والمجاهدات قال تعالى يا ايها الذين
امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة ودوام البسط لهم واستكثار قليل برهم
واستقلال ما منك اليهم وتفقدهم وتعهدهم
بالنفس والمال ومجانبة الحقد على احد منهم والحسد
والبغي والاذى • ومع الوالدين بغاية برهما
بالنفس والمال وادامة خدمتهما وترضيهما وتعهد •
حوائجهما في كل ذرة ولحظة والدعاء لهما في الحياة
والممات وانجاز وعدهما واكرام اصدقائهما للحديث

ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه والله اعلم •

خاتمة في جملة آداب المعيشة والمجالسة

اكثرها من كلام بعض الحكماء اذا اردت حسن المعيشة فالق
صديقك وعدوك بوجه الرضى مع الوقار من غير كبر •
والتواضع من غير ذل واسلك الامر الوسط في امورك
كلها • ففي الحديث ما عال من اقتصد وكل من طرفي الافراط
والتفريط ذميم • واياك والنظر لعطفيك • وكثرة
الالتفات • واذا جلست عند الناس فلا تستوفز
ولا تعبث بشيء كخاتمك ولحيتك ولا تخلل اسنانك
ولا تدخل اصبعك انفك ولا تطرد ذباب وانظم كلامك
ورتبه واصغ للكلام الحسن من غير اظهار تعجب
مفرط ولا تسال اعادة النكتة المفرودة واحذر حكاية
المضحك الا نادرا للمروءة • فقد جلس الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم يضحكون حولا كاملا من واقعة مضحكة
وهو ان ابا بكر رضي الله عنه سافر ومعه رفيقان
احدهما غاب فصبر عليه الاخر حتى نزلوا منزلا
وغاب ابو بكر فذهب الى عرب هناك وقال لهم من ذلك
العلان ان لي عبدا اريد بيعه لكم واحذروا انكم اذا
اتيتم لتتسلموه يقول لكم ما انا عبده فتكونون عنه
فاشتروه منه وجاءوا فاخذوه وذهبوا فصاح
ما انا عبده فلم يلتفتوا اليه فلما جا ابو بكر رضي الله
عنه واعلم بذلك ذهب اليهم ولا زال بهم حتى اخذه
منهم ورجع فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
اخبروه بذلك فضحك صلى الله عليه وسلم واستمر
الصحابة يضحكون من ذلك حولا كاملا • ولا تحدث
جلساءك باعجابك بشيء من امثالك كولد او زوجة
ولا تتصنع في التزين تصنع المرأة ولا تتبذل تبذل
العبيد ولا تعلم احدا بمقدار مالك ولو اهلك فانهم
ان علموا قلته اهانوك او كثرته لم تبلغ رضاهم
ولن لهم من غير ضعف • ولا تمازح فان المزاح يزيل
الهيبة ويذل الوجه ويجلب الحقد ويشين فقه الفقيه
وحكمة الحكيم ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب
الغفلة ويورث الذلة ويكثر العيوب وقد قيل لا يكون

نفيسة مضحكة

لا يكون المزاح الا سخفا وبطرا • واذا امرك كبير فاحذر
سرعة غضبه ولا تغتر بانبساطه اليك وارفق به رفقة
بالصغير وكلمه بما يحبه ما لم يكن اثما ولا تتدخل بينه
وبين نحو زوجته او ولده فان هذه زلة لا تقال
واذا دخلت مجلسا فابدأ بالتحية ثم اجلس حيث
انتهى بك المجلس من غير تخطي احد تواضعا واذا جلست
بالطريق فاحفظ باداءها كغض البصر ونصرة مظلوم
واغاثة ملهوف وعون ضعيف وارشاد ضال
واعطاء سائل وامر بمعروف ونهي عن منكر • او عند كبير
فادبك ان لا تغتب احدا ولا تكذب ولا تفش سرا
ولا تكثر من الطلب منه وهذب الالفاظ وراع الاعراب
ان احتيج لذلك • او عند العامة فادبك ان لا تخوض
في حديثهم ولا تصغ الى اراجيفهم وتتغافل عن نحو
مساويهم ودواء المجالس لما وقع فيها ختمها بالذكر
فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال من جلس في
مجلس يكثر لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه
ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله
الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان
في مجلسه ذلك هذا جماع الحقوق العامة •
تنفيذ اعلم ان الانسان مضطر الى مخالطة
الناس فعليه تعلم اداب المخالطة والمخالطين
اذ كل مخالط له اداب تخصه بقدر قربه منك •
بالاخوة الاسلام او النسب او بالجوار او بصحبة
نحو السفر او بالمحبة ولكل من هذه درجات
فالقرابة وحق الرحم التي بينهما مزيد اقربية
اكد واكد من حق المحرم فالوالدين • وكذلك حق
الجوار يختلف بقرب داره وبعدها وكذلك حق
المسلم يتفاوت تاكده بتفاوت المعرفة فمن عرفته
بالمشاهدة اكد ممن عرفته بالسماع • وكذلك
الصداقة تتفاوت ايضا فاذا ازدادت صارت
اخوة فاذا ازدادت صارت محبة فاذا ازدادت
صارت خلة • وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها
من صحبة بنحو المكث اكد من حق نحو السفر

فالخليل

٥٨

فالخليل اقرب من الحبيب اذ المحبة ما تتمكن من حبة
القلب والخلة ما يتخلل سر القلب فكل خليل حبيب
ولا عكس ويدل لكون الخلة فوق الاخوة الخبر
الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
اخوة الاسلام فالخليل هو الذي يتخلل الحب
جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب
قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله تعالى فمنعه
الخلة عن الاشتراك فيه • وكما اتخذ ابا بكر اخا
كذلك اتخذ عليا اخا فقال في الحديث له انت مني
بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي
فعدل به عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة فتشاركا
في الاخوة وزاد ابو بكر بقربه لمقام الخلة
اذ المعنى لو كان للمشاركة في الخلة مجال لكان ابو
بكر هو الشريك فيها • ومما ذكر ان الخلة اعلى من
المحبة عليه كثيرون ومحله في غير خلة نبينا صلى
الله عليه وسلم اما نبينا صلى الله عليه وسلم فالمحبة
اعلى من الخلة فيه مطلقا لانه شارك ابراهيم في مقام
الخلة وزاد عليه بمقام المحبة • ومن ثم ورد ان
الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانا حبيب
الله وانا خليل الله • وانفرد بمقام المحبة اي بشارة
الحبيب بالماذق الغبش كما نقله ابو بكر وغيره • فاذا
تقرر ذلك فحقوق المسلم كثيرة منها ان تسلم عليه
وتشمته وتعوده وتشهد جنازته وتنصحه وتحفظه
بظهر الغيب وتحب وتكره له ما تحب وتكره لنفسك •
وصح انه صلى الله عليه وسلم عد من حقوق المسلم السلام
والتشميت والعيادة واتباع الجنازة واجابة الدعوة
والنصح وزاد البخاري العاطس ونصر المظلوم وزاد الترمذي
وابن ماجه ويحب له ما يحب لنفسه ومنها ان لا يؤذي
مسلما قط فقد صح حديث افضل المسلمين من سلم المسلمون
من لسانه ويده ومنها ان يتواضع لكل مسلم فقد صح قوله
صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى
لا يفخر احد على احد • وصح حديث كان صلى الله عليه وسلم

حقوق المسلم على المسلم

لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها
ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان روى ابو داود والطبراني
ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وصح انه صلى الله
عليه وسلم قدم عليه وفد جهينة فقام اليه غلام ليتكلم فقال
صلى الله عليه وسلم مه اي اسكت فاين الكبير • وروى
احمد وابن منيع بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
مستلق على ظهره يلاعب صبيا اذ بال فقامت امه لتقربه
وتأخذه فقال دعيه ائتوني بكوز من ماء فاتبعه بوله
ولم يغسله • وروى حديث ان من موجبات المغفرة •
بذل السلام وحسن الكلام ومنها ان يكون مع كافة الخلق
مستبشر الوجه رفيقا ومنها ان يبالغ في اكرام من له عليك
حق قديم كما فعل صلى الله عليه وسلم بحليمة مرضعته
لما جاءته وبسط لها رداءه كما صح ومنها ان يستر عورة
المسلمين كلهم فقد صح من ستر مسلما ستره الله في
الدنيا والاخرة وصح انه صلى الله عليه وسلم قال
لمعاوية انك اذا اتبعت عورات المسلمين افسدتهم
او كدت ان تفسدهم • وجاء بسند جيد يا معشر من
امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة
اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه ولو في جوف بيته ومنها ان يتقي مواقع
التهم صونا لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم
عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بسببه ربما يكون
شريكا لهم وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه •
مقام التهم فلا يلومن من اساء به الظن • ومر رضي
الله عنه على رجل يكلم امرأة فضربه فقال امرأتي زوجتي •
فقال هلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع •
لكل من له حاجة عند من له عنده منزلة ويسعى
في قضاء حاجته بما يقدر عليه فقد صح انه صلى الله
عليه وسلم قال اني اوتى فاسأل وانتم عندي
فاشفعوا تؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه
ما شاء • وروى الخرائطي والطبراني ما من صدقة
افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك يا رسول

الله

الله قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر المنفعة الى اخر
ويدفع بها المكروه عن اخر • وصح ان زوج بريرة كان
عبدا يقال له مغيث فلما اعتقتها عائشة خيرها
النبي صلى الله عليه وسلم من نفسها ففسخت نكاحه
فصار يتبعها في ازقة المدينة يبكي ودموعه تسيل
على لحيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس
الا تعجب من حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة
لمغيث فتشفع اليها بالنبي صلى الله عليه وسلم ليردها
فشفع لها النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقالت
يا رسول الله آتأمرني اي فقال انما انا شافع اي
فانحير فقالت لا حاجة لي فيه فقالت اذن لا اريده ومنها
تقبيل يد المعظم في الدين تبركا وتوقيرا فقد صح ان
اعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي ان اقبل رأسك
ورجليك فاذن له ففعل واما الانحناء فمكروه •
للحديث الحسن يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض
قال لا قلنا فيعتنق بعضنا بعضا قال لا قلنا فيصافح
بعضنا بعضا قال نعم وورد التقبيل والالتزام
لمسافر قدم ففي حديث قال الترمذي حسن غريب
ان زيد بن حارثة قدم من سفر فاعتنقه النبي
صلى الله عليه وسلم وقبله • واخذ ركاب العالم
توقيرا له فعله ابن عباس واخذ بركاب زيد بن
ثابت رضي الله عنهم ومنها القيام لمقدم اتانا
والتواضع لمستحق كوالد او اخ او صديق او عالم او شيخ
او شريف نسب لان سعد بن معاذ رضي الله عنه
لما قدم امر النبي صلى الله عليه وسلم الانصار •
ان يقوموا له فقال قوموا الى سيدكم • وقيل هو مكروه
لحديث الترمذي وقال حسن صحيح عن انس ما كان
شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك
ويجاب بان هذا محمول على قيام يؤدي لتعظيم محظور
ويؤيده حديث ابي داود وابن ماجه اذا رأيتموني
فلا تقوموا كما يقوم الاعاجم وفي رواية كما تقوم الاعاجم
فالنهي عنه قيام كقيامهم لا مطلقا ويكره عندنا القيام

ربا واعظاما بل ربما يؤدي ذلك الى الحرمة وهو محمل
الحديث الحسن من سره ان تتمثل له الرجال قياما
فليتبوأ مقعده من النار • وما قلناه من انه سنة
تارة وتارة لا تجتمع به هذه الاحاديث اذ الجمع بين
الاحاديث المتعارضة متعين حيث امكن ومنها ان
يذب عن عرض المسلم وماله ونفسه بما امكنه فقد •
حسن الترمذي حديث من رد عن عرض اخيه كان
له حجابا من النار • وروي ايضا ما من امرء ينصر مسلما في
موضع ينتهك فيه عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله
في موضع يحب فيه نصرته وما من امرء يخذل مسلما
في موطن تنتهك فيه حرمته الا خذله الله في موطن
يحب فيه نصرته ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنيا
ويختلط بالمساكين تاسيا به صلى الله عليه وسلم
فقد صح انه قال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واحشرني في زمرة المساكين • وكان سليمان عليه
الصلاة والسلام في ملكه الذي كان ونبه اذا دخل
بعده الى هذا المسجد ورأى مسكينا جلس اليه وقال
مسكين جالس مسكينا • وعن عبادة بن الصامت رضي
الله عنه قال للنار ثلاثة ابواب للاغنيا وثلاثة
ابواب للنسا وواحد للفقرا والمساكين • وقال
بلغني ان نبيا من الانبيا قال يا رب كيف اعلم رضاك
عني قال انظر كيف رضى المساكين عنك • وصح
اياكم ومجالسة الاغنيا وفي رواية ضعيفة اياكم •
ومجالسة الموتى قيل وما الموتى قال الاغنيا
ومنها ان يحسن الى المنقطعين لا سيما الايتام •
ما استطاع لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم انا
وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وفرق بين اصبعيه
السبابة والوسطى • وروى احمد حديث من وضع
يده وفي رواية من مسح بيده على راس يتيم رحمة
له كانت له بكل شعرة يمر يده عليها حسنة • وفي
حديث في سنده ضعف خير بيت من المسلمين بيت •
فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه •
يتيم يساء اليه ومنها الفسحة للجالس والفراغ الوسع

فقد قال

قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
احيني مسكينا الحديث
من السكون وهو الالتجا
الى الله تعالى لا من المسكنة
وهي الفقر المدقع فليفهم
منه

٦١

في ادخال السرور على قلبه نفي الحديث من مشى في حاجة اخيه
ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له •
من اعتكاف شهرين • وجاء بسند حسن احب الاعمال الى
الله تعالى ادخال السرور على المومن وان يفرج عنه
غما او يقضي عنه دينا او يطعمه من جوع • وصح ابتغا القرب
الى الله تعالى بان تكفه عن ظلمه او مظلوما بان تردعنه
ظالمه • وروى الطبراني والحاكم من لم يهتم للمساكين
فليس منهم ومنها ان تقوم بمراعاة المسلمين وللعبادة
حقوق كثيرة منها ان يخفف جلوسه ويقلل سواله
ويظهر رقته ويدعو له بالعافية ويغض بصره عن
عورات الموضع ولا يقابل الباب عند الاستيذان فان يخف
برفق ولا يقول انا اذا قيل من • فقد صح اذا عاد الرجل •
المريض خاض في الرحمة ومن احرى استنقع فيها وفي اخرى •
استقر فيها • وروى الترمذي وابن ماجه اذا عاد المسلم
اخاه او زاره قال الله طبت وطاب ممشاك وتبوأت
منزلا في الجنة • واخرج الطبراني والبيهقي وابن
السني انه صلى الله عليه وسلم عاد عثمان فقال
اعيذك بالله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن •
له كفوا احد من شر ما تجد قال مرارا • وروي البيهقي
ان جبريل علم النبي صلى الله عليه وسلم هولا الكلمات
وقال ان الله يامرك ان تدعو بهن اللهم اني اسئلك
تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا
الى رحمتك • وروى ابو يعلى اعتوا في العبادة الا ان
يكون مغلوبا اي لا تؤذوه الا لحاجة كذلك ومنها
ان يشيع جنائزهم بقصد اداء حق المسلمين والعظة
والاعتبار والتفكر في الموت وما اعد له وما بعده
من دوام الخشوع ونزول الغفلة فقد صح ان له اذا •
مضى الى بيتها ثم صلى عليها ثم شيعها فمكث حتى •
يفرغ من دفنها قيراطين وفي رواية ثلاث •
قراريط وصح ان القيراط مثل جبل احد والله اعلم
خاتمة تجمع متفرقات من الحقوق ينبغي لك
ان لا تستصغر منها جاها وثيابا فتغفل لاحتمال انه
عند الله عزيز امنك وربما يجتمع للذل العباد بالله

تعالى بسوء ولذا قيل ان من ظن انه خيرا من احد كانت
الرذيلة خيرا منه وانى لمن هو على خطر فانه السوء ●
ان يفتخر على شيء ● ولا تنظروا لاهل الدنيا بعين التعظيم ●
فانها حقيرة عند الله ومن عظمها سقط من عين الله ●
ولا تظهروا العداوة لاحد فانه يذهب دينك ودنياك ●
نعم ان رايت منكرا عاديت افعالهم القبيحة بانكارها
بما استطعت بيد او لسان او قلب ما لم تخش فتنة
مزيد على ذلك ● ولا تفتخر بثنائهم عليك وتوددهم
لك في وجهك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم
تجد في المائة بل الالف الا واحدا بل ربما لم تجد احدا ●
ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ● ولا تطمع
فيما بايديهم فتستعجل الذل ● ولا تعل عليهم تكبرا ●
باستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة
لك ومهما رايت منهم خيرا وكرامة فهو من محض
فضل الله تعالى عليك لا بحولك وقوتك اذ ●
لا يملك القلوب الا مقلبها وهو الله سبحانه وتعالى
لا غيره فاشكر على ان سخرهم لك ومع ذلك ●
لا تنسهم لو استطعت فقد صح عن الصادق المصدوق
انه قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس ولو رايا
اربع رفعتها ونقضها وبالعكس وتوجيهها ظاهر ●
معلوم ● واذا اصابك من احد منهم ما يسوؤك فكل امره
الى الله تعالى واستعذ به من شره واجعله في
نحره فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا خاف
قوما قال اللهم انا نعوذ بك من شرورهم وندرؤا
بك في نحورهم ولا تخاطبهم لكن تكافيهم فان ذلك
ليس من اخلاق الصالحين على انه يزيد عليه من
القبائح ما لا نهاية له ● واحذر صحبة اكثرهم الا بعد
التجربة فانهم لا يقيلون لك عثرة ولا يغفرون
لك زلة ولا يسترون لك عورة ويحاسبون ●
على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير
ينتصفون ولا ينصفون ويتعففون ولا يعفون
يغيرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم ●
خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق ●

وان

وان سخطوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون
بالظنون ● ويتغامزون وراءك بالعيون ● ويترصدون بصاحبهم
ريب المنون ● يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها عند
غضبهم ووحشتهم ● فاحذر ان تبادر الى صحبة احد منهم الا بعد
تجربته في اختلاف احواله كعزله وولايته وغناه وفقره
او تعامله او تسافر معه او تقع في شدة فتحتاج فان رضيته
في هذه الاحوال فاتخذ الاستاذ ابا والاصغر ابنا والمماثل اخا
فهذه جملة المعاشرة مع اصناف الخلق فعليك ان تتعلمها
وتحفظها فانك تنتفع بها في دينك ودنياك واخرتك
واولادك مع اهلك واقاربك وارحامك واباعدك بل ومع
عموم المسلمين واخصائهم من العلماء العاملين والاولياء
والعارفين ومن ضيعها فهو مغرور غبي مذموم لا يصلح لكمال
ولا يعامل الا بالنكال فعلى عقله ورشده العفا وكيف وهو على
شفا ● وفقنا الله للتحلي بمعالي الامور والتخلي عن سفسافها
وجعلنا ممن فوت مع الكمل من علماء هذه الامة وعارفيها بسهم
وافر انه بصير بمن استرشده انه اكرم مامول واعظم مسؤول

باب في فضل المشي بين الناس بالاصلاح

وما على من مشى في ذلك من الواجبات والمندوبات
من الاول ان يخلص نيته ويطهر سريرته ولا يقصد التقرب
اليهما ولا الى احدهما وانما يقصد وجه الله تعالى بازالة
ما بينهما من الوحشة والفرقة ● ومن الثاني ان يرغب كلا
منهما في الصلح ويذكر له حسن عاقبته وعظيم فائدته ●
وانه يريحه من الوقوف بين يدي الحكام المؤدي الى
شدة الخصام الموقع في كثير من الاثام والمزيل لحرمة
الانسان والرافع لمروءته بين الاقران والموجب لعداوة
على توالي الازمان وان يبالغ في اعمال الحيلة مورّيا تارة
وغير مورّ اخرى بحسب الحاجة من ان يحدث في ذهن
كل منهما ثناء الاخر عليه ومدحه له ولو بكذب توقفت
عليه ذلك وان كثر فقد صح الحديث الذي رواه البخاري
ومسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى
خيرا قال الغزالي وهذا يدل على وجوب الاصلاح اي
تاكده لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا
بواجب آكد منه والظاهر ان مراده بالوجوب هنا التاكد

قوله صلى
احيني
من ال
الى ال
وهي ال

على صدق قوله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب وقوله الوتر
حق واجب وما عدا ذلك لا ينتج له الوجوب الحقيقي بل قد
يسقط الواجب لغير واجب كثيرا فليس الحرير للحق فعل
اذ نزل لبسه واجب وقد سقط لغير واجب . وصح
ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب
مكتوب اي عقابه واثمه ووزره الا ان يكذب الرجل
في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين
يصلح بينهما او يكذب لامرأته فيرضيها . ومنها
ان يبذل لهما ماله ان قدر عليه وعلم انه لا ينتج
الاصلاح الا به **والاصل في هذا الباب**
قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم
واتقوا الله لعلكم ترحمون . وقوله تعالى لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما . وقوله
تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الآية . وقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
الآية . ولنتكلم على هذه الآيات فنقول تأمل
قوله تعالى حكما من اهله وحكما من اهلها تعلم انه ينبغي
للمصلح بين الاقارب ان يكون منهم . وفي المصلح
بين الاجانب وحيث تعذر ان يكون من اهل المتخاصمين
فان لم يتيسر الا هذا ينبغي ان يكون صديقا لهما لانهما
ينقادان له غالبا فان لم يتيسر فليكن ذا علم ودين
فان الانقياد له اقوى من غيره وليجهد نفسه على
تحقيق قصده للاصلاح ليوفق الله بينهما ببركة
نيته . ثم رأيت عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية
ما يؤيد ما ذكرته فقد اخرج ابن جرير وابن المنذر
وابن ابي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس
وان خفتم شقاق بينهما الآية قال هذا الرجل
والمرأة اذا تفاسد ما بينهما امر الله ان يبعثوا رجلا
صالحا من اهل الرجل ورجلا مثله من اهل المرأة
فينظران ايهما المسيء فان كان الرجل هو المسيء حجبوا
عنه

عنه امرأته وقصروه على النفقة وان كانت المرأة هي المسيئة
قصروها على زوجها ومنعوها النفقة فان رأيا ان يفرقا
بينهما او يجمعا فامرهما جائز وان يريدا اصلاحا قال
هما الحكمان يوفق الله بينهما كذلك كل مصلح يوفقه الله
للحق والصواب . فتأمل قول ابن عباس وكذلك
كل مصلح الى اخره يظهر لك انه ينبغي للمصلح ان لا يريد
بسعيه الا الاصلاح وانه اذا اراد ذلك يوفقه الله تعالى
للحق والصواب فيجري فيما بينهما على وفق الصدق
والعدل به الآن ليستعمله الله ويزول ما بينهما ببركة
خلوص نيته ثم يجب الله تعالى له من الثواب بواسطة
هذا الاصلاح والتآلف ما لا يحصى اذ يترتب على
الاصلاح من جلب المصالح ودرء المفاسد ما لا
يحصى ايضا والثواب يزداد ويعظم بزيادة سببه
ويدوم بدوامه . واخرج عبد الرزاق وسعيد بن
منصور وعبد بن حميد والبيهقي في سننه عن عمرو
ابن مرة قال سألت سعيد بن جبير عن الحكمين
اللذين في القرآن فقال يبعث حكما من اهله وحكما
من اهلها يكلمون احدهما ويعظونه فان رجع والا
كلموا الآخر ووعظوه فان رجع والا حكما فما حكما
من شيء فهو جائز اي كما هو قول الشافعي رضي الله
عنه وغيره . واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد
وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي
عن الحسن قال انما يبعث الحكمان ليصلحا ويشهدا
على الظالم بظلمه واما الفرقة فليست بايديهما
كما هو الاصح عندنا . وقال علي كرم الله وجهه
كما اخرجه ابن جرير عن الحكمان بهما يجمع الله وبهما
يفرق . واخرج ابن عباس ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما قال هما الحكمان . وعن مجاهد ان يريدا
اصلاحا قال اما انه ليس بالرجل والمرأة ولكنه
الحكمان يوفق الله بينهما قال بين الحكمين . وقد
ندب الله تعالى عباده الى الصلح وحثهم عليه ووصفه
بالخير وبين انه لا يحصل غالبا الا ان نزل احد
المتخاصمين شيئا من حقه فقال عز وجل وان امرأة

خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا
بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح الاية •
وما بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
خشيت سودة ان يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم •
فقالت يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعائشة •
ففعل فنزلت هذه الاية وان امرأة خافت من بعلها •
قال ابن عباس فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز • وفي
حديث الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او
احل حراما والمسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا
وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما الى قوله لعلكم ترحمون اشتملت هاتان
الايتان على الترغيب التام في الاصلاح والامر به •
والتشديد على المخالف الى ان يرجع الى امر الله والعدل
في الاصلاح وان المؤمنين كلهم اخوة فينبغي لكل
منهم ان يصلح بينهم وان الاصلاح اذا انضمت اليه
التقوى تكفل برحمة الله العظمى وكفاك بهذه
الفضائل فاسلك على الاصلاح اذ كنت بهذه •
الاوصاف وسببا في وقعة الاوس والخزرج •
من قضية الافك البسط في الكلام على هذه الاية
وعقد بعض العلماء للاصلاح بين الناس بابا فقال
اعلم ان الاصلاح بين الناس من كمال الايمان
وكما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال افضل الناس عند الله منزلة واقرب الناس
الى الله المصلحين بين الناس ومن اصلح بين اثنين
اذا اقتتلا اعطاه الله بكل كلمة اجر عتق •
رقبة والاصلاح بين الناس شعبة من شعب •
النبوة • وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الا اخبركم بما هو افضل من درجة صلاة النفل
وصيام التطوع والصدقة قالوا بلى يا رسول الله •
قال اصلاح ذات البين اذا تقاطعوا • وصح ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يمدح الحسن بن علي •
رضي الله عنهما ان ابني هذا سيد وسيصلح الله •
به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد جازاه الله •

تعالى

تعالى بهذا الصلح ان جعل المهدي الذي يؤم بعيسى صلى الله
عليه وسلم حين ينزل ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا
من ذريته بل جاء في حديث انه يملك الناس بعد المهدي
ستة من اولاد الحسن وخمسة من اولاد الحسين
فتأمل فضيلة هذا الاصلاح الذي وقع من الحسن
فانه رضي بخلع نفسه عن الملك شفقة على امة محمد
صلى الله عليه وسلم وابقاء لدمائهم واموالهم • وعن انس
رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله
بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي
جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي
مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته
فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى
للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شيء
فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقال
ان ذلك اليوم ليوم عظيم يحتاج الناس الى ان يحمل
عنهم من اوزارهم قال فيقول الله عز وجل للمتظلم
ارفع بصرك فانظر في الجنان فيقول يا رب ارى
مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ •
لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد قال الله تعالى
لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال انت
تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك قال
يا رب قد عفوت عنه قال فيقول الله عز وجل خذ بيد
اخيك وادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا
الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين
المؤمنين يوم القيامة وهذا الحديث بطوله رواه •
الخرائطي في مكارم الاخلاق والحاكم وقال صحيح
الاسناد • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادر
على الصلح بين اصحابه بما امكنه ويذهب اليهم لاجله
تنبيه روى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم
قال الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم
حلالا وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري رضي الله

عند مولانا العراق في جملة رسالة ارسلناها اليه مشتملة
على فوائد جليلة في الفتيا والاحكام وما يتعلق
بذلك وقد شرحنا بحقق العلماء شروطها واسمها قال
الا بهذا الصلح مندوب اليه متاكدا الندب فالمراد بجائز
في الحديث مطلق الجواز الصادق بالندب وهو
ثابت بقوله عز من ذكره ومن ثم سماه الله تعالى خيرا
في قوله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس وسماه الله تعالى في
هذه الاية خيرا كما في اية والصلح خير اي لان به
تسكن النفوس عن شرها ويرتفع الخلاف من بينها
المبني عليه ما يتولد من القبائح المؤدية الى استباحة
النفوس والابضاع والاعراض والاموال كيف
ومن شان الانسان تحكم الجبلة والجبلة ان تشح
على ما تتوله لم نفسه حتى تحمل ما جبلت عليه بكره
الى ان يلجئه باي طريق امكنه غير مراع كتابا ولا سنة
ولا اجماعا ولا قياسا • ولما كان في شح النفوس
وهو افراطها في الضبط على فاسد من معتقد
او عادة او هوى او مال او نحو ذلك من المفاسد
المتولدة عنه مضاد لما بيانه من الفوز والفلاح
والنجاة قال تعالى ليبين للمؤمنين شؤم الشح
وعظيم نفعه قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون • ويجاري فيها التخلية فانه شرع واجب
شرعي او ما تقتضيه المروة الظاهرة التي
يتعارفها الناس ويعدون تركها نقصا وعارا
ومن الاول حديث خير الصدقة ان تتصدق
وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر
ولم تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان
كذا ولفلان كذا • ومن الثاني يا رسول الله ايكون
المؤمن بخيلا قال نعم • وقوله صلى الله عليه وسلم
بين المسلمين ليس للتخصيص بل للاشارة الى انه
ينبغي للانسان ان يتذكر علة الصلح لما يقتضيه
لفظ المسلمين من عدم التقاطع والتدابر والتحاسد
ومن المطلوب اجتماع الكلمة والعمل بما يقتضيه

اخوة

اخوة الاسلام لا سيما الاقارب ولذلك استحب ترديد
اوجه الصلح وابقاء الالفة بينهم ولكون الصلح يترتب
عليه فوائد كثيرة وثمرات شهيرة وظفرا بالاعداء
والنصر على الكفار اسره صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
مع كراهة اصحابه لا سيما عمر رضي الله تعالى عنه
فكان هذا الصلح سببا لفتح خيبر وما اصابه المسلمون
فيها من الغنائم الكثيرة التي لم يصيبوا مثلها قط ثم
للفتح الاكبر وهو فتح مكة المتسبب عنه انه لم يبق بها
الا مسلم او من لم يرد دخول الناس في دين الله افواجا الى
ان ظهر الاسلام ظهورا لا خفاء بعده واستقرت الشريعة
استقرارا قطع المعاند وشتت شمله وخذله • وقوله
صلى الله عليه وسلم الا صلحا احل حراما او حرم حلالا يبين به
انه محل جواز الصلح وقيد الاحتياط به ما لم يؤد الى تحليل حرام او
تحريم حلال بان يشتمل على ربا او شرط فاسد فان
ذلك فهو ممنوع عند مخالفة الائمة الثلاثة ويكون على
التفاوت بسط ذلك محله كتب الفروع قال قيد واحد
ولا باس ان يندب القاضي الخصمين للصلح ما لم يتبين له
الحق لاحدهما لقول عمر لابي موسى الاشعري رضي الله
عنهما في بعض روايات الرسالة ايضا بعد القضاء احرص
على الصلح ما لم يتبين لك فصل القضاء قال بعضهم
ولا باس به ايضا بعد التبين ان كان يرفق بالضعيف
منهما كما يتعين ان يندب الى الصلح عليه ورد بانه
يوهم ثبوت الحق على من له الحق او سقوط طلبه بخلاف
الصدقة وفيه نظر لان الغرض ان عرف حقه في تبين
صدقه ثم يبق الايهام وحينئذ فلا ايهام
اصلا • واذا اصر احدهما في الصلح فليس فلا يلح
عليهما الحاحا يوهم الالزام كذا قال بعضهم وانما يتجه
ذلك ان كان في ذلك الالحاح الجاء الى الصلح خوفا من
ذلك الملح او حياء منه عن رضى به في الباطن اما اذا لم
يكن فيه ما يؤدي الى ذلك فلا باس به لانا نرجو ان
عادة كثيرين انهم يكونون راضين بالصلح في الباطن
وانما يتجلدون الاباية في الظاهر فقط لا غراض لهم
كنحو المتعوسين الاجابة بعد عوض ما ليتمتع ويتلذذ

عن بعض القضاة اجبر الخصمين على الصلح فكانت
سببا لعزله ولو اشكل على القاضي الحكم في المسئلة
المتداعى فيها عنده لاشكال باطن امرها او لخفاء
دليلها او لما يخشى من تفاسق مذهبه فلا باس حينئذ
ان يدعوهما الى الصلح ويأمرهما به احتياطا للامر
وخلاصا لرقبته من ورطة الوقوع في حكم فاسد
في باطن الامر فان المدار في العقد والعقود
على باطن الامر دون الظاهر ومن ثم انقدح
قول الشافعي ان الصلح على الانكار باطل لانه
يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم الا صلحا احل
حراما او حرم حلالا لان المنكر ان صدق في
انكاره كان ما يأخذه منه محرما على اخذه
وان كذب كان ما يأخذه هو محرما عليه
واما من استدل لجوازه بعموم الايات والاحاديث
بجواز الصلح وعمومه فنقول الجواب انما استدل به
به من قوله صلى الله عليه وسلم الا صلحا احل
حراما الى اخره مخصص لذلك الا ان الاطلاق فلا
ساغ حينئذ في التمسك به لان الخاص يقضي على
المطلق وله عكس كما هو مقرر في الاصول
على ان بعض المالكية وافقت على ان انكار المدعي
وبعض محققيهم فصل تفصيلا يوافق مذهبنا
قال جواز الصلح على الانكار انما هو باعتبار
ما عنده في باطن الامر ان كان العكس في المطلوب
فالاخذ حرام والا فحلال بان ودي ما الحق والاخذ
غاصب في الباطن وما احسن قول ابن عبد السلام
المالكي في التفتي لمذهب الشافعي ابيد **واعلم**
ان حكم الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا في
الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من حق
اخيه فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة
من النار وهذا اجماع من اهل العلم في الاموال

واختلفوا

واختلفوا في عقد النكاح وحله اذا حكم به الحاكم وهو
يخالف باطن الامر هل ينفذ هذا الحكم ويعمل به.
فقال الشافعي رضي الله عنه وكذا مالك وجمهور
اهل العلم لا يعمل به ولا يعول عليه فلا يغير شيئا
مما في نفس الامر كما صرح به في الحديث المذكور انفا
واي فرق بين الاموال والابضاع بل الابضاع.
امتازت بانها مبنية على الاحتياط والتحري
في امرها ما لم يكن فيها فانها اولى بالزجر عنها واحق
بالاحتياط في امرها ولقوله صلى الله عليه وسلم فمن
قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذه صريح في شموله
للاموال والابضاع لان كلا منهما حق الغير **وقال**
ابو حنيفة وابو يوسف وكثير من المالكية على
ما حكاه ابن عبد البر انما ذلك في الاموال خاصة
وقالوا لو شهد رجلان بشهادة يقتضي الفراق كذبا منهما
وزورا ففرق القاضي بين الزوجين بتلك الشهادة ثم اعتدت
المرأة جاز لاحد الشاهدين نكاحها مع علمه بكذبه في شهادته
وعللوه بما هو ظاهر وهو انه لما جاز للازواج بعد ذلك الحكم
في الظاهر كان الشاهد كغيره لان حكم القاضي فرق بينهما
وقطع العصمة والا لم تحل لزوج غيره قالوا ولو اقام بينة
زورا بذلك بان فلانة زوجته فحكم له القاضي بذلك
حلت له وفي هذا ما يفتح باب الحيلة منه فيتمكن على من اراد
الخلاص لديه الحذر من الوقوع في ورطة شيء من ذلك فان
ما ادى الى مثل هذا الا تنبيه للعقل وما يترتب عليه من الفساد
تنبيه جميع ما ورد في الكتاب والسنة من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي ان يورد في هذا الباب
فان المصلح بين الناس غالبا لا يخلوا عن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لكل من المتخاصمين فان الغالب من
احوال الخصمين ان كلا منهم يرتكب في حق خصمه ما يجب
زجره ونهيه عنه او ما يندب امره بخلافه فاذا
كان هذا هو الغالب فلا بأس بذكر شيء من الاحاديث
المرغبة في ذلك . منها حديث البيهقي والديلمي
ايها الناس ان الله يقول مروا بالمعروف وانهوا عن
المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتسألوني فلا

اعطيكم ولتستغفرونني فلا اغفر لكم ومما جاء في النهي
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الارض
وخليفة كتابه وخليفة رسوله ومما حديث البيهقي
وابي سعيد النقاش وابي النجار الا اخبركم باقوام
ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الانبياء
والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور يعرفون
الذين يحببون عباد الله الى الله ويحببون الله الى
عباده ويمشون في الارض نصحا قيل كيف عباد الله
الى الله قال يامرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره
الله فاذا اطاعوهم احبهم الله ومع ايضا اذا ظهر السوء
فلم ينهوا عنه انزل الله بهم باسه قيل وان كان فيهم
الصالحون قال نعم فيصيبهم ما اصابهم ثم يصيرون
الى مغفرة الله والاحاديث في هذا المعنى كثيرة
من طرق متعددة ومما حديث ابي نعيم والذي
نفسي بيده ليخرجن اقوام من امتي من قبورهم على
صورة القردة والخنازير بمداهنتهم في المعاصي
وكفهم عن النهي وهم يستطيعون والله تعالى اعلم

الباب الخامس في بر الوالدين

وفيه فوائد اعلم ان الحامل على ذكر هذا الباب
في هذا الكتاب شيئان **الاول** ان المراد بالوالد
كل من له عليك ولادة من ذكر وانثى وهذا يشمل
كثيرين من الارحام لكنهم امتازوا عن بقية الارحام
بانه ورد في عقوقهم من التغليظات ما لم يرد في
قطيعة الرحم فاحتيج الى ذكرهم ليعلم ما ورد فيهم
الثاني انه صح في الحديث ان رجلا من بني سلمة
قال يا رسول الله هل بقي علي من بر والدي شيء
ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما
والاستغفار لهما وانفاذ عهودهما واكرام صديقهما
وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما فهذا الحديث
يستفاد منه ان الانسان لا يصل الى كمال بر ابويه
الا ان وصل كل رحم وصلت اليه منهما وذلك يستوعب
جميع الارحام اذ لا رحم الا من جهة ابيك او امك
وان بعدت فاذا كانت صلة الرحم من جملة بر

الوالدين

الوالدين فتعين ذكر بر الوالدين متوقف على صلة الرحم
كما تقرر ان صلة بر الوالدين متوقفة على صلة الرحم
وكذلك ورد ان الذكر به من عقوق الوالدين يسري الى
قاطع الرحم لان قاطعها عاق لوالديه يرشد لذلك الحديث
فتامل هذا الامر العجيب الذي يترتب على صلة الرحم
وقطعها عثورنا من ثم ان نذكر هذا الباب في هذا الكتاب
لائقة به

تنبيه في ذكر وقائع جرت بين الاخوة
والاقارب فمنها التحريض على قتل ما فيها من قبيح
وعظم ضرر ما فيها من حسن فمنها قصة ابني ادم التي
قصها الله تعالى علينا في كتابه العزيز فقال عز قائلا
واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال
انما يتقبل الله من المتقين الى قوله فاصبح من النادمين
اعلم ان هذه الايات اشتملت ونبهت على امور عجيبة
منها انها اعلمتنا ان التنافس والتحاسد والعداوة
بين الاقارب حتى الاخوين الشقيقين مركوزة
في الطباع من حين وجدت ذرية ادم وظهرت
وانها قد تقوى حتى تؤدي الى القتل على احقر
مادة واعظم خزي وبان الانسان عند غلبة هواه
على نفسه عليه يصير اعمى البصيرة لا يميز ما يسمع قط
امرا بصلة رحم ولا نهيا عن قطعها ولا تشديدا
تغليظا في ايذاء الاقارب لغفلته عن عموم المسلمين
وبان الانسان العاقل ينبغي له اذا نظر لتمييز الله
لاخيه او قريبه عليه فليعلم ان ذلك انما هو بارادة
الله تعالى ومشيئته وقدرته وانما هي مواهب سابقة
ومنح اقتضى بعطيها الحكيم العليم باحوال الخلق وبما
يناسب كلا منهم لمن يشاء منهم واذا كان الامر كذلك
فان التمييز انما هو بفعل الحكيم فكيف يليق بعاقل
فضلا عن كامل بان يحسد قريبا او غيره بل الواجب
عليه ان يرضى بقسمة الحق تعالى ويصبر على مر القضاء
ناملا قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
ولاجل ذلك كان اشهب من ائمة اصحاب مالك
قد ابتلي من الفقر بشيء كثير حتى كان لا يجد شيئا يطالع

الامام اشهب
وابن القاسم

عليه ليلا فكان يذهب الى بعض طواحين مصر ويبيت فيها
فيوقد عليها ويطحن عليها كل الليل حتى يطلع
الفجر فاذا طلع الفجر خرج لاصحابه وكان
لحيته عليها اثار الدقيق فلا علمت له ستره اشهب
وكان صاحبا ابن القاسم وهما اجل اصحاب مالك
في الفقه فقد اعطي من الجاه والمال امرا واسعا
فكان اذا جاء في عظمة الهائلة والابهة الكاملة
وهو راكب على شهوانات الخيل وحوله من الخدم
والتلامذة الجم الغفير على الايام اشهب ثم
يقول اشهب وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
أي اصبروا احتسب **واما قصة ابني ادم** فقد

قصة قابيل وهابيل

اخرج ابن جرير عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود
رضي الله عنه قال كان لا يولد لادم مولود الا ولد
معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية
هذا البطن الاخر حتى ولد له اثنان يقال لهما قابيل
وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب
ضرع وكان قابيل اكبرهما وكان له اخت احسن
من اخت هابيل فطلب ان ينكح اخت قابيل فابى
عليه وقال هي اختي ولدت معي وهي احسن من اختك
وانا احق ان اتزوج بها فامره ابوه ان يزوجها
هابيل فابى وانهما قربا قربانا الى الله تعالى
ايهما احق بالجارية وكان ادم قد غاب عنهما واتى
مكة ينظر اليها فقال ادم للسماء احفظي ولدي
بالامانة فابت وقال للارض فابت وقال للجبال
فابت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع تجد
اهلك كما يسرك فلما انطلق ادم قربا قربانا
وكان قابيل يفخر عليه فقال انا احق بها منك
هي اختي وانا اكبر منك وانا وصي والدي فلما
قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل
حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها
واكلها فتقبل قربان هابيل فقال لاقتلنك حتى
لا تنكح اختي فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك الاية وفي السند

عن ابن

مطلب الكبش الذي فدي به ابراهيم عليه السلام

عن ابن عباس رضي الله عنهما فقربا قربانا فجاء صاحب الغنم بكبش
اعين اقرن ابيض وصاحب الحرث بصبرة من الطعام •
فتقبل من صاحب الكبش فخزنه الله في الجنة اربعين
خريفا وهو الكبش الذي ذبحه ابراهيم صلوات الله
وسلامه عليه ولم يتقبل من صاحب الزرع • ومن الغريب
في الاية قول الحسن الذي رواه عنه عبد بن حميد وابن
جرير ان هذين كانا من بني اسرائيل كتب عليهم اذا رأى الرجل
الا يقتل رجله يتركه ولا يمتنع منه • ومما يرد ما ذكر عن
الحسن خبر الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان
على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن
القتل • وفي رواية للطبراني وابن عساكر ان اشقى الناس
ثلاثة ثم قال ابن ادم الذي قتل اخاه ما سفك
على الارض من دم الا لحقه منه لانه اول من سن القتل
وعن جماعة من الصحابة فطوعت له نفسه قتل اخيه فطلبه
ليقتله فراغ منه في رؤوس الجبال فاتاه يوما وهو يرعى
غنما وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات
واخرج ابن جرير عن ابن جريج انه لم يدر كيف يقتله فتمثل
ابليس في هيئة طير فاخذ طيرا فوضع رأسه بين حجرين
فشدخ رأسه فعلمه القتل • واخرج ابن عساكر عن علي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بدمشق جبل يقال
له قاسيون فيه قتل ابن ادم اخاه • واخرج ابن جرير
وابن عساكر عن سالم بن ابي الجعد قال ان ادم عليه
السلام لما قتل احد ابنيه الاخر مكث مائة عام لا يضحك
حزنا عليه فاتي على رأس المائة فقيل له حياك الله
وبياك وبشر بغلام فعند ذلك ضحك **ومنها**
واقعة يوسف صلوات الله على نبينا وعليهم
وسلم اعلم انها واقعة عجيبة تشتمل على غرائب
وحكم وعبر وامثال وذلك انها من وارتفاع
وعلى حسن عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وخذلان
المبطل وعلى ان عاقبة العفة عما حرم الله احمد
العواقب واكملها وعاقبة الكذب على اولياء الله
اذى العواقب واسفلها • وعلى ان التباغض والتحاسد

واقعة يوسف مع اخوته

اخوة يوسف انبيا

بين الاخوة امر قديم لما ان اخوة يوسف عليه السلام وقع منهم
ما وقع مع كونهم مخلصين انبيا بقوله تعالى قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط اتفقوا على ان المراد بالاسباط اولاد
يعقوب فكونه امرنا بالايمان بما انزل الى ابيهم وبما
انزل اليهم ظاهرا ونص في انه انزل عليهم ما يجب علينا
الايمان به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد
يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكثيرة
التي ظواهرها يجب تنزيه الانبيا صلوات الله عليهم
عنها بناء على انه صح بل الصواب ان الانبيا جميعهم الرسل
وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغاير المعاصي
وكبايرها وعمدها وسهوها ويجاب بان ذلك
مبني على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة
انما هي بعد النبوة لا قبلها والاولى ان يجاب
بان هذه الامور انما تشكل على قواعد شرعنا ما على
شرعهم فنحن لا ندري وبفرض انهم يوافق شرعنا
في ذلك فيحتمل ان لهم تاويلا يسوغ لهم ارتكاب
ما فعلوه ولتعبير كثير ببغيهم وحسدهم ونحو
ذلك من العبارات التي ظاهرها لا يليق بهم
انما هو بنا على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم واخرج
ابن جرير وابن المنذر ان ابا عمرو قيل له كيف قالوا نرتع
ونلعب بالقول وهم الانبيا فقال لم يكونوا يومئذ
انبيا وفسره ابن عباس بنسعى وننشط ونلهو
واما صح انه يجب علينا الايمان ببراءتهم ونزاهتهم
صلى الله على نبينا وعليهم وسلم واعلم ايضا ان من
صبر على اذى اخوته واقاربه ولم يقابلهم بسوء فعلهم
مع ظفره الله تعالى بهم ونصره عليهم واحوجهم اليه
فاذاقهم لخفة ذلك وقهره وزاده بذلك الصبر عليهم
من الكمال والرفعة ما تتحير فيه العقلا ويعجزوا عنه
الكمل من العقلا فكن على حذر التنبيه لتنال هذه
المعالي ودم على السلطة لما الله وزرناه في سرك وعلانيتك
لتتحلى بهذه اللالي الغوالي ولنذكر بعض المعاني
التي حصلت ليوسف واخيه ليكون ذلك ادعى لي

الانبيا جميعهم معصومون

تفسير ابن عباس نرتع بلهو

امتثالك

امتثالك واقوى على جذبك الى الكمال عن امثالك كيف والله
تعالى يقول لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين
قال الحسن عبرة واخرج ابن جرير عن ابن اسحاق
قال انما قص الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خبر
يوسف وبغي اخوته عليه وحسدهم اياه حين ذكر رؤياه
لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغي قومه عليه
وحسدهم اياه حين اكرمه الله بنبوته ليتاسى به فاذا
سبقت ونفسك ليتاسى بما نبينا صلى الله عليه وسلم
مع كماله الاعظم فكيف لا تتاسى بهما انت مع نقصك وركونك
الى نفسك واهويتها فتقابل ارقامك بامثالهم بل ربما
زدت عليها غافلا عن احوال الكمل وما وقع لهم من
تحمل اذى اخوتهم واقاربهم وجميل صبرهم ورضاهم
وتامل قول يعقوب ان الشيطان للانسان عدو مبين
لعلمه انه لعنه الله يبذل جهده ويعمل حيلته ويبطن
كيده بين الاخوة والاقارب حتى يتباغضوا ادعائهم
ويبطلوا انسابهم فيترتب على ذلك من الشر والمفاسد
والفتن ما لا يترتب على كثير من المعاصي واعلم
ان ابن جرير وابن ابي حاتم اخرجا قصة يوسف
عن السدي بطولها وفيها شرح لكثير من اياتها ولكن
فيه منها مع الزيادة عليها ان يعقوب كان نازلا
بالشام وكان اعز بنيه يوسف واخوه بنيامين فلذلك
حسده اخوته العشرة الباقون خصوصا لما بلغهم رؤياه
فتوافقوا يحتالون بل قتله بحيوانهم لا تقتلوه والقوه
في الجب ثم اتوا اباهم واعملوا الحيلة في طلبه منه حتى
ارسله معهم فلما برزوا للبرية اظهروا له العداوة
وبالغوا في ضربه ولطمه وهو يستغيث فلا يغاث
حتى اشرفوا على قتله فزجرهم عنه يهوذا فانطلقوا
به الى الجب فادلوه فاستمسك بشفير البير فربطوا يديه
ونزعوا قميصه فاستغاث في عدم نزعه فقالوا له
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يؤنسوك فادلوه
فلما بلغ نصف البير القوه ليموت فكان فيها ما فلم
يضره فاوى الى صخرة فيها فنادوه فظن انه
رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة

ما تاسى به نبينا صلى الله عليه وسلم

لعله حيوانا

فيقتلوه فتفرق عنهم بعيدا وكان يأتيه بالطعام ثم اخذوا قميصه
ثم لطخوه بدم على القميص ومن ثم قال تعالى بدم كذب ثم
اقبلوا الى ابيهم عشاء يبكون فلما سمع اصواتهم فزع فاخبروه
باكل الذيب ليوسف لما تركوه عند متاعهم اي غنمهم لانهم كانوا
رعاة فبكى باعلا صوته ثم قال ابن القميص فجاوا به فالقاه
على وجهه وبكى حتى تلوث وجهه من دمه ثم قال ان هذا
الذيب يا بني لرحيم فكيف اكل لحمه ولم يخرق قميصه اي وكان
لذلك حصل له نوع تسلية لعلمه انه لم يمت ولم ياكله ذيب
واستمر يوسف في البير ثلاثة ايام فاتت قافلة فارسلوا من يرد
لهم الماء ويستقي فادلى دلوه فتعلق يوسف بحبله
فلما رآه قال يا بشراي اي يا بشارتي او يا بشرى
بمعنى بشارة فسمع اخوة يوسف فجاوا فقالوا هذا عبد
لنا ابق ونطلب الدليل انكم تشترونه فسالهم ان يردوه
لابيه ويشفق رعاة عليهم فابوا فاعترفوا انه عبدهم
فاشتراه الرجلان منهم بثمن حرام قليل وهي
عشرون درهما فقط وقيل اكثر ثم اختلفوا ان اهل
القافلة باعوه بمصر فاشتراه اي يوسف
الذي يقال عنه استاذ منفعة اهل البير ثم ذهبوا
بره فاشتراه ملكها قيل وكان متملكا واسلم
امراته ان تكرمه فاحسنت وقالت لما احسن
شمولك قال هو اول ما يبلى ترابي بعد الموت
فقالت ما احسن وجهك قال هو الذي في التراب
ياكله ثم غضبت لنفسها فقصته النبوة فلم
يمنع منه ولا الهم بما عكما وهم بها جواب لولا
اي لولا برهان ربه لهم بها لكنه راى البرهان
فلم يهم وهذا احسن انه خوطب وانزه عنه وابقى
بمقام النبوة وان صح عن ابن عباس ما يخالفه
وجرى عليه اكثر المفسرين ودليل لان المعتذر
الا كما فسر ومن يعتقد النبي سيد هذا ما يجب الاعراض
عنه لشاهد نا قلته من نقل كل ما راوه من غير
تنزيل على محمل لفظا ومعنى ولان هيت
ليخرج ادركته فتشقت قميصه من خلفه فخرج منه
واشتد فاذا هو بزوجها وابن عمها عند الباب

الملك الذي اشتراه يوسف اسلم

احسن ما قيل في تأويل وهم بها

فبادرت

فبادرت بشكايته فقال بل هي راودتني عن نفسي فقال ابن
عمها الصغير بيمين لما رآه نشوز من خلقه وقيل كان طفلا
فانطقه الله تعالى ببراءته ثم امره بالكتم وامرها ان
لا تعود ثم سمعت بقول النسوة عنها انها راودته وان
حبه قد وصل الى شغاف قلبها اي جلدته وحجابه حتى
وصل الى ملاه فارسلت اليهن واعتدت لهن ما تتكى
عليه واتت كلا سكينا واترجا تاكله وامرته بالخروج
عليهن فلما رآينه دهشن فقطعن ايديهن ولم يشعرن
بقطعها وقيل اكبرنه امنين وقيل حضن فلما رأى
ما بهن عليه قال رب السجن احب الي فزينت امرأة
العزيز له حتى سجنه فرأى فيه رجلين غضب عليهما
الملك فقال اني اعمل الله عندكم يعقلا عليه دونهما
المتضلعين ليعرفا مكانته فاخبرهما بتعبيرها فكان
كما قال ثم لما اراد الناجي منهما الخروج قال له يوسف
اذكرني عند الملك فرأى الملك تلك الرؤيا وجمع
السحرة والكهنة فلم يعرفوها فتذكر صاحب يوسف
فقال للملك ارسلني الى من يعرفها فقصها عليه فاولها
له فقال الملك فاخبره فقال ارجع الى ربك فابى يوسف
ان يخرج اليه حتى تظهر براءته ولا يبقى في نفس العزيز
منه شي فجمع الملك تلك النسوة فتبرأن واخبرنه ان
امرأة العزيز ذكرت انها راودته فبلغت فاعترفت
فعلم الملك وعظمه براءته فاستخلصه على مصر واتمنه
جميع امرها اليه ثم لما عم الجوع بلاد يعقوب ارسل بنيه
الى مصر الا بنيامين شقيق يوسف فدخلوا على يوسف
فعرفهم ولم يعرفوه فسألهم عن حاجتهم فقالوا نحن
تجار لاهلنا فتشدد عليهم حتى اخبروه انهم عشرة
اخوة بنو ابينا وان لنا شقيقا اخر كان اكل احبهما
الينا الذيب فطلب منهم هذا الصغير ليستدل على صدقهم
والا حرمهم الميرة لانهم جواسيس فقالوا نفعل فقال
ضعوا عندي بعضكم رهينة فوضعوا شمعون ثم امر
عماله ان يدسوا ما جاوا يشترون به في رحالهم فلما جاوا
لابيهم اخبروه بمزيد اكرامه ومقالته لهم وقالوا لهم
يا ابانا امنع منا الصغير والله لم يعطنا شيا ثم فتحوا

رحالهم ليوجدوا بضاعتهم اذا انقلبوا اليهم فاكد واخي طلبا اخيهم
وطلب منهم ابوهم ان يوثقوه موثقهم ليردونه الا ان يحاط
عليهم فتوكل بالله وخاف عليهم العين لباهر صورهم
فامرهم اذا دخلوا مصر ان لا يدخلوا من باب واحد
ففعلوا وقد دخلوا على يوسف فعرف اخاه وبالغ في
اكرامهم وامر لكل اثنين بفرش فبقي اخوه فاخذه ليبات
معه على فراشه فجعل يشم ريحه ويضمه اليه ولم يعلمه
انه يوسف وقيل اعلمه اني انا اخوك اي يوسف اخيك
الهالك ذكره وهب ابن منبه ثم امر بتجهيزهم وجعل
السقاية وهي جام يشرب فيه وهو المسمى بالصواع ايضا
وكان من فضة او ذهب او نحاس فوضع في رحل اخيه
من غير علمه ثم ارسل في اثرهم مناديا انكم لسارقون
فالتفتوا فجاءوهم فاخبروهم ان صواع الملك سرق
فقالوا من سرقه جزاؤه ان يسترق ففتشت رحالهم
وجعل رحل بنيامين الاخير ففتشه فاخذه منهم فقالوا له
فلذلك قال الله كذلك كدنا ليوسف اي صنعنا له اخذه
من بينهم لان اخذه لم يكن في حكم ملك مصر وانما كان
من شرع يعقوب فانطلقوا نحو الملك ليأخذه بعقاب
ثم اتوا بنيامين عاتبوه فقالوا ما نزال نرى بلاء
الله منكم يا بني راحيل وهو اسم ام يوسف وبنيامين
فقال بل نحن المبتلون بكم ذهبتم باخي فاهلكتموه
وقال انما وضع الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم
في رحالكم في المرة الاولى فقالوا لا تذكرها لا نؤخذ بها
فادخلوهم على يوسف فدعا بالصواع ونقر فيه ثم
اسره ان الصواع اخبره انكم اثني عشر وانه بيع واحد
منكم فسجدوا وقالوا سله اخي حي فنقره وقال
حي وستراه فقال سله من اخذه فاستقم فغضب
اخوه روبيل فقام وقال ايها الملك لتتركنا او لاصيحن
صيحة لا تبقى امرأة حامل بمصر الا اسقطت وقام شعره
حتى خرج من ثيابه فقال يوسف لابنه قم بجنبه ومسه
وكان ولد بني يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب
الغضب ففعل فزال الغضب فقال هنا بزر من بزر
يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال

قوله كدنا ليوسف

اسم ام يوسف

ايضا

١٠

ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه صفي الله بن ذبيح الله بن خليل
خليل الله فامره ان يعقوب عليه السلام اذا رجع اليه ويقول له
ان ملك مصر يريد عوالك ان ترى ابنك يوسف فاخرج
لهم شمعون الذي كان مرتهن عنده فخرجوا يتناجون
فقال لهم روبيل وهو اكبرهم علما انه يحبسه حتى ياذن له
ابوه فرجع التسعة الى ابيهم واخبروه فبكى ثم اظهر لهم
الصبر ورجى ان الله يرد عليه الكل ثم اخبروه بدعا الملك
لم تزداد رجاؤه لعلمه انه لا صديق في الارض الا ولده
فامرهم بالعود لعلهم يظفروا بيوسف واخيه فاتوه
قائلين يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الخ فرق لهم وقال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه فعرفوه فاعتذروا
اليه فقال لا تثريب عليكم اليوم اي لا اذكركم ذنبكم
لاني عفوت عنكم وصفحت ثم امرهم بالذهاب بقميصه
ليرتد بصيرا فذهب من يهودا بيه لشدة بكائه على يوسف
قال الحسن وكانت مدة غيبته ثمانين سنة
وان ياتوه باهلهم اجمعين فقال يهودا انا الذي ذهبت
اليه اولا بقميصه وقلت ان الذيب اكله فلا اذهب اليه
بعدا ولا افرحه كما احزنته فلما فصلوا من مصر وجد يعقوب
ريح يوسف من مسافة ثم لما اتى البشير وحملهم اجمعين فلما
قربوا من مصر كلم يوسف الملك فخرجوا يتلقونهم فلما جاءهم
رفع اباه وخالته على سريره فلما حضر يعقوب الموت امره
ان يدفنه عند ابراهيم واسحاق بالشام ففعل وقال
رب قد اتيتني من الملك الخ قال ابن عباس
هذا قول نبي سال الله تعالى الموت هذا ما صدق هذه
القصة العجيبة الغريبة التي من تاملها هان عليه
ما يفعله اقاربه معه وقابلهم بالعفو بل بالاحسان
حتى يظفره الله بهم ويذلهم له ويحكمه فيهم ومن ذلك
اخرج جماعة عن مجاهد وقتادة في قوله تعالى واوحينا
اليه الاية قال اوحى الله اليه وحيا وهو في الجب لتنبئنهم
اخوتك بما صنعوا وهم لا يشعرون بهذا الوحي زاد
قتادة فهون ذلك الوحي عليه ما صنع به ثم نباهم به
من فقد الصواع واخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه
افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرسه في يوسف

مدة غيبة يوسف

افرس الناس ثلاثة

وثبت بما تقرر سنة في موسى وأبو بكر باستخلاف عمر رضي الله
عنهما • وأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن يعقوب
دخل مصر وهو ابن مائة وثلاثين سنة وأقام في ملك •
يوسف ثلاثين وأن يوسف عاش مائة وعشرين وأن
إبراهيم عاش مائة وخمسة وسبعين • وأخرج جماعة
عن سلمان الفارسي وغيره أن بين رؤيا يوسف •
وتأويلها أربعين سنة وقال الحسن والعقد ثمانون
سنة • وأخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن عبد العزيز
أن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة قال يا إخوتاه
إني اشتركت آبائي في أعمالهم فاشركوني معهم في قبورهم •
وأخذ عليهم الميثاق فلم يفعلوا حتى بعث الله تعالى
موسى عليه السلام فسأل عن قبره فلم يجد أحدا يعرفه
أو يخبره به إلا امرأة بنت ليعقوب فقالت له إن دللت
عليه تعطيني ما أشترط عليك قال ذلك لك قالت أصير
شابة كما كنت فقال ذلك لك قالت وأكون معك في
درجتك يوم القيامة فلما سئم قالوا أعطها •
ذلك ففعل فدلته عليه فأخرجه فكانت كانت
بنت خمسين سنة فصارت مثل ابنة ثلاثين سنة
حتى عمرت ألفا وستمائة أو ثلاثمائة وحضرت زمن
سليمان بن داود عليهما السلام ومنها واقعة
موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وذلك
أن موسى عليه السلام لما نجاه الله تعالى من الغرق
هو وقومه وأهلك فرعون وقومه سبق قومه
وتعجل المناجاة ربه فأخبره تعالى بأنهم افتتنوا
بعده بعبادة العجل فرجع إليهم وهو غاية الغضب
حتى إذا ألقى ما بيده من ألواح التوراة فتكسرت
ثم أخذ برأس هارون ولحيته يجره إليه عتبا عليه إذ تخلف
معهم حتى عبدوا العجل ولم يلحق به فاعتذر إليه هارون
بأنه أراد أن ينهاهم فاستضعفوه وكادوا أن يقتلوه
وبأنه خشي أن لحقه وتركهم أنهم يتفرقون فيعتب عليه
موسى مع ذلك فرفق هارون لموسى واستعطفه في
المفوضة بذكر ما بينهما من رحم الأخوة الذي هو
أرق من رحم الأخوة إذ الأم أرفق وأرحم من الأب

ما بين رؤيا يوسف وتأويلها

دلالة [illegible] موسى على قبر يوسف

واقعة موسى وهارون عليهما السلام

فتأمل

فتأمل لما كان الكمال تقدم على ما بينه من حسن الخلق كيف وهارون
نبي الله تعالى وهو مرسل إلى بني إسرائيل كموسى على الأصح
لكن موسى عليه الصلاة والسلام كان هو صاحب الرسالة
أولا وهو الذي طلب إرسال هارون معه ليكون وزيرا
ومعينا له على بني إسرائيل فلما ظن موسى أن هارون •
وقع منه أذى في تقصير عما حقه لما عبدوا غير الله
ولم يبق لهم أدبه بجر لحيته ورأسه تأديبا للمرآة للشيخ
في ملتنا أن يؤدب تلامذته بنحو ذلك على ما ذكره بعض
الأئمة فكيف يجل له موسى وفخامته وأما لنسبة •
هارون بالنسبة إليه كالتلميذ بالنسبة للشيخ •
وإن كان هارون هو الأكبر سنا منه إذ هو المسوغ لموسى
ما فعله بهارون • ولما علم هارون أن موسى محق فيما
فعله لم يسعه إلا الاعتذار بالتلطف فترفق له وناشده
بالرحم ليتركه وما أشد هارون موسى برحم الأمومة •
ثم سري عن موسى ما هو فيه من الغضب على هارون قال
رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم
الراحمين فتأمل رحمك الله وافتح عين بصيرتك
إلى التأسي بالكمل في مثل هذه المضايق • أما أولا فانظر
إلى استسلام هارون لموسى واعتذاره وإن كان
هارون محقا في بقائه مع بني إسرائيل ليتعلم أنه
ينبغي لك إذا ما أخطأ أخوك عليك وخفت أن تعتذر
إليه حتى ترضي خاطره وإن كنت محقا لأن هذا هو •
الكمال وأي كمال وثانيا أن تنظر إلى كرم موسى وحسن
خلقه وسرعة رجوعه عما كان فيه من الغضب الشديد
بمجرد اعتذار هارون إليه وترفقه لمزيد ذلك
الجلال الأعظم الذي كان موسى متخلقا به ثم عقبه
ذلك الجلال الأكثر بدعائه لهارون بعد دعائه لنفسه
بأن يغفر لهما مغفرة تليق بكماله وأن يدخلهما في رحمته
العظمى اللائقة بكمالهما إذ هو عظيم ثم استغرب أجابته
دعائه وأسرع فيه بقوله وأنت أرحم الراحمين
وإذ قد علمت ذلك ففي كل من فعل موسى وهارون عليهما
السلام ما ينبغي لك أن تتأسى به وراء ذلك إشارات
وكمالات ليس هذا محل بسطها • وأخرج الحاكم عن وهب

المسوغ لموسى ما فعل بهارون

قال وكان هارون فصيحا بين المنطق يتكلم في تؤدة ويبرئ في علم
وحلم وكان اطول من موسى طولا واكبرهما في السن واكثرهما لحما
وابيضهما • وكان موسى جعدا آدم طوالا كانه من رجال شنوءة •
ولم يبعث الله نبيا الا وكانت عليه شامة النبوة في يده •
اليمنى الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة
كانت بين كتفيه **ومنها موافقة مسطح** مع ابي بكر رضي
الله تعالى عنه في حديث الافك المشهور اعلم ان مسطح هذا
هو ابن اثاثة القرشي المطلبي وامه بنت خالة ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فرباه ابو بكر يتيما في حجره مع عياله
وكان ينفق عليه وعلى امه واستمر على ذلك الى ان اسلم
وشهد بدرا وكان من المهاجرين الاولين مجلول نظر
الى ابي بكر رضي الله عنه عليه ثم لما وقع حديث الافك
الاتي خاض فيه مع من خاض فخبثت بلغ ابا بكر انه هتك
العهد وهو رمي سيدة نساء العالمين بالزنا الذي
لا اقبح منه ووقع من مسطح مع قرابته وتربيته له •
واحسانه اليه وانفاقه عليه ان خاض في الافك •
فاستشاط ابو بكر غيظا على مسطح فحلف ان لا ينفق عليه
ولا ينفعه ولا يصله بدرهم ابدا ولا يتلطف عليه •
بخير ابدا وارسل له بمنعه وطرده واخرجه من منزله
فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة
اي في الرزق ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ولما نزلت •
دعى النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر فقرأها عليه
وقال له اما تحب يا ابا بكر ان يغفر الله لك فقال
بلى يا رسول الله قال فاعف عن مسطح وتجاوز عنه
فقال ابو بكر نعم لا جرم والله لا اقطع معروفا كنت
اوليه قبل اليوم فقال ابو بكر رضي الله عنه بعد نزول
الاية يعطيه ضعفي ما كان يعطيه قبل ذلك وقال
لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا تحللتها
واتيت الذي هو خير • وقد روا بنزاذا نزل القران •
بامر من قبله لا اطاعني لك روى ذلك كله الطبراني
وغيره • فتأمل ايها الموفق ما في هذه الاية

مطلب لم يبعث الله نبيا الا وكانت عليه شامة النبوة

ومما فعله صلى الله عليه وسلم من الحث الاكيد على صلة الرحم
وان فعلها فعل لا نزلا اقبح مما وقع من هؤلاء وهو الخوض
في افك امهات المؤمنين وحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومع ذلك امر الله تعالى ابا بكر واقاربه
الصحابة رضي الله عنهم ان يغفروا لهم هذه الزلة
وان يعفوا عنهم ويصفحوا بظاهرهم وباطنهم وان
يصلوا ارحامهم بان لا يقطعوا عنهم معروفا كانوا
يفعلونه معهم قبل ذلك • وتأمل كونه صلى الله عليه
وسلم عقب نزول الاية دعا ابا بكر وقرأها عليه
وقال له اما تحب يا ابا بكر ان الله يغفر لك الى اخر
ما مر تحثه على المغفرة والصفح والعفو وعود
بره واحسانه لمسطح وان وقع منه ما وقع • وبعد
ان تتأمل ذلك تعلم عظيم حق الرحم وصلته وتأكد
امره وانه لا عذر عليه في قطع رحم سلطنا وان
ما يقع من كثيرين من قطع ارحامهم انما هو لحماقتهم
وغباوتهم وجهالتهم بالقرآن والسنة ومكارم
الاخلاق ومحاسن الاداب فاحذر ان تكون
من هؤلاء الهالكين الذين لا يبالي الله بهم في اي
واد هلكوا **ومنها موافقة الاوس**
والخزرج في قصة الافك التي رواها الطبراني •
وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما ومنها •
ان الناس لما خاضوا في الافك مدة وعائشة •
رضي الله عنها لم تعلم وكانت من النبي صلى الله
عليه وسلم جفوة فلما اخبرت بما الناس فيه علمت
سبب تلك الجفوة فقالت للنبي صلى الله عليه
وسلم ائذن لي ان اذهب الى اهلي قال
اذهبي فخرجت حتى اتت اباها فقال لها •
ما شأنك قالت اخرجني رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بيته فقال لها ابو بكر اخرجك رسول
الله صلى الله عليه وسلم واويك انا والله
لا اويك حتى يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامره رسول الله ان يأويها فقال لها ابو بكر
والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قط فكيف

وقد اعزنا الله تعالى بالاسلام فبكت عائشة رضي الله عنها
وامها ام رومان وابو بكر وعبد الرحمن وبكى جميع
اهل الدار وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه فقال يا ايها الناس
من يعذرني ممن يؤذيني فقام اليه سعد بن معاذ
وسل سيفه فقال يا رسول الله انا اعذرك منه ان
يكن من الاوس اتيتك براسه وان يكن من الخزرج
امرتنا بامرك فيه فقام سعد بن عبادة فقال
كذبت والله ما تقدر على قتله انما طلبتنا بذحول
كانت بيننا وبينكم في الجاهلية فقال هذا يا آل
الاوس وقال هذا يا آل الخزرج فاضطربوا
بالنعال والحجارة وتلاطموا فقام اسيد بن
حضير فقال فيم الكلام هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرنا بامره فننفذه على رغم انف
من رغم ونزل جبريل وهو على المنبر فلما سري
عنه تلا عليهم ما نزل به جبريل وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى آخر الآيات
فصاح الناس رضينا بما انزل الله وقام بعضهم
الى بعض فتعانقوا وتصافحوا ونزل النبي صلى
الله عليه وسلم : فتامل رحمك الله ووفقك
ما وقع بين هؤلاء القوم الاكابر الذين هم سادات
الناس بحضرته صلى الله عليه وسلم من ان
الشيطان لعنه الله كاد يلقي بينهم فتنة تفنيهم
عن آخرهم حيث دس الى سعد بن عبادة سيد
الخزرج ان سعد بن معاذ سيد الاوس لم يتقيد
بكلامه واستعاره وقوله وان يكن من الخزرج
امرتنا بامرك انه الانتقام من الخزرج بسبب
الحروب التي كانت بينهم قبل الاسلام حيث قال
انما طلبتنا الى آخره اي لم تقصد الا الانتقام منا
اخذا بثارك مما كان بيننا في الجاهلية ثم دس الى كل
ان قال يقتل صاحبه فحميت بينهما الفتنة واشتدت
حتى تقاربوا حتى كادوا يقتتلون لولا ان الله
تعالى بعونه رسوله صلى الله عليه وسلم ازال عنهم

تلك

تلك الوساوس وانزل على نبيه تلك الآيات التي كانت سببا
لصفاء قلوبهم فتصافحوا فتلازموا فكذلك انت ايها العاقل
الموفق الذي لك في رسول الله واصحابه الاسوة الحسنة
ينبغي لك اذا وقع بينك وبين رحمك ما دسه الشيطان
ووسوس به اليكم حتى كدتم ان تتقاطعا ان تذكر ما وقع
لاولئك الاكابر الافاضل من خمود تلك النيران في قلوبهم
من سكونهم ورجوعهم الى الله حتى ازال جميع ما في قلوبهم
بقوله تعالى واذكروا اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الآية
وتامل مزيد اعتناء الله تعالى بصلة الرحم حيث انزل
على نبيه صلى الله عليه وسلم عند وقوع تلك الفتنة
التي كادت ان لا تبقي منهم احدا قوله تعالى وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما بالعدل
ثم كرر تعالى الامر بالصلح عند رجوعهما الى الله تعالى
ولم يرض تعالى بمطلق الصلح بل قيده بكونه بالعدل
ثم امر بالعدل في كل الامور وحث عليه بان الله تعالى
يحب الذين يعدلون في امورهم ثم زاد تعالى في ذلك
الحث والامر تاكيدا وحملا عليه بقوله تعالى انما المؤمنون
اخوة اي وشرط الاخوة ان لا يقع بينهم تقاطع
بوجه ابدا فاذا وقع فليبادر من له فطنة ودين
وامانة الى ازالة ما بينهما من الوحشة هذا مختصر
ما يتعلق بهذه القصة وبعد ان تتامل هذه القصة
والمبادرة الى الصلح على الوجه الاكمل حتى لا يبقى عندك
ذرة من حقد علما فانا الله واياك من ذلك بمنه وكرمه
تنبيه اخر قد تكرر على سمعك الاشارة الى قصة
الافك وهي لاشتمالها على ما لا يحصى من العلوم
والآداب والاحكام والحكم حقيقة بان تذكر
اعلم ان هذه القصة خرجها الحفاظ في كتبهم منهم
البخاري ومسلم وقبلهما عبد الرزاق واحمد وعبد بن
حميد وسعيد بن منصور وبعدهما الترمذي وابن
المنذر وابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني والبيهقي
وابن مردويه **وتفاصيل** ما يجتمع من روايات هؤلاء عن
عائشة وغيرها لكن اكثر ما ياتي عن عائشة انه صلى
الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه

قصة الافك

فأيتهن خرج سهمها خرج بها صلى الله عليه وسلم معه فلما
اراد غزوة بني المصطلق كما جاء بسند حسن عن ابي هريرة
اقرع بينهن فخرج سهم عائشة فخرجت معه صلى الله
عليه وسلم وكان ذلك بعدما نزلت آية الحجاب فكانت
تحمل في هودجها لان رجال يحملونه وينزلونه فساروا
حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك
واقبلوا راجعين الى قرب المدينة فنزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم جوف الليل ثم استيقظوا واستعدوا
بالرحيل فمشيت لقضاء حاجتي حتى جاوزت الجيش
فلما قضيت شأني اقبلت الى رحلي فاذا عقد لي
اي قلادة كانت رواية من جزع ظفاري قد انقطع
فتباطأت لالتماسه والاشتغال بالتفتيش عليه
فاقبل حملة هودجها فحملوه وهم يحسبون انها فيه
لخفة اثر سمنها ولان النساء اذ ذاك كن خفافا لم
يثقلهن اللحم انما يأكلن اليسير من الطعام
فلم ينكروا خفة الهودج حين رفعوه فساروا
فجاءت فلم تجد احدا فمكثت في محلها لعلمها انهم
يرجعون اليها حين فغلبتها عيناها فنامت وكان
صفوان بن المعطل سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يجعله على الساقة فجعله وكان اذا رحل
الناس قام يصلي ثم اتبعهم فما سقط منهم من شيء
حمله حتى يأتي به اصحابه فلما مر بها عرفها لانه كان
يراها صغيرة وقبل نزول الحجاب فقال انا لله
وانا اليه راجعون ثم اناخ بعيره فوطئ على يديه
ثم ولى عنها فقال يا امه قومي فاركبي فاذا ركبت
اذنيني فركبته فجاء حتى حل العقال ثم بعث جمله
واخذ بخطام الجمل فما كلمها كلمة حتى اتى بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزلوا موغرين في
حر الظهيرة ولما قدم بها الجيش ورأوها معه
هلك فيها من هلك بخوضه في الافك ورميها
بالزنا وكان اول من قال ذلك وتولى كبره وخطه
واشاعه في الناس عبد الله بن ابي المنافق اللعين
فقال فجر بها ورب الكعبة بربنت سنداي رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وما برئ منها وتبعه على ذلك حسان
ابن ثابت الانصاري ومسطح السابق ذكره وحمنة اخت
زينب بنت جحش ام المؤمنين وبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم لانه شاع في العسكر فكان في قلبه صلى الله
عليه وسلم حتى رجعوا الى المدينة واشاع ابن ابي هذا
الحديث في المدينة وشق ذلك على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحين قدموا المدينة مرضت عائشة
رضي الله عنها والناس يفيضون في قول اصحاب الافك
وهي لا تشعر بشيء من ذلك لكن كان يريبها في وجعها
انها لا تعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف
الذي كانت تراه حين تشتكي اذ كان يدخل فيسلم
ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف ولما نقهت خرجت
ليلا ومعها ام مسطح الى البراز وكانوا لا يخرجون اليه
الا ليلا وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتهم
وكان امرهم امر العرب الاول في الابعاد في التبرز ثم
تأذيهم بالكنف ان تتخذ عند بيوتهم فلما رجعنا من البراز
عثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت لها
عائشة بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت
اولم تسمعي ما قال فاخبرتها بقول اهل الافك
فازدادت مرضا الى مرضها وفي رواية ان الحمى اخذتها
بنافض وخرت مغشيا عليها فلما رجعت بيتها ودخل
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
كيف تيكم فقالت له اتأذن لي ان آتي ابوي لتستيقن
الخبر من قبلهما فاذن لها فجاءتهما فقالت لامها
ما يتحدث الناس قالت هوني عليك فوالله لقلما
كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر
الا اكثرن عليها فقالت سبحان الله ولقد تحدث
الناس بهذا فبكت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ
لها دمع ولا تكتحل بنوم ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين
استلبث الوحي يستأمرهما في فراقها فاما اسامة
فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي
يعلم من براءة اهله واما علي فقال يا رسول الله لم

يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية
تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
فقال اي بريرة هل رأيت من شيء يريبك فقالت لا والله
الذي بعثك بالحق ان رأيت عليها امرا اغمصه من انها
جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فيأتي
الداجن فيأكله. قالت عائشة فبكيت يومي ذلك.
لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح ابواي عندي وقد بكيت
ليلتين ويوما وابواي يظنان ان البكاء فالق كبدي فبينما هما
جالسان عندي وانا ابكي فاستاذنت علي امرأة من الانصار
فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس.
عندي منذ قيل في ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في
شأني شيء فتشهد حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه
بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان
كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد
اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي فقلت.
لابي اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال.
والله ما ادري ما اقول لرسول الله فقالت لامي اجيبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ادري ما اقول
لرسول الله قالت عائشة فقلت وانا جارية حديثة
السن لا اقرأ كثيرا من القرآن اني والله لقد علمت انكم
سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم
به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة منه.
لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني
منه بريئة لتصدقنني والله ما اجد لي ولكم مثلا الا.
قول ابي يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا حينئذ اعلم اني
بريئة وان الله تعالى سينزل براءتي ولكن والله ما كنت
اظن ان الله منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في
نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكنه.
ارجوا ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
رؤيا يبرئني الله تعالى بها قالت فوالله ما رام.

رسول الله

رسول الله مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله
عليه فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى
انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات
من ثقل الذي انزل عليه فلما سري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سري عنه وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم
بها ان قال ابشري يا عائشة اما الله فقد برأك
فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد
الا الله هو الذي انزل براءتي وانزل الله ان الذين
جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات كلها فلما انزل
الله تعالى هذا في براءتي قال ابو بكر وكان ينفق.
على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا انفق على
مسطح شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة ما قال
فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة
الى قوله رحيم قال ابو بكر بلى والله اني احب ان
يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة وقال والله.
لا انزعها منه ابدا قالت عائشة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن امري
فقال يا زينب ماذا علمت او رأيت فقالت يا رسول
الله احمي سمعي وبصري ما علمت الا خيرا وهي التي.
كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها
الله تعالى بالورع. وطفقت اختها حمنة تحارب لها.
فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك فقال رسول الله صلى الله.
عليه وسلم تؤمني الى البيت فقامت وخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المسجد فدعا ابي عبيدة عامر بن.
الجراح فجمع الناس ثم تلا عليهم ما انزل الله من البراءة
لعائشة وبعث الى عبد الله بن ابي بن سلول فجيء به فضرب
النبي صلى الله عليه وسلم حدين وبعث الى حسان ومسطح
وحمنة فضربوا ضربا وجيعا ووجئ في رقابهم قال.
ابن عمر وانما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن
ابي حدين لانه من قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعليه
حدان . ومسح عينيها امها فقالت ما دريت بما دبيت
هممت ان آتي قليبا اهوي فيه طرحا نفسي فيه وانزلها
نزل عذرها فقبل ابو بكر رأسها فقالت الا عذرتني

من قذف ازواجه صلى الله عليه وسلم
حد

وخصت عائشة رضي الله عنها بخلال

فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت ما لا أعلم وأسماء
قالت خلال في تسع لم تكن لأحد إلا ما آتى الله تعالى بي
لقد جاء الملك بصورتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتزوجني وأنا ابنة سبع سنين وأهديت إليه وأنا ابنة
تسع سنين وتزوجني بكرا وكان يأتيه الوحي وأنا وهو
في لحاف واحد وكنت من أحب الناس إليه ونزلت في
آيات من القرآن كادت الأمة تهلك فيهما ورأيت جبريل
ولم يره أحد من نسائه غيري وقبض في بيتي ولم يله أحد
غيري إلا الملك وأنا. وأخرج الشيخان وأحمد عن مسروق
قال دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال
حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
كناية على أنها لا تغتاب أحدا فقالت له لكنك أنت
لست كذلك تكون بذلك لحومها تخوض في الإفك
فيها وهي غافلة قلت تدع هذا يدخل عليك وقد
أنزل الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم فقالت وأي عذاب أشد. وأخرج ابن جرير
من طريق الشعبي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان وما تمثلت
به إلا رجوت له الجنة قوله لأبي سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب حيث قال

هجوت محمدا وأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفو ... فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا فقالت لا إنما
اللغو ما قيل عند النساء قيل أليس الله يقول
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس
أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكسع
بالسيف يعني الذي ضربه إياه صفوان بن المعطل
حين بلغه عنه أنه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف
وكاد يقتله. وأخرج الحاكم عن الزهري قال
لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم لكانت عائشة أوسعهم علما. وأخرج

ذهاب بصر حسان

عائشة أوسع الناس علما

عن عروة

عن عروة قال ما رأيت أحدا أعلم بالحلال والحرام والعلم
والشعر والطب من عائشة رضي الله تعالى عنها

ومما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم مع قريش

اعلم أن أحدا لم يبالغ في قطيعة كما بالغت قريش في قطيعته
صلى الله عليه وسلم بالأذيات التي لا منتهى لها
وبالعزم على قتله وقتل أصحابه وبعد ذلك منهم
إلى أن قطع سائر قريش رحم بني هاشم والمطلب لأجله
صلى الله عليه وسلم لما عادوه ونفروه ووقائعهم في
ذلك كثيرة شهيرة ومع ذلك لم يبالغ أحد في صلة
الرحم كما بالغ صلى الله عليه وسلم في صلة رحمهم منه
والصبر على أذياتهم. ثم لما جاوزوا الحد ووقع اليأس
من رعايتهم للرحم أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم
في قتالهم بعد أن بقي عمره في نحو ثلاث عشرة كل ذلك
لعلهم يرجعون ويؤمنون به ويصلون رحمه ويرجعون
عن قطيعتها فلما لم يزدادوا إلا طغيانا سلطه الله
تعالى عليهم وظفره بهم فأبادهم قتلا وسبيا
واستمر إلى أن كان ما شاء من شأنهم وأن يقطع دابرهم
نادت رحمه عليهم مشفقة الغرابة والرحم فقال لهم
يوم فتح مكة وقد صاروا كلهم تحت أمره لم يبق منهم
أحد ماذا تظنون أني فاعل بكم فقالوا أخ كريم
وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال
لا أقول لكم إلا كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم. فتأمل هذا الباب الواسع
الذي لا يدرك منتهاه وتأس بما يتلى عليك فيه
من أحوال نبيك الذي أمرت باتباعه والتأسي به
قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
مع أقاربه وأرحامه وأنهم ما زالوا يقطعونه وهو
يصلهم حتى رجع كثير منهم إليه وصاروا من أعز الناس
عليه وحتى ظفر بمن لم يرجع منهم فورثه ديارهم
وأموالهم ودفع الله عنهم الشر البالغ بأعدائه
غايات الظفر والاستيلاء. واعلم أنه إذا ثبت
بنبيك من ذلك ونجاة الله تعالى جعل لك من كل
ضيق وسعة وإذا بدر فرجا ومخرجا. واعلم أن الله

تعالى بين لنا ان الرحم كلما قربت كانت احق بالمراعات • والاحسان في النصيحة والشفقة بما هو الاسنات • عليه من ذلك قال الله تعالى لنبيه مع علمه بانه ياتيهم لا الاذا بتدا الحق بابعد هلا ابتدا وانذر عشيرتك • الاقربين • اخرج احمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم فخص •
فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بني كعب بن لؤي انقذوا انفسكم من النار يا معشر بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لك • ضرا ولا نفعا الا ان لكم رحما سابلها ببلالها • فتامل • قوله صلى الله عليه وسلم الا ان لكم رحما سابلها ببلالها تعلم ما طبع عليه من الخلق العظيم فانهم مع ما لهم في قطيعته بعيدهم بحيث يا عنه وهو ابدا يصل رحمهم ويبالغ في دفع الموذي عنهم • وصح انه لما نزلت الاية قام صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم • وصح عن ابن عباس • قال لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد على الصفا فهتف • يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء عمه ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا • قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت مساعيه وخسرت ذاته فضار في ذاته وصفاته وسائر احواله • خاسرا خسرانا لا خسران بعده لانه قطع رحم ابن اخيه

وتأملوا

ايراد وجواب عن كنية اللعين ابي لهب

وما جاء به وبادره من بين قريش كلهم بالاساءة والشتم والاستهتار بحقه فلاجل ذلك تولى الله نصرة نبيه فاجاب ابا لهب اللعين بنظير ما نطق به وكان زيادة في تقبيحه والتسجيل عليه بانه اشتعلت فيه نارا القطيعة حتى صير من النار له الحقيقة التي لا محيص عنها بقوله ابي لهب فسمعنا ما يقال للتكنية للتعظيم فكيف كنى هذا الكافر اللعين • واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين بدا باهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين • وتامل هذا فانه يوقظك الى المبالغة في صلة الرحم ويجذبك عن قطعها ويعلمك بانه لا فائدة للقرب الصوري مع البعد المعنوي الناشئ عن المقاطعة والمخالفة والمباينة وانما المدار على القرب المعنوي الناشئ عن عظيم المودة والموافقة والطواعية لمن يستحق ذلك من الاجانب فكيف بالاقارب • الا ترى ان قريشا لما خالفوا وقطعوا رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث نعتهم من ايديهم قال الله تعالى له في حقهم فانذر عشيرتك الاقربين اي توعدهم بالعذاب الاليم وخوفهم عن ان ينزل بهم فانهم مقلوا بوجبة من المقاطعة والمخالفة وان المؤمنين لما وصلوا واطاعوا قال الله تعالى في حقهم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وشتان ما بين • الانذار وخفض الجناح فالملة ارادا على قرب القلوب • لا على قرب الانساب فانه لا ينفع الا ان وجد قرب القلوب والا لم يفد القرب النسبي شيئا بل يكون قطعه سببا لاعظم النكال وابلغ الخزي والضلال فانت قد علمت بعد ان ذلك من ايات الله تعالى في ذلك عمه وكرمه ابيه • واذا علمت هذا فنذكر لك ما فيه من انواع الظفر التي ظفره الله تعالى بهم ونصره عليهم

• النوع الاول •

اخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله •
صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا
فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه •
وسلم ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم •
بالبينات من ربكم فإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم ثم قاموا فضربوه بيده وعيناه تسحان
حتى أرسلوه • وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى والنسائي
في الكبير ورواته ثقات عن عمرو بن العاص قال ما رأيت
قريشا أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوما رأيتهم
وائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام فقام عقبة بن
أبي معيط ثم جذب رداءه في عنقه حتى وجأ أن سقط لركبتيه وتصايح •
الناس وظنوا أنه مقتول فأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ
بضبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وهو
يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم ثم انصرفوا عن رسول الله من ورائه فقام صلى •
الله عليه وسلم يصلي فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس
في ظل الكعبة فقال يا معشر قريش أما والذي نفسي •
بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح وأشار بيده إلى حلقه
فقال له أبو جهل يا محمد ما كنت جهولا فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنت منهم • وأخرج ابن مردويه عن أنس
بن مالك قال ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون •
رجلا أن يقول ربي الله فقالوا من هذا قالوا هذا ابن أبي قحافة

• النوع الثاني •

ما أنزل الله تعالى في سورة حم السجدة قوله عز قائلا
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه •
لعلكم تغلبون أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة إذا قرأ •
القرآن يرفع صوته فكان المشركون يطردون الناس
عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون وكان إذا أخفى قراءته لم يسمع من يحب أن •
يسمع القرآن فأنزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا

تخافت

تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا • وما أنزل الله تعالى في
أولها فقد صح عن جابر بن عبد الله قال اجتمعت قريش يوما
فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر •
فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا
وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا
ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا أنت يا أبا
الوليد فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم عبد الله أنت
خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا
الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم
حتى نسمع قولك أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم
على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت
ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في
قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر
إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف
يا أيها الرجل إن كان ما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا
حتى تكون أغنى قريش رجلا واحدا وإن كان إنما بك
الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى
بلغ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير
هذا ثم رجع إلى قريش فقالوا ما وراءك قال ما تركت
شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته قالوا فهل
أجابك قال والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال
غير ذكر الصاعقة • وأخرج ابن إسحاق وابن المنذر
والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن محمد بن كعب
القرظي قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان حليما قال
ذات يوم وهو جالس في نادي قومه من قريش ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد يا معشر
قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أمورا
لعله يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى يا أبا
الوليد فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له وفيما عرض
عليه من المال والملك وغير ذلك حتى اذا فرغ عتبة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد
قال نعم قال فاستمع مني قال افعل فقال صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت اياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ومضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فلما سمعها
عتبة انصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى السجدة فسجد ثم قال سمعت يا ابا الوليد
قال سمعت ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه
فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابا الوليد بغير
الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك
يا ابا الوليد قال والله اني قد سمعت قولا ما سمعت
بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
والله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ومن رواية ابي
نعيم والبيهقي انه قال يا قوم اطيعوني في هذا اليوم
واعصوني بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل قولا
ما سمعت اذناي قط كلاما مثله وما دريت ما ارد عليه
وانه قال لهم قد كلمته بالذي امرتموني به حتى اذا فرغ
كلمني بكلام لا والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت
ما اقول له يا معشر قريش اطيعوني اليوم واعصوني
فيما بعده اتركوا الرجل واعتزلوه فوالله ما هو
بتارك ما هو عليه وخلوا بينه وبين سائر العرب
فان يظهر عليهم يكن شرفه شرفكم وعزه عزكم وان
يظهروا عليه تكونوا قد كفيتموه بغيركم قالوا صبأت
يا ابا الوليد فتأمل انهم لما علموا صدقه صلى الله عليه وسلم
وسمعوا منه انه توعدهم بصاعقة تنزل عليهم فجأة
ناشدوه بالرحم واقسموا عليه بها ليمسك عن هذا لانه
الوعد الذي لا شك عندهم فيه وتزعم بعضهم ان الرحم
كان لها عندهم ولاة في الجاهلية امر عظيم جدا ولذلك
لما بالتواتر قطعها علموا ان تلك انما صاعقة تنزل
عليهم متأصلة لهم جزاء لما ارتكبوه من قطيعة الرحم

الذي

التي تواصى بها حتى اولئك الكفار لكنهم لما عدموا التوفيق
قطعوها في جنب اهويتهم الفاسدة وارائهم الباطلة
فاستحقوا ان يبتليهم الله بالقتل تارة والسبي اخرى
حتى لم يبق منهم يوم فتح مكة الا مسلم او مسالم ومن اباطيلهم
الكاذبة قولهم لما قرأ عليهم صلى الله عليه وسلم القرآن
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر اي صمم
عن سماع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب وقد جاء عن عمر
رضي الله عنه انه حزبنا اقبلت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لهم ما يمنعكم من الاسلام فتسودوا العرب فقالوا يا محمد
ما نفقه ما تقول ولا نسمعه وان على قلوبنا لغلفا

النوع الثالث

قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين جاء
عن ابن عباس بسند حسن قال تشاورت قريش ليلة بمكة
فقال بعضهم اذا اصبح محمد فاثبتوه بالوثاق وقال
بعضهم اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فاطلع الله تعالى
نبيه على ذلك فبات علي بن ابي طالب على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الليلة حتى لحق بالغار وبات المشركون
يحرسون عليا يحسبونه انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا
ثاروا اليه فلما راوا عليا رد الله مكرهم فقالوا اين صاحبك
قال لا ادري فاقتصوا اثره فلما بلغوا الجبل فاختلط عليهم
فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فراوا على بابه نسج العنكبوت
فقالوا لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا
واعلم انه صلى الله عليه وسلم لما ارسله الله تعالى الى قومه
مكث ثلاث سنين وهم لا يتعرضون له لانه لم يسلم معه
حتى امره الله تعالى ان يصدع بما امر به اي يتكلم جهارا بالدعوة
الى الله تعالى فنادى قومه حينئذ بالاسلام كما امره الله تعالى
ثم ذكروا لهتهم وعابها وسفه احلامهم كل ذلك في سنة
اربع اي من النبوة فاجمعوا على عداوته وتذامروا بالعداوة
ثم ذلك حدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد
الامر وتقارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وانتقت
قريش على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم
حتى مر عدو الله اللعين ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر

مكث صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين

وهي تقلب فطعنها بحربة في فرجها فقتلتها • وكان الصديق
رضي الله عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه منهم
واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة واخرون جملتهم سبعة
انفس وكان من جملة عذابهم انهم يلبسونهم ادراع الحديد
ويصهرونهم في الشمس وكانوا يعطون بلالا ومن رقبته
حبل لولدانهم فيطوفون به في شعاب مكة وهو يقول
احد احد ومنع الله تعالى رسوله بعمه ابي طالب وبني هاشم
الا ابا لهب فكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس
في منازلهم يدعوهم الى عبادة الله وحده وكان عمه •
ابو لهب يتبعه ويقول يا ايها الناس ان هذا يامركم
ان تتركوا دين ابائكم • ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر
وتبعه قومه على ذلك • ورموه بالشعر والكهانة
والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه ووطئ
عقبة بن ابي معيط كما ياتي على رقبته الشريفة وهو
ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وروى
البخاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وجمع
من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي
ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها •
فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث •
اشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله •
عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض
من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة رضي الله عنها
وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم •
ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش •
ثم سمى فقال اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو الملقب ابو جهل
وعتبة بن ربيعة • وشيبة بن ربيعة • والوليد بن عتبة •
وامية بن خلف • وعقبة بن ابي معيط • وعمارة بن الوليد •
قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا •
الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم واتبع •
اصحاب القليب لعنة واستمراره في صلاته يحتمل انه •
لم يعلم انها نجاسة ويحتمل ان الصلاة كانت نافلة
فلذا لم ينقل انه اعادها على ان النجاسة انما حرمت •

عدد من اعتقهم ابو بكر

الكفرة الذين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم

استمراره صلى الله عليه وسلم في صلاته مع النجاسة

من الصلاة

من الصلاة بعد • والحاصل انما وافقها كان محتملة وهو منقطع
بالاجتهاد • ثم في سنة خمس اذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه
في الهجرة الى الحبشة • وكانوا احد عشر او اثني عشر رجلا ومعهم
اربع نسوة وقيل خمس وقيل ثنتان اولهم عثمان وزوجته
رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولما استقروا بالحبشة
ارسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة
بتحف وهدايا الى النجاشي ليردهم اليه فابى النجاشي ذلك
وردهما بعد ما بينهما خائبين • ثم في سنة ست اسلم حمزة •
عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان اعز فتى في قريش واشدهم
شكيمة وبعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعده بثلاثة ايام
فعز بهما صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا ومن ثم
لما رات قريش عزته صلى الله عليه وسلم باصحابه فانهم
كانوا وقت اسلام حمزة بضعة واربعين رجلا واحدى عشرة
امراة وعزة اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام في القبائل
اجمعوا على ان يقتلوه صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك
ابا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب وامرهم ان يدخلوه
صلى الله عليه وسلم شعبهم ويمنعوه ممن اراد قتله
فاجابوه الى ذلك حتى كفارهم حمية وانفة للرحم
فلما رات قريش ذلك اجتمعوا واجمع رايهم على ان
يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب
ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا
يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك
في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده لما لحقه
من قطيعة الرحم وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة
هلال المحرم سنة سبع فانحاز بنو هاشم وبنو
المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب
فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا
حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا حتى كانت
قريش يسمعون صياح صغارهم من شدة الجوع فلا
يرقون لهم بشيء من طعام كل ذلك مبالغة في قطيعة
الرحم وقطيعة قرابتهم وقرا صلى الله عليه وسلم
سورة النجم فالقى الشيطان في اسماعهم انه مدح

اول مرة
عدد المهاجرين الى الحبشة

قصة منع ابي طالب من ارادوا السوء برسول الله صلى الله عليه وسلم

مآل حال من كتبه

الهتهم فلما سمعوا اخرها سجد المشركون كلهم معه ففشى اسلامهم حتى
بارض الحبشة فاقبل من بها سراعا ثم لما تبين للمشركين خلاف
ما توهموه من مدح الهتهم رجعوا الى اشد ما كانوا عليه من العداوة
والمقاطعة **فهاجر المسلمون الهجرة الثانية** الى الحبشة
وهم نحو ثلاثة وثمانين رجلا واثنتي عشرة امراة وخرج ابو بكر
رضي الله عنه مهاجرا الى ارض الحبشة فبلغ برك الغماد وهي مدينة
الحبشة ثم رجع في جوار ابن الدغنة لعبد ربه بداره فابتنى
بفنائها مسجدا فكان يصلي فيه ويقرا القران فخشيت قريش
ان يفتن ضعفاءهم فسالوا ابن الدغنة ان يمنعه من صلاته وقراءته
في داره والا فليرد اليك ذمتك فذكروا له فرد اليه جواره
ورضي بجوار الله تعالى • ثم قام رجال في نقض تلك الصحيفة
فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطلعه الله
عليها بان الارضة اكلت جميع ما فيها الا اسم الله تعالى •
فانزلوها فوجدوها كما اخبر **ثم في السنة العاشرة** مات عمه •
ابو طالب مشركا بعد ان قرب من الاسلام وانما تركه خوف
العار كما اعترف هو بذلك اي في قوله • •
ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا •
لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا •
الى اخر ما قال وفيه قول انه مات مسلما لكن الاحاديث •
الصحيحة ترده • منها ان العباس قال يا رسول الله ان ابا •
طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك •
قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح من نار •
وصح ايضا انه جعل في ضحضاح من نار تبلغ كعبيه يغلي •
منهما دماغه وسبب ذلك انه كان مع النبي صلى الله •
عليه وسلم بجملته الا انه كان متثبتا بقدميه على عبد المطلب
حتى كان اخر ما تكلم به عند الموت ان قال انا على ملة عبد •
المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته •
اياهما على ملة ابائه **ثم بعد ذلك** بنحو ثلاثة ايام ماتت
خديجة رضي الله عنها ولاجل ذلك كان صلى الله عليه وسلم
يسمي ذلك العام عام الحزن • ثم بعد ايام تزوج سودة
بنت زمعة ثم بعد ثلاثة اشهر من موت خديجة خرج صلى
الله عليه وسلم اواخر شوال لما ناله من قريش الى الطائف
ماشيا ومعه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعوا

قيل ان ابا طالب مات مسلما

اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه بل اغروا به سفهاءهم وعبيدهم
يسبونه ويرجمون عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه
بالدما وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذون
بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة
يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا • وفي البخاري
ومسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله
عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من احد قال لقد لقيت من
قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي
على ابن عبد ياليل بن عبد كلال اي وهو بتحتيتين بينهما لام
مكسورة وبضم الكاف من اشراف ثقيف فلم يجبني الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن
الثعالب وهو ميقات اهل نجد المشهور فرفعت راسي فاذا
انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني
فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث
اليك ملك الجبال لتامره بما شئت وقد بعثني ربك اليك •
لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا • وكان من دعائه صلى
الله عليه وسلم لما بلغ اهل الطائف في اذايته اللهم اليك
اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس
يا ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين
الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني ام صديق قريب ملكته
امري ان لم تكن غضبان علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع
لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح
عليه امر الدنيا والاخرة ان تنزل بي غضبك او يحل بي
سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله •
اورده ابن اسحاق ورواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر •
رضي الله عنه قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم
ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل
شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره وفيه
يتجهمني بالجيم قبل الهاء اي يلقاني بغلظة ووجه كريه قال
ابن سعد وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالطائف عشرة
ايام ولا ينافيه ما مر انه اقام فيها شهرا لامكان الجمع بان

ومن جملة دعائه صلى الله عليه وسلم

العشرة في نفسها لطايف والعرني فناحوا اليهما وطرقهما ولما رجع
من الطايف مر بحوايط لعتبة وشيبة ابنا ربيعة وهما في حايط
لهما فلما راياه ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع غلام نصراني
لهما قطف عنب فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف
قال بسم الله ثم اكل فنظر النصراني الى وجهه ثم قال والله ان
هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم
من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من نينوى فقال
صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى .
فقال وما يدريك قال ذاك اخي وهو نبي مثلي فاكب النصراني
على يديه وراسه ورجليه يقبلها واسلم **ولما بلغ وادي**
نخلة المسمى اليوم بالمضيق صرف الله اليه سبعة من
الجن اي جن نصيبين مدينة بالشام فقام صلى الله عليه
وسلم يصلي من جوف الليل فاستمعوا له وهم يقروا سورة
الجن . ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم
ابن عدي . فاسري به في سابع ربيع الاول وفرضت عليه
الخمس وفي وقت الاسرا خلاف طويل فصحح النووي انه في
سنة خمس واحتج بانه لا خلاف ان خديجة صلت معه الخمس .
وانها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث واما بخمس وان
فرض الخمس كان ليلة الاسرا واعترض بان الصحيح ان موتها
سنة عشر قبل فرض الخمس . وادعى ابن حزم الاجماع .
على ان موتها كان قبل الهجرة بسنة وفي شرح مسلم بانه
كان في ربيع الاول وقال ابن دحية الى انه كان ليلة الاثنين
ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان هذه اطوار
الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة .
ولما اراد الله تعالى اعزاز نبيه واظهار دينه وانجاز
موعده له خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم فعرض
نفسه على قبايل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو
عند العقبة لقي رهطا من الانصار فقال لهم من انتم
قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا
معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام
وتلا عليهم القران فاجابوه وامنوا به لان اليهود
اشتهر عندهم نعته فعرفوه به وكانوا قالوا فقال
لهم بعضهم لبعض هذا النبي حتى ابلغ رسالة ربي فاعلموا بانهم

فرجعوا

فرجعوا عنه بحرب بين الاوس والخزرج وانهم يذهبون الى المدينة
يدعون الناس ثم يعودون في العام القابل فوافقهم وهولاء يسمون
اهل العقبة الاولى فلما كان العام المقبل لقيه منهم اثنى عشر
رجلا منهم خمسة من اوليك الستة والبقية من الخزرج ايضا
الا رجلين من الاوس ابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعده
كانوا اسلموا وبايعوه وهولا يسمون اهل العقبة الثانية
ثم رجعوا الى المدينة فاظهروا الاسلام بها وكتبوا اليه صلى
الله عليه وسلم وكانوا اربعين يجمع بهم اسعد بن زرارة ابعث
الينا من يقرينا القران فبعث اليهم مصعب بن عمير فاسلم
على يديه خلق كثير من الانصار منهم سيد الاوس سعد بن
معاذ وابن عمه اسيد بن حضير واسلم باسلامهما في يوم واحد جميع
بني عبد الاشهل وقبيلتهما الرجال والنساء الا واحدا تاخر
اسلامه ولم يكن فيهم منافق ثم قدم على النبي صلى الله
عليه وسلم في العقبة الثالثة اوسط ايام التشريق منهم
نحو سبعين رجلا فاسلموا وبايعوه على انهم يمنعونه مما
يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود
ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا وكان ذلك بحضور العباس
عم النبي صلى الله عليه وسلم هذه العقبة متوثقا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين
قومه . ثم امر صلى الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الى المدينة
فخرجوا ارسالا واقام بمكة ينتظر ان يؤذن له ولم يبق معه
الا قليل منهم علي وابو بكر رضي الله عنهما فاستاذنه ابو بكر
في الهجرة فقال لا تعجل لعل الله تعالى ان يجعل لك صاحبا
فطمع ان يكون هو . ثم لما علمت قريش بما صار للصحابة من
العزة والمنعة بالمدينة اجتمعوا ومعهم ابليس في صورة
شيخ نجدي لمنعهم اهل تهامة من الدخول معهم لميلهم اليه
صلى الله عليه وسلم في دار الندوة دار قصي لكونها دار
قصي يتشاورون فيها فيما يصنعون في امره صلى الله عليه
وسلم فاجتمع رايهم على قتله وتفرقوا على ذلك فاتاه جبريل
فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك فلما جاء الليل اجتمعوا
على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فامر عليا ان ينام
مكانه فنام وغطي ببرد اخضر فكان اول من باع نفسه لله
تعالى ثم خرج صلى الله عليه وسلم وهم جلوس على بابه فاخذ

الله تعالى على ابصارهم فلم يره احد منهم فاخذ كفا من تراب فوضع
على رأس كل منهم يتلو اشارة الى غاية ذلهم وخيبتهم وهو يتلو
قوله تعالى يس الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف عنهم
صلى الله عليه وسلم فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون
هاهنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج محمد عليكم
ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق الى
حاجته افلا ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا
عليه تراب وصح ان كل من اصابه منهم حصاة الا قتل يوم
بدر كافرا وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الآية **ثم اذن الله تعالى لنبيه في الهجرة**
فخرج يوم الخميس بعد العقبة الثالثة بنحو شهرين ونصف
فاقام في الغار ليلة الجمعة وثانيتها وثالثها وخرج اثنا •
ليلة الاثنين من الغار الى المدينة وكانت مدة
اقامته بمكة من حين النبوة الى هجرته نحو ثلاث
عشرة سنة • وعند ارادة الخروج امره جبريل ان
يصحب ابا بكر فامر عليا ان يتخلف ليؤدي للناس
ما كان عنده من ودائعهم • ثم قدم الى بيت ابي بكر
في نحو الظهيرة متقنعا فاستأذن فاذن له
فدخل فقال لابي بكر اخرج من عندك اي لاخبرك
بسر هو الاذن لي في الهجرة فقال ابو بكر بابي •
انت وامي يا رسول الله انما هم اهلك اي عائشة •
لانه نكحها قبل ذلك ولم يدخل بها فقال صلى الله
عليه وسلم قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة
فقال نعم فقال خذ احدى راحلتي فقال بالثمن
اي لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله • وصح انه •
حين خرج وقف على الحزورة فنظر الى الكعبة فقال
لمكة والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض
الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت •
ولعل هذا كان قبل مجيئه الى بيت ابي بكر لانهما على ما روي
خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار
ولما فقدته قريش ارسلوا القافة من كل جهة فوجد من ذهب
يتلو اثره فتبعه حتى انقطع الاثر لما انتهى الى ثور
وكبر عليهم خروجه وازداد جزعهم لذلك حتى جعلوا •

لمن يرده



لمن يرده مائة ناقة • وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار •
انبت الله على بابه شجرة ام غيلان محجبة عن اعينهم وامر الله
العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل الله حمامتين
وحشيتين فباضتا على وجه الغار وان حمام الحرم من نسل •
تلك الحمامتين وان ذلك مما اكد المشركين لانهم لما جاءوا قالوا
لو دخل هاهنا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت • وصح
ان ابا بكر قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا
فقال صلى الله عليه وسلم له ما ظنك باثنين الله ثالثهما ثم
اشتد حزنه على رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم
لا تحزن ان الله معنا اي بالحفظ والنصر فانزل الله سكينته عليه
اي طمأنينة تسكن عندها ما يجده ابو بكر وايده اي النبي
صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها اي يحرسونه في الغار
وجاء ان ابا بكر رأى فيه جحرا فالقمه عقبه وقاية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من الحيات والافاعي فجعلن يلسعنه •
ودموعه تتحدر وكان صلى الله عليه وسلم نائما على ركبته
فاصاب بعض دموعه الوجه الكريم فقال ما بك يا ابا بكر
فقال لسعت فداك ابي وامي فتفل صلى الله عليه وسلم عليه
فبرأ ثم بعد ثلاث ليال خرج الى المدينة على طريق سواحل
البحر • ووقع له في طريقه تلك خوارق ليس هذا محل بسطها
ولما سمع المسلمون بهجرته بادروا يخرجون كل يوم لتلقيه
فما يردهم الا حر الظهيرة فانقلبوا يوما وصعد يهودي على
اطم فقال هذا هو صاحبكم يا معشر العرب هذا جدكم اي حظكم
ومطلوبكم يا بني قيلة اي الاوس والخزرج فخرجوا •
اليه مسرعين بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء وذلك يوم
الاثنين ثاني عشر ربيع الاول على ظاهر روايته وجزم •
به الذي في الروضة واقام بقباء اثني وعشرين يوما ووصل
اليه علي كرم الله وجهه لقدومه من مكة بثلاثة ايام وامر صلى
الله عليه وسلم فيه بالتاريخ فكتب فيه من الهجرة • ثم
ركب صلى الله عليه وسلم على راحلته متوجها الى المدينة
فكلما مر على دار من دور الانصار دعوه لان ينزل عندهم فيقول
خلوا سبيلها يعني الناقة فانها مأمورة وقد ارخى زمامها
وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى بركت على باب موضع
المسجد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها فبركت

ببابه ابي ايوب الانصاري من بني النجار فتلقته ورا الانصار واخوال
جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب ثم نادت منه وبركت في
مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض وصوتت من غير
ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم فاحتمله ابو
ايوب رحله وانزله ببيته فاقام عنده سبعة اشهر ثم اشترى
محل مسجده بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر ثم بناه
باللبن وسقفه بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وجعل
فيه موضعا مظللا سمي بالصفة ليأوي فيه فقراء اصحابه
فسموا اهل الصفة ثم بنى بيوتا لزوجته ثم تحول اليها
وكانت عنده اذ ذاك سودة زوجته وبناته فارسل ابا رافع ليحملها
بعياله وعيال ابي بكر ثم نصب احبار اليهود العداوة
والبغضاء بغيا وحسدا لعدائه كانوا قبل بعثته وبعده
يظهرون الايمان به ويعترفون بنبوته فسحره منهم لبيد
ابن الاعصم وجعل سحره في مشط ومشاطة وجف طلع
ودفنه في بير ذروان واكثر المحدثين يقولون ذروان
تحت راعوفة البير كما في الصحيح فمكث صلى الله عليه وسلم
يخيل اليه انه يفعل الشيء وما فعل لكن في الامور العادية
دون الغيبية حاشا من ان يتطرق اليه ادنى دخل واثر هذا السحر
لانه من جملة البلايا المسلطة على الكمل واستمر كذلك سنة
ثم ارسل الله اليه ملكين من نومه فاخبراه بحاله فذهب
اليه فاخرجه منها ومسح الله ما نزل البير حتى صار
كنقاعة الحنا وطلع النخل الذي هو فيها حتى صار كروس الشياطين
وانزل الله تعالى عليه المعوذتين فانطلق له من كل سوء يعقد به
بعد ونافق اليهود جماعة من الانصار فسموا منافقين
فاظهروا الاسلام تقية وراسهم عبد الله بن ابي الخبيث
فكانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجتهد
كلما جاءهم ليعلمهم وبما علمهم من الظاهر رسالته المصطفى
وقد قيل له الا تقتلهم فقال لا لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه ثم اذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالقتال
بقوله تعالى اذن للذين يقاتلون اي في القتال بانهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير وحكمة ذلك انهم كانوا بمكة قليلين
لا يطيقون جهادا اهلها فلما كثروا بالمدينة وعزوا وقويت
شوكة الاسلام وعادت المدينة واهلها لم يبق شرع الله

لهم

لهم قتالا عدايهم فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وقاتل
وغزا هو واصحابه حتى دخل الناس في دين الله افواجا وعدة
مغازيه التي خرج فيها بنفسه الشريفة سبعة وعشرون
قاتل في سبع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق
وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطايف وان قد فرغنا
من ذكر طرف من انواع الايذاءات التي وصلت الى النبي صلى الله
عليه وسلم من قريش وغيرهم فلنذكر طرفا من الانواع التي
ظفر الله فيها بنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم كل ذلك اعلاما
لك ايها الموفق الطالب الكمال الناظر في هذا المختصر بانه
عليك ان تتحمل اذيات ارحامك ما استطعت والصبر عليها
فان عاقبته مثل ما تلقى بمخبر العزى البشرية من حيث
طبعها عن ان تتحمله فان الله تعالى لم يتركه عن ذلك
من الصبر عليها من يعين عليك والظفر بما لم يكن لك في
حساب حتى تري من عجيب لطفه بك وامتثاله عليك
العجب العجاب فالحق بخلقها التي عليك سمعا يوم ذلك
الى شرا شرك وتخلطه بما لفته وظاهرك وفقنا الله واياك

١ النوع الاول

سرية امير المؤمنين عبد الله بن جحش في رجب على راس سبعة
عشر شهرا من الهجرة خرج عبد الله ومعه ثمانية من المهاجرين
الى نخلة المشهورة بالمضيق بين مكة والطايف فمرت به
عيرهم تحمل زبيبا وادما من الطايف وفيها عمرو بن الحضرمي
فاجمع المسلمون على قتالهم فقتلوا عمرو واسروا اثنين
وهرب الباقي واستاقوا العير فكانت اول غنيمة في الاسلام
فقسمها ابن جحش وعزل الخمس في ذلك قبل ان يفرض وتكلمت
قريش ان محمدا سفك الدم واخذ الاموال في الشهر الحرام
فانزل الله تعالى ردا عليهم يسالونك عن الشهر الحرام قتال
فيه الاية **النوع الثاني** غزوة بدر الكبرى وهي
يوم الفرقان الذي اعز الله فيه الاسلام واهله فهي
اعظم غزوات الاسلام مع قلة عدد المسلمين وعدتهم
وكثرة العدو وعددهم ومن ثم قال الله تعالى ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم
ليلة ثنتي عشرة خلت من رمضان من السنة الثانية والتقيا
ووقعها لسبع عشرة خلت من رمضان وعدتهم ثلاثمائة

وعنقه ومنهم ثلاثة افراس وسبعون بعيرا وعن المشركين الف •
ومنهم مائة فرس وسبعمائة بعير ثم لم يعقد صلى الله عليه وسلم
واصحابه قتالا بل قصدا اخذ عير قريش الذي قدم بها ابو •
سفيان من تجارته راجعا من الشام باموال عظيمة لقريش
الى قريب بدر فاذ سمع ابو سفيان ذلك ارسل لقريش •
يستغيثهم فخرجوا اشرافهم الا ابا لهب فلما بلغ صلى الله
عليه وسلم الروحاء اتاه الخبر بمسير قريش من ذلك •
العدد والعدة فاستشار صلى الله عليه وسلم اصحابه •
في طلب العير وحرب النفير وقال ان الله وعدكم احدى
الطائفتين وكانت العير احب اليهم فقام ابو بكر فقال
فاحسن وكذا عمر وكذا المقداد ثم قام سعد بن معاذ •
فقال لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
ما يتخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله فسر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثم قال ابشروا فان الله
قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر
الى مصارع القوم هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض
هاهنا وهاهنا فما تنحى احد عن موضع يده صلى الله عليه
وسلم • ثم خرج عتبة بن ربيعة ينهى عن القتال وقال
يا قوم اني ارى قوما مستميتين لا تصلون اليهم يا قوم
اعصبوا براسي وقولوا جبن عتبة وقد علمتم اني لست •
باجبنكم فسمعها ابو جهل فقال له لقد ملئت رئتك وجوفك
رعبا فقال له عتبة اياي تعني يا مصفر استه رماه
بالابنة فانه خنق بكلام وغضب فقلبه لعتبة انه
ستعلم اليوم اينا اجبن ثم برز عتبة بين اخيه شيبة
وابنه الوليد ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية •
من الانصار فلم يرضوا بهم وطلبوا الاكفاء من قومهم •
فامر صلى الله عليه وسلم ابن عمه عبيدة بن الحارث
وعمه حمزة وابن عمه عليا فلما برزوا لهم قالوا اكفاء •
كرام فبارز حمزة عتبة وعلي شيبة وعبيدة الوليد
فابتدر حمزة الى عتبة فقتله وعلي الى شيبة فقتله واختلف
بين عبيدة والوليد ضربتان فاثخن كل الاخر ثم مال •
حمزة وعلي على الوليد فقتلاه واحتملا عبيدة ثم تزاحف
الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه

ابو بكر

ابو بكر يناشد ربه ما وعده من النصر ثم اغفى صلى الله عليه وسلم
سنة من النوم ثم استيقظ مبتسما فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل
على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم
الجمع ويولون الدبر ثم لما التقى الجمعان اخذ صلى الله عليه
وسلم كفا من الحصى فرمى به وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق منهم احد الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء وقتل الله
من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم •
وامد الله المؤمنين بالوف من الملائكة في صورة الرجال
يقاتلون معهم ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة
الاف ولما رآهم ابليس وكان جاء في جند من الشياطين
معه في صورة من بني مدلج وقال لهم لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم وكانت يده في يد رجل منهم فانتزعها
ثم نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون
ولم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وفي بقية المواطن يحضرون ولا
يقاتلون • وحينئذ فحمحمة فقال لهم سمع ندرة جبريل على
الاطلاق الكل من تحفظه بربه من جناحه ارادة لنسبة
الفعل اليه صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من تظاهر
وان الملائكة مجرد مدد على عادة مدد الجيوش رعاية
لصورة الاسباب التي اجراها الله في عباده والله تعالى
فاعل الجميع • ومن جملة معجزاته التي ظهرت يوم بدر
ان عكاشة انقطع سيفه فاتاه فاعطاه جزلا من حطب
وقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة
شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به حتى انهزموا وكان ذلك
السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده • وان معاذ بن
عمرو جاء بيده اذ لم تبق معلقة الا بالجلد من ضربة
عكرمة فبصق صلى الله عليه وسلم عليها فالتصقت وعاش
بها مدة الى زمن عثمان • وامر صلى الله عليه وسلم بقتلى
المشركين فطرحوا في القليب الا امية بن خلف فانه انتفخ •
في درعه فستروه بالتراب والحجارة قرب القليب • ثم
وقف صلى الله عليه وسلم وناداهم توبيخا ونقمة وحسرة
باسمائهم هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا زاد بعضهم
بئس العشيرة كنتم تكذبونني وصدقني الناس • وقوله تعالى

انك لا تسمع الموتى اي سماعا نافعا • وجملة من استشهد يوم بدر
من المسلمين اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من •
الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس وقتل من •
المشركين سبعون واسر سبعون من افضلهم العباس وابنا
اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث • وعن رواية
رجال ثقات جاء رجل من الانصار فقبض بالعباس اسيرا •
فقال العباس يا رسول الله ان هذا ما اسرني •
لقد اسرني رجل ابلج من احسن الناس وجها على فرس ابلق
ما اراه في القوم فقال الانصاري انا اسرته يا رسول الله
فقال له صلى الله عليه وسلم اسكت لقد ايدك الله بملك
كريم • وولي عمر وثاق الاسرى فشد وثاق العباس
فأن فسمعه صلى الله عليه وسلم فلم يأخذه النوم فبلغ
ذلك الانصار فحلوا وثاقه وسألوه ان يتركوا فداءه
فلم يجبهم ثم استشار الناس في الاسارى فاشار •
الانصاري بكرمهم وعمر بضرب اعناقهم المرة بعد المرة •
والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه وابو بكر يقول
تقبل منهم فرضي صلى الله عليه وسلم وقبله منهم فانزل الله تعالى
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ثم قال
صلى الله عليه وسلم يا عباس افد نفسك وابني اخيك وحليفك
وامره ان يفدي نفسه بمائة اوقية ذهبا وعقيلا بثمانين
فقال له تركتني اتكفف قريشا فقال فاين الذهب الذي تركت
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة فقال وما يدريك
فقال الله اعلمني ربي فاسلم حينئذ وقيل اسلم قبل فتح خيبر وعلى
كل لم يظهر اسلامه الا في وقعة الفتح وبه ختمت الهجرة
وكانت غزاته صلى الله عليه وسلم من بدر اول يوم من •
شوال فبعث زيد ابن مولاه الى المدينة بشيرا وكان من جملة
الاسرى اللعين عقبة بن ابي معيط فقتل صبرا قتله عاصم
ابن عمر بن الخطاب فقتله • وامر عليا بقتل النضر
ابن الحارث فانشدت بنته ابياتا تعطفا وتحسرا •

يا راكبا ان الاثيل مظنة • من صبح خامسة وانت موفق •
بلغ به ميتا بان تحية • ما ان تزال بها الركائب تخفق •
فليسمعن النضر ان ناديته • ان كان يسمع ميت او ينطق •
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه • لله ارحام هناك تشقق •

امحمد

أمحمد ولانت نجل نجيبة • في قومها والفحل فحل معرق •
ما كان ضرك لو مننت وربما • من الفتى وهو المغيظ المحنق •
لو كنت قابل فدية فلنأتين • باعز ما يغلو لديك وينفق •
فالنضر اقرب من اسرت وسيلة • واحقهم ان كان عتق يعتق •
ولما انشدت هذه الابيات قال صلى الله عليه وسلم لو
سمعت هذا قبل ان اقتله ما قتلته • فتأمل كونه صلى الله
عليه وسلم رق لها لما انشدت الرحم وقالت ارحام هناك •
تشقق وعطف عليها بقوله لو سمعت هذا قبل ان اقتله
لعفوت عنه تعلم ان الرحم توجب عظيم العفو وان كبرت الجرائم
وعظمت اذ ابوها النضر كان من جملة رؤوس الكفر والمبالغين
في ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به ومع ذلك
لما ذكرت له كابنته وبنت النضر من الرحم رق لها وهش
كل ذلك لما كان للرحم عنده صلى الله عليه وسلم من عظيم القدر
وواجب الرعاية الواجب على الامة اتباعه • ثم سبق رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى
بيوم فلما قدموا فرقهم على اصحابه وقال استوصوا بهم خيرا
ولما قدم ابو سفيان بن الحارث عم النبي صلى الله عليه وسلم
من بدر لمكة سأله عمه ابو لهب عن خبر قريش فقال
ما هو الا ان لقينا القوم منحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف
شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت
الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض
والله لا يقوم لها شيء فقال ابو رافع مولى رسول الله •
صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس والله تلك
الملائكة فرفع ابو لهب لعنه الله يده فضرب بها وجهه
فقامت زوجة العباس ام الفضل الى عمود فضربت
به راس ابي لهب وقالت استضعفته ان غاب سيده
فما عاش اللعين الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة
وهي قرحة تتشاءم بها العرب لزعمهم انها تعدي اشد •
العدوى فتباعدت عنه بنوه حتى قتله الله العذب •
وبقي بعد موته ثلاثا لا يقرب احد جيفته ولا يحاول دفنه
فلما خافوا السبة من تركه حفروا له في موضع موته ترابه
ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد
حتى واروه وما يظن ان المجد الذي بيني الزهراء وباب شبيكم

المشهور عند العامة بقبر ابي لهب هو قبره للاصل لا وانما هو قبر الحبيق المتوسط صاحب الاقاعد لعتيبة بمكة لعنه الله

النوع الثالث

غزوة بني قينقاع اهل سوق بجوار المدينة الثالثة هم وقريظة وال النضير وكان سببهما انهم بعد شهرين من وقعة بدر نقضوا عهده صلى الله عليه وسلم ان لا يحاربوه ولا يوالوا عليه بمقاتلتهم مثلها فسار اليهم صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمس عشرة ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له المال ولهم الذرية والنساء ثم امر صلى الله عليه وسلم بتكتيفهم فالح عليه فيهم المنافق ابن ابي حتى نزل عن قتلهم وامر باخراجهم فنزلوا باذرعات بالشام

النوع الرابع

غزوة احد وذلك انه في شوال سنة ثلاث اذ اراد اهل مكة اخذ ثارهم بما وقع لهم ببدر فطلبوا من اصحاب العير التي سلمت مع ابي سفيان ومن معه ان يعينوهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذوا بثارهم فاجابوا وكانت الف بعير وخمسين الف دينار فاجتمعوا للمسير وكتب اليه عمه العباس يخبره فساروا حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة فرأى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة بقرا تذبح وثلما في ذباب سيفه وانه ادخل يده في درع حصينة فاول البقر بان جماعة من اصحابه يقتلون والثلم بموت رجل من اهل بيته وهو حمزة اذ ما حصل له في وقعة الربيع يوم بدر سيف كسر باعينه وجرح شفته والدرع بالمدينة وانهم يعودون عليها ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امكثوا فان دخل القوم الازقة قاتلناهم فقال قوم لم يشهدوا بدرا يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا فصلى صلى الله عليه وسلم الجمعة باصحابه ثم وعظهم وحرضهم على الجد والاجتهاد واخبرهم بان لهم النصر ما صبروا ثم صلى بهم العصر ثم دخل بيته ومعه ابو بكر وعمر فعمماه فقال سعد بن معاذ واسيد ابن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه فلما خرج لابسا لامته

وهي

وهي بالهمزة وقد تخفف الدرع متقلدا سيفه ندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما بدا لك فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وعقد ثلاثة الوية لواء للاوس بيد اسيد بن حضير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر ولواء للمهاجرين بيد علي كرم الله وجهه وكانوا الفا ومائة دارع والمشركون ثلاثة الاف وسبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة الاف بعير وخرج السعدان سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج دارعين يعدوان امامه صلى الله عليه وسلم فنزل عند احد ورد ابن ابي المنافق في ثلثمائة من المنافقين ثم صف المسلمون باصل احد والمشركون بالسبخة وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وميسرتهم عكرمة بن ابي جهل وجعل صلى الله عليه وسلم الرماة الذين يحمون ظهورهم خمسين رجلا وامرهم ان لا يبرحوا من مكانهم مطلقا غلب المسلمون او غلبوا ومما اثخن القتل من المشركين ابو دجانة بالسيف الذي اعطاه له صلى الله عليه وسلم بحقه فاخذه وعصب راسه بعصابة حمراء شارة للموت واختال اي تبختر عند الحرب فقال صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن وحمزة فقتل بعض ساداتهم وعلي فقتل صاحب لوائهم وقتل حنظلة فرأى صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله لكونه خرج جنبا ثم كر حمزة على من ولي اللواء ثانيا فقطع يده وكتفه ثم انزل الله نصره على المؤمنين فانهزم الكفار هزيمة فاحشة حتى دعى نساؤهم بالويل وتبعهم المسلمون ينتهبون فاراد الرماة الانصراف عن مواطنهم للغنيمة فذكروا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم عن الانصراف وصاح ابليس اللعين حينئذ اي عباد الله اخراكم فرجع المنهزمون واختلط العسكران فلم يتميزوا وفشا القتل في المسلمين بعضهم من بعض وكر خالد وعكرمة على من بقي من الرماة فقتلوهم وخرج ... فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة فقتله وكان وحشي كامنا تحت صخرة فلما دنا منه نقضاه ورماه بحربة فخرجت من بين وركيه فمات رضي الله عنه وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة بظنه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح ان محمدا قد قتل فانهزم طائفة
الى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع القتل فيهم حتى قتل
منهم سبعون فقال بعضهم ارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل ان
يقتلوكم ويستبيحوا بيوتكم وقال الاخرون ان كان نبيكم قتل
افلا تقاتلون على دينكم وثبت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انكشفوا عنه وثبت معه اربعة عشر من المهاجرين
منهم ابو بكر وعمر وسبعة من الانصار وصاح ابو سفيان
ثلاثا افي القوم محمد فنهاهم صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه
ثم قال ثلاثا افي القوم ابن ابي قحافة ثم قال افيكم عمر
ابن الخطاب ثم رجع لاصحابه فقال لهم ان هؤلاء الثلاثة
قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ان الذين
ذكرت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك فقال يوم بيوم
والحرب سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم بالخمس
اصحابه فرماه ابن قمئة فجرح وجنته فدخلت حلقتان
من المغفر في وجنته الشريفة فانتزعهما ابو عبيدة
ابن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة
غوصهما في وجهه وكسر رباعيته اخو سعد بن ابي وقاص
ومن ثم لم يولد لذلك ولد فيبلغ الا ابخر او مكسور الثنايا
رباعيته اليمنى اي السفلى وجرح شفته السفلى وشج
عبد الله بن شهاب الزهري في جبهته وهشموا البيضة
اي كسروا الخوذة على راسه ورموه بالحجارة حتى
سقط في حفرة فاخذ علي بيده واحتضنه طلحة حتى
استوى قائما وامتص مالك بن سنان ابو سعيد الخدري
الدم من وجنته ثم ازدرده فقال صلى الله عليه وسلم
من مس دمه دمي لم تصبه النار واصيبت يومئذ عين
قتادة بن النعمان فوقعت على وجنته فاتى بها النبي صلى
الله عليه وسلم فاخذها بيده الكريمة ثم ردها الى موضعها
وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واصحهما نظرا
ورمى ابو ذر الغفاري بسهم في نحره فبصق عليه صلى الله
عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف عبد الله بن جحش فاعطاه
صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به
وكان يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من تركي
المعتصم في بغداد بمائتي دينار وهذا نظير سيف عكاشة

الثاني

الثاني بيد المسمى العون ومثل المشركون يومئذ بقتلى المسلمين
بقطع الاذان والانوف والفروج وشق البطون وبقرت هند
عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها واول
من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه الكريمتين تحت
المغفر كعب بن مالك فنادى يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنهضوا اليه ونهض نحو الشعب فادركه الشقي ابي بن خلف
وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه
رجل منا فقال دعوه فلما دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من
الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة عظيمة ثم طعنه فتدهدى عن
فرسه وقد كسر ضلعه فلما رجع لقريش قال قتلني والله محمد
انه قد كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني
فمات عدو الله بسرف وهم قافلون الى مكة وبعد انصراف
المشركين خرج النساء فكان فيهم فاطمة رضي الله عنها فاعتنقته
صلى الله عليه وسلم وجعلت تغسل جراحاته فازداد الدم فاخذت
شيئا من حصير احرقته وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك
الدم ووقف صلى الله عليه وسلم على حمزة فلما رآه مثلا به اشتد
وجده عليه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير
وصولا للرحم اما والله لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزل قوله تعالى
وما صبرك الا بالله الاية فصبر وكفر عن يمينه

النوع الخامس

غزوة الخندق في السنة الرابعة او الخامسة والاول اشهر
بلغه صلى الله عليه وسلم ان قريشا وغطفان واليهود الذين
حزبوا اليهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجتمعوا فامر صلى الله عليه وسلم باشارة سلمان الفارسي
بحفر الخندق فلا نزين مكايد العدو ثم عمل فيه صلى الله عليه
وسلم بنفسه فدأب ودأبوا فيه حتى احكموه في ست
او عشرين او خمسة عشر يوما ثم اقبلت قريش ومن معهم في
عشرة الاف فنزلوا بمجمع السيول ونزلت غطفان واهل نجد عند
احد وخرج صلى الله عليه وسلم واصحابه فجعلوا ظهورهم
لسلع وهم ثلاثة الاف وصار الخندق بينهم وبين القوم
وحينئذ خرج اللعين حيي بن اخطب الى بني قريظة فلم يزل
بهم حتى نقضوا العهد الذي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم
وعزموا على حربه مع قريش فلما بلغه صلى الله عليه وسلم
اشتد البلاء وعظم الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم وهم قد بلغت

ومن اشتغالهم وهم قريظة وأراد نوفل المخزومي أن يثب الخندق
بفرسه فوقع فيه فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فأرسلوا
يبذلون ديته ليأخذوه ويدفنوه فقال صلى الله عليه وسلم •
إنه خبيث هو وديته ولا نمنعكم أخذه ولم يكن بين الفريقين •
إلا المراماة بالنبل فأصاب سهم منها أكحل سعد بن معاذ فقطعه
وهو عرق في الذراع ويسمى عرق الحياة لأن في كل عرق منه
شعبة ودام الحصار بضع عشرة ليلة حتى نعيم بن مسعود
الأشجعي وهو مخف إسلامه فأوقع بين قبائل المشركين
حتى اختلفت كلمتهم وأرسل الله في أول الليلة وهي ليلة
الأربعاء ريح الصبا شديدة وبرد لم يروا مثلها فقال المنافقون
يستأذنون ويقولون إن بيوتنا عورة حتى لم يبق إلا •
ثلثمائة فدعا صلى الله عليه وسلم حذيفة وقال ائتني •
بخبر القوم فدخل عسكرهم فرأى كلمتهم اختلفت وسمع
أبا سفيان يقول هلك الخف والكراع واختلفنا وبنو •
قريظة ولقينا من هذا ما ترون من هذا الريح أي من •
قلعها الأوتاد وكفئها القدور وسفيها التراب وسماعهم
من أرجاء عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا فقام إلى
مرتحله ووثب على جمله فما حل عقاله بيده إلا وهو قائم فرجع
حذيفة فرأى فوارس قالوا أخبر صاحبك أن الله كفاه
القوم • وحينئذ قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش
بعد عامكم هذا أبدًا ولكن أنتم تغزونهم وكان الأمر كذلك
وعاد صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء إلى المدينة هو •
وأصحابه فوضعوا أسلحتهم واغتسل صلى الله عليه وسلم
فجاء جبريل معتجرًا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها
قطيفة ديباج فقال قد وضعت السلاح وأنا ما وضعناه
اخرج إليهم أي قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم •
حصونهم فأمر صلى الله عليه مؤذنًا فأذن في الناس
من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني
قريظة فحاصروهم خمسًا وعشرين ليلة حتى أجهدهم •
الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب ولما اشتد بهم الحصار •
رضوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس فقال إني أحكم فيهم
بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء

فقال

فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة
أرقعة فضرب أعناق رجالهم وكانوا ما بين ستمائة وثمانمائة
واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة فكان يطأها
وقيل أعتقت مملوكة • وانفجر جرح سعد بن معاذ في ليلته
فمات شهيدًا وحضر جنازته سبعون ألف ملك واهتز لموته
عرش الرحمن رواه الشيخان وجعل الأذان في الجماعات •
جائز ولم ينقطع برفع ذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان •
أحد ناجيًا من ضمة القبر لنجا منها سعد منه ثم فرج الله عنه

النوع السادس غزوة الحديبية بتخفيف الياء وتشديد
اسم لبئر سمي بها ما حولها وأكثره من الحرم على تسعة أميال من
مكة وهي في ذي القعدة سنة ست خرج صلى الله عليه وسلم
معتمرًا بأصحابه وهم ألف وأربعمائة فلما كان بذي الحليفة
قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بالعمرة ولم يستصحب إلا سلاح
المسافر وهي السيوف في القرب وبعث عينًا له من خزاعة
فجاءه ببعض الطريق فأخبره أنهم جمعوا له الجموع ويقاتلوه
ويصدوه عن البيت فاستشار أصحابه فأشار الصديق
بأن يمضي لعمرته فمن صده قاتله فمضى صلى الله عليه وسلم
حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فلم تقم فقالوا خلأت
القصواء فقال ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل
ثم أقسم صلى الله عليه وسلم أنهم لا يسألونه خطة يعظمون
فيها حرمات الله إلا أعطاهم إياها ثم زجرها فوثبت
فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية فأخبروا أهل مكة •
جاءوا لقتاله وصده عن البيت فقال صلى الله عليه وسلم •
إنا لم نجئ لقتال ولكنا جئنا معتمرين وحينئذ جاء سهيل
ابن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم
فقد أرادت قريش الصلح حين أرسلت هذا فتكلم معه
صلى الله عليه وسلم حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع
الحرب بينهم عشر سنين ويأمن بعضهم بعضًا ويرجع عنهم
عامهم هذا ويكتب كتابًا بذلك فأمر صلى الله عليه وسلم
بكتابة ذلك سهيل وقال للكاتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل أما الرحمن الرحيم فما أدري ما هو ولكن اكتب
باسمك اللهم لا نكتب فأبى الصحابة ورضي صلى الله عليه
وسلم بكتب ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم هذا ما

ثم قال ما عليه محمد رسول الله اهل مكة فقال سهيل لو علمنا انك
رسول الله ما صددناك فقال والله اني لرسول الله وان
كذبتموني ثم قال لعلي امحه فقال علي ما انا بالذي امحاه
فمحاه بيده وهذا من باب ان سلوك الادب اولى من
امتثال الامر فمحاها صلى الله عليه وسلم وكتب ابن عبد الله
كما في البخاري وغيره وانما وافقهم صلى الله عليه وسلم على ذلك
لمصلحة الصلح الذي كان سببا لفتح مكة وتطهيرها عن كل
شرك ودخول الناس في دين الله افواجا ولما كتب ذلك •
قال صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف
به فابى سهيل خشية ان تتحدث العرب انهم اخذوا ضغطة
اي اكراها ولكن ذلك من العام المقبل فوافقه صلى الله
عليه وسلم ثم اشترط رد من جاء اليه صلى الله عليه وسلم
ولو مسلما فوافقه صلى الله عليه وسلم لمصلحة الصلح
لانهم بعد الصلح اختلطوا بالمسلمين فجاؤوا المدينة وذهب
المسلمون لمكة فسمعوا منهم احواله صلى الله عليه وسلم
ومعجزاته الظاهرة ومحاسن سيرته وعاينوا كثيرا
من ذلك فما لبثوا الا الايمان وبادر جماعة قبل الفتح
واسلم البقية يوم الفتح وبه حينئذ كان هذا هو المراد
بالفتح المبين في سورة الفتح كما ياتي • وفي هذا المجلس
دخل ابو جندل بن سهيل هذا فرمى بنفسه بين المسلمين
فقال سهيل ابوه هذا اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي
فابى صلى الله عليه وسلم فابى سهيل فقال فاجره لي
فابى فقال دعني فقد اجرناه لك فقال صلى الله عليه وسلم
لابي جندل وكان يعذب في الله عذابا شديدا يا ابا
جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا
وقال له عمر تحريضا على قتل من قدر عليه منهم انما هم
المشركون وانما دم احدهم كدم كلب وانما رده اليهم عملا •
بمقتضى الصلح ولما تم الصلح قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم
الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية في ديننا اذا
قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قال
اوليس كنت تحدثنا انا ناتي البيت فنطوف به قال بلى
فاخبرتك انا ناتيه العام قال لا قال فانك اتيه ومطوف

به قال

به فاتى ابا بكر فقال له مثل ذلك فاجابه ابو بكر بمثل ما اجابه
النبي صلى الله عليه وسلم لانه الخليفة الاعظم • ولما كتب كتاب
الفتح ارسل به مع عثمان وامسك سهيلا فامسك المشركون عثمان
فبلغ المسلمين واشيع انه قتل فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل
على ان لا يفروا وضرب صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى على يده
اليسرى وقال هذه بيعة عثمان ولما سمعوا بهذه البيعة خافوا
فارسلوه وجماعة من المسلمين ثم حلق صلى الله عليه وسلم
ونحر هديه ففعلوا كذلك ثم قفلوا راجعين فانزل الله •
عليه سورة الفتح بكراع الغميم تسلية لهم عما وقع في نفوسهم
بحصرهم • قال ابن عباس وانس والبراء الفتح المبين
صلح الحديبية بعد ان حسب المنافقون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنون لا ينقلبون الى اهليهم ابدا
والمراد بالفتح القريب فتح خيبر لانه وقع قريبا وفيه
المغانم الكثيرة والفتح في سورة اذا جاء نصر الله هو
الفتح وفي حديث لا هجرة بعد الفتح المراد به فتح مكة
اتفاقا • وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية
بضع عشرة يوما **النوع السابع** غزوة خيبر بلد كبير
على ثمانية برد من المدينة وهي بعد شهرين من الحديبية
ذهب اليها صلى الله عليه وسلم اواخر المحرم سنة سبع
فحاصرها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها وكان معه صلى الله
عليه وسلم الف واربعمائة ومائتا فارس واغار عليهم بعد
الصبح فراوا اليهود خارجين لنخيلهم ومعهم مساحيهم
ومكاتلهم فقالوا محمد والخميس اي الجيش لانقسامه
لخمسة المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب
فتفاءل صلى الله عليه وسلم برؤية آلة الهدم معهم ورفع
يديه وقال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين • وفرق الرايات ولم تكن الا يومئذ
وانما الذي كان اللواء وكانت رايته صلى الله عليه وسلم
سوداء ومن ليلة الفتح قال لاعطين الراية غدا رجلا يحبه
الله ورسوله يفتح الله عليه فاصبحوا كلهم يرجوا ان يعطاها
فقال صلى الله عليه وسلم اين علي ابن ابي طالب فاخبر برمده
فارسل اليه وبصق في عينيه ودعا له فبرأ لوقته فاعطاه الراية

وامره ان يدعوهم الى الاسلام ويخبرهم بما يجب عليهم وقال فوالله
لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم
الحديث ولما تقاتلوا قاتلوا اشد القتال حتى قتل من اليهود •
ثلاثة وتسعون ومن المسلمين خمسة عشر وفتح الله على رسوله
حصون خيبر العشرة ودله الله تعالى على كنز لابي الحقيق
الذي كان في مسك حمار غيبوه في خربة فاستخرجه • وقلع
على باب خيبر وفي اخبار واهية انه لم يحركه الا اربعون والا
سبعون • وسبى صلى الله عليه وسلم الذرية فكانت فيهم •
صفية بنت حيي من سهم دحية فافتداها صلى الله عليه وسلم •
منه بسبعة رؤس خشية من تغير خاطر بعضهم لانها بنت
ملك من ملوكهم فلم تلق الا به صلى الله عليه وسلم ثم اعتقها
وتزوجها • وكانت قبل ذلك رات ان القمر سقط في حجرها
فنزل بها ذلك • وفيها سمت زينب اليهودية النبي صلى
الله عليه وسلم في ذراع عنز اهدتها اليه مشوية لعلمها
انه كان يحب الذراع بسم يقتل من ساعته اجمع عليه اليهود
واعطوه لها واكثرت منه في الذراع والكتف فنهش ولسـ
الذراع فانتهس منها واكل رهط من اصحابه معه فقال •
ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة •
وارسل لليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك
قال الذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا لم يضره وان لم
يكن نبيا استرحنا منه فعفى عنها صلى الله عليه وسلم
ولم يؤذ اصحابه الذين اكلوا معه واحتجم صلى الله عليه وسلم
على كاهله تداويا من الاكل وكان من الاكلين بشر بن البراء •
فانه دفعها الى اوليائه فقتلوها به قصاصا بعد ان عفى عنها في حق
نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه • ولما رجعوا نزلوا اخر
الليل فامر صلى الله عليه وسلم بلالا ان يراقب لهم الفجر
فاسند الى راحلته فغلبه النوم فلم يستيقظوا الا من حر الشمس
فساروا فاقتادوا رواحلهم شيا يسيرا ثم توضا صلى الله عليه
وسلم وامر بلالا فاقام بهم الصلاة فصلى بهم الصبح
وكان فتحها عنوة والقول بانه صلح مردود **النوع**
الثامن فتح مكة زادها الله شرفا وهو الفتح الاعظم
الذي اعز الله تعالى به دينه ورسوله وجنده وحرمه الامين
واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من ايدي

الكفار



الكفار والمشركين وهو الفتح الذي استبشر به اهل السما وضربت
اطناب عزه على مناكب الجوزا ودخل الناس في دين الله افواجا
واشرق به وجه الارض ضيا وابتهاجا • خرج صلى الله عليه
وسلم بكتايب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش ما وقع
في صلح الحديبية انه لا يمنع من دخل في عقد احد الفريقين
فدخلت بنوا بكر في عقد قريش وخزاعة في عقد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبيتت بعض بني بكر خزاعة لما كان بينهما
من الحروب فقد قتلوا رجلا من خزاعة فاستيقظت لهم
خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم فامدت قريش بني
بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية فجا ركب من
خزاعة واخبروه صلى الله عليه وسلم فقام وهو يجر
رداه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر به نفسي •
وفي عند الطبراني انه اخبر بما وقع لخزاعة قبل ان •
ياتوا فامر صلى الله عليه وسلم ان يجهزوه سرا وقد قدم
ابو سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسال له ان يجدد العهد ويزيد في المدة فابى عليه فذهب
الى مكة وعند تجهيزه صلى الله عليه وسلم ارسل حاطب كتابا
الى مكة يخبرهم بذلك فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم فامر عليا والزبير والمقداد ان ياتوا الى محل كذا
فاتوه فوجدوا امراة فانكرته فشددوا عليها حتى اخرجته
من عقاصها فجاوا به فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا حاطب ما هذا فاعتذر بانه حليف لقريش
وليس منهم فاراد ان يتخذ عندهم يدا يحمي بها اهله تخلف
بغيبته لانها حربية فان لهم قرابات يحمين اهليهم واموالهم •
وبانه لم يفعله كفرا ولا ارتدادا ولا رضى بالكفر فقال صلى الله
عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله
اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما
يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شيتم
فقد غفرت لكم • وبعث صلى الله عليه وسلم الى من حوله
من قبايل العرب يجلبهم فمنهم من وافاه بالمدينة فكملوا فيها
عشرة الاف ومنهم من وافاه بالطريق فصاروا اثنى عشر
الفا وخرج صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان
واختلف في تعيين يوم خروجه ويوم دخوله الى مكة

والاصح انه خرج ثاني رمضان ودخلها سادس عشره ولما بلغ صلى الله
عليه وسلم بني بكر اعتقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل
ولما بلغ الكديد بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان
وتعرف المسمى الآن بخليص افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر
رواه البخاري وكان العباس مقيما بمكة على سقايته فهاجر
لقيه باهله وعياله فوافاه بالجحفة ثم نزلوا مر الظهران عشاء
فامرهم فاوقدوا عشرة الاف نار وكانت قريش ارسلوا ابا
سفيان بن حرب ليأخذ لهم امانا من النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فلما اتوا مر الظهران
افزعهم ما رأوا فقال ابو سفيان ما هذه النيران كانها نيران
عرفة فقال بديل نيران بني عمرو فقال ابو سفيان بنو عمرو
اقل من ذلك فادركهم بعض الحرس فاتوا بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاوقف ابو سفيان مع العباس ينظر
قبائل المسلمين فكلما مرت قبيلة سأل عنها فاذا قيل له
جهينة قال ما لي ولجهينة وهكذا حتى اقبلت كتيبة لم
ير مثلها قال من هذه قالوا هؤلاء الانصار عليهم سعد بن
عبادة معه الراية فقال سعد يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة
اي القتال اليوم تستحل الكعبة وفي رواية حبذا يوم الذمار
بكسر المعجمة اي الهلاك تمنى ان تكون له قوة يحمي بها قومه
او نزل قول سعد في انه يحميه وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
كلمة سعد فامر عليا ان يأخذ الراية منه خوفا ان يكون
له في قريش صولة • وروي ان ابا سفيان لما نادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الم تر ان تقتل قومك قال له
فذكر له ما قال سعد ثم ناشده الله والرحم فقال يا ابا سفيان
اليوم يوم المرحمة يعز الله فيه قريشا ثم دفعت الراية
لقيس بن سعد وفي رواية كذب سعد ولكن هذا يوم
عظيم سيعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة
وروى ابن عساكر ان سبب اخذ الراية منه ان امرأة من قريش
لما سمعته عارضت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا نبي الهدى اليك لجائي • حي قريش ولات حين لجاء •
حين ضاقت عليهم سعة الارض • وعاداهم اله السماء •
ان سعدا يريد قاصمة الظهر • باهل الحجون والبطحاء •
فلما سمع صلى الله عليه وسلم شعرها هذا اذ خلته رأفة

لهم

لهم ورحمة فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت لولده كما تقدم
ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ان يغرز رايته بالحجون
لبعده صلى الله عليه وسلم من اعلا مكة فدخلها من اعلاها مردفا
اسامة ودخل خالد بن الوليد ومن معه من القبائل من اسفلها
هذا هو المحفوظ وعكسه هو المردود وامرهم صلى الله عليه وسلم
ان يكفوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم فقاتلت قبائل من
المشركين بهم فقاتلهم من يلي خالدا فاثخن هو واصحابه القتل
فيهم الى ان جمعوا الحزورة • ورأى صلى الله عليه وسلم بارقة
السيوف فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن
ان خالدا بدأ بالقتال فقاتلهم ولما اطمأن خالد قال له
صلى الله عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال
فقال هم بدأونا بالقتال وقد كففت عنهم ما استطعت
فقال قضى الله خيرا • وعند ابن اسحاق انه صلى الله عليه
وسلم لما نزل مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة
فخرج ليلا راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكي
يجد احدا يعلمهم ليأتوا ويستأمنوا فلقي ابا سفيان فاردفه
خلفه واتى به النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان عمر
لما رآه مع العباس استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ضرب عنقه فقال العباس اني قد اجرته فقال له
صلى الله عليه وسلم يا عباس اذهب به الى رحلك فاذا
اصبحت فأتني به ففعل فقال له صلى الله عليه وسلم
يا ابا سفيان ويحك الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله
فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك فاعاد عليه
ثم قال اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك
اسلم قبل ان يضرب عنقك فاسلم فقال العباس يا رسول الله
ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم وامر
صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من دخل المسجد فهو آمن ومن
دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن
واستثنى عشرة انفس ستة رجال واربعة نساء فامر بقتلهم
وان كانوا متعلقين باستار الكعبة فقتلوا الا من اسلم منهم كعكرمة
ابن ابي جهل وعبد الله بن ابي سرح • وقد عملت بهذا الاكثرون
من قولهم ان مكة فتحت عنوة وقال الشافعي رضي الله عنه
انما فتحت صلحا وقد بينته في شرحي على المنهاج رد حجج الاول

وان الظاهر هو الثاني خلافا لما في فتح الباري • ولما دخل صلى الله
عليه وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين ابي بكر
واسيد بن الحضير رآه ابو سفيان [illegible] للعباس
يا ابا الفضل لقد اصبح ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه
ليس بملك انما نبوة فقال نعم • وجاء انه صلى الله عليه وسلم
لما طأطأ رأسه حين دخولها حتى كاد يمس رحله تواضعا وشكرا
لما راى ما اكرمه الله تعالى به من انه ادخله بلده وبوأه منه
من اهله ولم يحلها احد قبله ولا احد بعده • وكان على رأسه
الكريم المغفر بكسر فسكون وبفتح الفاء اى قطعة من الدرع
يجعل على قدر الرأس كالقلنسوة وعليها وتحته عمامة سوداء
ولم يكن محرما كما في مسلم وغيره • وصح ان اسامة قال
يا رسول الله اين تنزل غدا وهل ترك لنا عقيل من منزل
او رباع او دور واى لانه كطالب ورثا اباهما دون علي وجعفر
لاسلامهما ثم قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله
اذا فتح الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب
لان قريشا وكنانة تحالفوا فيه ان لا يتناكحوا ولا يبايعوا
بني هاشم والمطلب حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه
وسلم • واستمر صلى الله عليه وسلم على راحلته حتى
اناخ بفناء الكعبة فطلب المفتاح من عثمان بن طلحة
فذهب ليأتي به فابت امه فخوفها بالسيف فتقتله ان لم يأته
به فاعطته اياه فجاء به ففتح الباب وعثمان هذا
لا ولد له والشيبيون الحجبة الان بمكة انما هم من نسل
شيبة بن عم عثمان المذكور • ووقع له انهم كانوا يفتحون
الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فجاء صلى
الله عليه وسلم فاغلظ عليه ونال منه فقال له
لعلك سترى هذا المفتاح بيدي اضعه حيث شئت
فقال له لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت
وعزت يومئذ ولما كان يوم الفتح اخذه منه ورده اليه
وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم
وفي ثاني يوم الفتح قام صلى الله عليه وسلم خطيبا
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة
الحديث المشهور ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل
بكم قالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء

ابي الذين

ابي الذين ما لهم الله عن قيد الاسر والاسترقاق • ولما طاف
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح كان يوم الجمعة لعشر بقين من
رمضان على ناقته اشار صلى الله عليه وسلم وهو طايف
بمحجنه الى الاصنام المعلقة بالكعبة وكانت ثلثمائة وستين
صنما مثبتة بالحديد والنحاس فتساقطت لوجوهها كلها
وجاء بسند رجاله ثقات انه صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة
راى فيها صورا فدعى بماء فجعل يمحوها ويقول قاتل الله
قوما يصورون ما لا يخلقون • واقام صلى الله عليه وسلم
بمكة بضعة عشر يوما يقصر الصلاة • وبعد خمسة ايام
من الفتح ارسل صلى الله عليه وسلم خالدا ومعه ثلاثون
رجلا الى العزى صنم بنخلة وهو اعظم اصنامهم فهدموه
ثم جاؤوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال له هل رأيت
شيا قال لا قال انك لم تهدمها فارجع فرجع متجردا
سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة
الرأس فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فجزلها
اثنين فرجع فقال له صلى الله عليه وسلم تلك العزى
وقد ايست ان تعبد ببلادكم ابدا • ثم ارسل صلى الله عليه
وسلم عمرو بن العاص الى سواع صنم هذيل ليهدمه فلما
وصل اليه قال له سادنه انك لا تقدر عليه فدنى منه
فكسره ثم قال للسادن كيف رأيت فقال اسلمت لله تعالى
وفي سادس يوم الفتح ارسل صلى الله عليه وسلم سعيد
ابن زيد الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل فلما
انتهى اليه في عشرين فارسا خرجت امرأة عريانة
سوداء ناشرة شعرها تدعو بالويل والثبور فقتلها ثم هدموا الصنم
ثم خرج صلى الله عليه وسلم من مكة بعد ان مكث بها واسلم
عامة اهلها سادس شوال في اثني عشر الفا العشرة
الذين كانوا معه والالفان ممن اسلم بمكة الى هوازن
وثقيف بحنين واد وماء قريب ذي المجاز على ثلاث
ليال من مكة قريب من الطائف فقال لهم رجل بالطائف
ان هوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم اجتمعوا الى
حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين
غدا ان شاء الله • ولما راى رجل كثرة المسلمين قال
لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله

عليه وسلم لعلمهم انهم سيواجهون بعدها الهزيمة . ولما وصلوا اليهم
لبس صلى الله عليه وسلم درعين والمغفر والبيضة وركب
بغلته البيضاء دلدل فلقيتهم الصبح فاستقبلهم من هوازن
ما لم يروا مثله قط من الكثرة وخرجت الكتائب من مضيق
الوادي فحملوا حملة واحدة فولت خيل بني سليم فاهل
مكة فالناس ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم الا عمه
العباس وابنه الفضل وعلي وابو سفيان ابن عمه ابن ابي
طالب والحارث وابو بكر وعمر واسامة في اناس من اهل
بيته واصحابه والعباس اخذ بلجام بغلته يكفها مخافة
ان تصل الى العدو وابو سفيان بن الحارث اخذ بركابه
وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ولم
ينهزم صلى الله عليه وسلم قط كما اجمعوا عليه وجعل
صلى الله عليه وسلم يقول للعباس وكان جهوري الصوت
يسمع صوته من ثمانية اميال ناديا معشر الانصار اصحاب
السمرة اي شجرة بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها
فلما سمعوا رجعوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها
قائلين يا لبيك يا لبيك ومن ابي عليه بعيره اقتحم عنه
ثابتا فامرهم صلى الله عليه وسلم ان يصدقوا الحملة
فاقتتلوا وقرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالا
بما لم يسبق اليه فقال حمي الوطيس وهو التنور شبه
شدة الحرب بشدة حره . وتناول صلى الله عليه وسلم
حصيات او حصا مخلوطة بتراب فرمى بها في وجوه
المشركين قائلا شاهت الوجوه اي قبحت وتغيرت
فلم يبق منهم الا من امتلأت عيناه وفمه وسمعه
مدهشة من الشدة شديدة ثم هجمة فولوا منهزمين .
وجاء عمن كان فيهم انه قال لما لقيناهم لم يقوموا لنا
حلب شاة فجعلنا نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب
البغلة البيضاء فتلقانا عنده ناس بيض الوجوه حسان
فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا
اكتافنا وكان سيما الملائكة يومئذ عمائم حمر ارخوها
بين اكتافهم ومن المعجز كان ذاك الله تعالى قد وعد نبيه
انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين الله افواجا ودانت
له العرب باسرها فلما تم ذلك الفتح المبين اقتضت

حكمة

حكمته ان تمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وان يجمعوا
ويتالبوا لحربه صلى الله عليه وسلم ليظهر اعزازه تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرانا لاهل
الفتح وليظهر قدرته تعالى لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلقوا
قبلها مثلها ولا يقاومهم بعد احد من العرب بعد ان
اقتضت حكمته تعالى ان اذاق المسلمين مرارة الهزيمة مع كثرة
عددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا رفعت بالفتح ولم تدخل
بلده وحرمه كما دخله صلى الله عليه وسلم واضعا راسه منحنيا
على راحلته متواضعا لربه خضوعا لعظمته ان احل له بلده
ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن
قال لن نغلب اليوم من قلة ان النصر انما هو من عنده تعالى
وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه تعالى
هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي اعجبتكم فانها
لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبكم ارسلت
خلع الجبر مع بريد ثم انزل الله سكينته على رسوله وانزل
جنودا لم تروها . وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر
وجوائزه انما تفاض على اهل الانكسار ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا في الارض . وعنده وبعد ذلك قاتلت الملائكة
بانفسهما ورمي صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصا
فيهما المعنى . وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو
فانتهى بعضهم نحو الطائف وبعضهم نحو نخلة وقوم الى اوطاس
وهو واد في ديار هوازن . واستشهد من المسلمين اربعة
وقتل من المشركين اكثر من سبعين . ولما فرغ صلى الله عليه وسلم
من حنين ارسل ابا عامر عم ابي موسى الاشعري في طلب
الفارين الى اوطاس فاذا هم ممتنعون فقتل منهم تسعة
مبارزة ثم برز له العاشر فضرب ابا عامر فقتله فتقدم ابو
موسى فقاتلهم حتى فتح الله عليه وقتل قاتل ابي عامر
ولما خرج صلى الله عليه وسلم من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة
بلغه ان ثقيفا لما انهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم بالطائف
واغلقوه عليهم بعد ان اعدوا فيه ما يصلحهم لسنة فخرج بجيشه
وعسكر قريبا من الحصن فرموا المسلمين بالنبل فانتقل صلى
الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف اليوم فضرب لام
سلمة قبة ولزينب اخرى وكان يصلي بين القبتين مدة

حصار الطايف وهو ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو
اول منجنيق رمي به في الاسلام ثم امر صلى الله عليه وسلم بقطع
اعنابهم وتحريقها فسالوه ان يدعها لله وللرحم فقال
صلى الله عليه وسلم اني ادعها لله وللرحم ثم نادى مناديه
ايما عبد نزل الينا من الحصن فهو حر فخرج اليه بضعة عشر
رجلا منهم ابو بكرة رضي الله عنه فاعتقهم ودفع كلا منهم الى
من يمونه فشق ذلك على اهل الطايف ولم يوذن له في
فتحها فاذن بالرحيل فضج الناس من ذلك فقالوا نرحل ولم
يفتح علينا فقال صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال
فغدوا فاصاب المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم
انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك واذعنوا
وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك
تعجبا من تغير رايهم ● وفقئت عين ابي سفيان صخر بن حرب
يومئذ فقال له صلى الله عليه وسلم وهي في يده ايما احب
اليك عين في الجنة او ادعو الله تعالى ان يردها عليك
قال بل عين في الجنة ورمى بها وشهد اليرموك بعد ذلك
بعده فقتل وفقئت عينه الاخرى يومئذ ● ولما وصل
صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة وفيها سبي هوازن
اقام بها لعل هوازن ان يقدموا مسلمين فلما مضى بضعة
عشر يوما بدا بقسم الاموال وكان السبي ستة الاف راس
والابل اربعة وعشرون الفا والشاة اكثر من اربعين
الفا والفضة اربعة الاف اوقية فطفق يعطي رجاله
المائة من الابل تالفا لهم بذلك فوقع من صغار الانصار
قالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمائهم فبلغه مجمعهم واخبرهم بما بلغه
عنهم فما انكروا ذلك الا ان اكابرهم وطلبوا منه العفو عن صغارهم
فقال اما ترضون ان يذهب الناس بالشاء والابل
وتذهبون برسول الله الى رحالكم فوالله لما تنقلبون
به خير مما ينقلبون به فقالوا رضينا يا رسول الله ثم قدم
المدينة ومدة غيبته شهران وستة عشر يوما ● وفي غازة
رجب سنة تسع امر الناس ليتاهبوا لغزوة تبوك محل
معروف على نصف طريق دمشق من المدينة وتعرف بالفاضحة
لافتضاح المنافقين ولعظم الجدب وقلة الظهر والنفقة

وستم

وستين ثم جاء عثمان بالف بعير وسبعين فرسا وعشرة الاف دينار
فصبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها
ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو
كاين الى يوم القيامة ما بالى ما عمل بعد هذا ● واستنفر صلى الله
عليه وسلم اهل مكة وقبايل العرب ● واذن صلى الله عليه
وسلم لاثنين وثمانين رجلا من المعذرين من الاعراب في التخلف
وقعد اخرون منافقون بلا اذن جراة على الله ورسوله
وتخلف من اكابر المسلمين الثلاثة الذين ذكرهم الله تعالى
وتاب عليهم في اخر سورة براءة واستخلف على المدينة
محمد بن مسلمة في قول وجملة من كان معه في هذه الغزوة
ثلاثون الفا او اربعون او سبعون والخيل عشرة الاف
ولما وصل تبوك اضر بها ريح شديدة عند البلد فهبت
فقام رجل فاحتملته حتى القته بجبل طي ● وقدم عليه
صلى الله عليه وسلم من تبوك صاحب ايلة فصالحه واعطاه
الجزية واتاه اهل جربا بلد بالشام واذرح فاعطوه
الجزية وارسل خالدا الى اكيدر النصراني لما بلغه عظيم
بدومة الجندل فقاد ربيعة ينزو عشرين فاسره وجاء به الى
النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على الفي بعير وثمانمائة
فرس واربعمائة درع واربعمائة رمح ● وكتب كتابا الى
هرقل يدعوه الى الاسلام فقارب ان يجيب ولم يجب ●
ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بها
بضع عشرة ليلة ● ولما قرب من المدينة نزل عليه اية مسجد
الضرار فارسل من هدمه وحرقه ● ولما دنى من المدينة
خرج الناس لتلقيه والصبيان والولايد يقلن طلع البدر
علينا من ثنيات الوداع ● وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي
وجاءه صلى الله عليه وسلم المتخلفون فاستغفر لهم الا اولئك
الثلاثة ● كعب بن مالك ● ومرارة بن الربيع ● وهلال بن امية
فاخرهم حتى نزلت توبتهم من فوق سبع سموات وعلى الثلاثة الذين
خلفوا الاية ان الله هو التواب الرحيم هذا ما سبق
اليه القلم من ذكر شيء من السير والغزوات على غاية
من الاختصار فيكون ممن ... لا سيما في ملة الادعام
واستعين بالله على ذلك فانه افضل ما اتكل المتكلون
حققه الله لنا ولك من فضله المامول وادام علينا

بتوفيقه ورضاه المحقق لكل مرغوب ومسؤول • انه الجواد الكريم •
الرؤوف الرحيم • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •
وإذ قد انتهى ذلك فلنذكر وقايع الصحابة •
رضي الله تعالى عنهم وقايع من بعضهم التي فيها صلة
الرحم او قطيعته ليكون هذا الكتاب مجموعا جامعا
وذخيرة نافعا مشوقا لجميع المقاصد • مستوعبا للامثلة
الزوايد • مشتملا على نفايس • تتعلق بما هو المقصود •
من تاليفه • وفوايد ونرصعها الى تنميقه •
من ذلك قطع رحم خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالسعي في قتله
وتغريب الناس الفتنة بعدله وعلومه ومآثره وفضله
وقد اجمع الصحابة رضي الله عنهم على انه اعلمهم وافضلهم
ومع ذلك سعي في قتله بالسم فقد صح عن الامام الاكبر
ابن شهاب الزهري ان ابا بكر والحارث بن كلدة
طبيب العرب كانا ياكلان خزيرة اهديت لابي بكر
وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الحارث لابي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله
ان فيها سم سنة وانا وانت نموت في يوم واحد
فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد
عند انقضاء السنة وتوفي رضي الله عنه ليلة الثلاثاء
لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وصلى
عليه عمر بين القبر والمنبر **وكذلك** سم عمر رضي الله
عنه على الاصح حين قتله مجوسي عبد للمغيرة بن
شعبة فاستعمل له خنجرا له راسان نصابه في وسطه
وبالغ في حده وسمه ثم كمن له في الغلس في بعض زوايا
المسجد حتى خرج عمر يصف الناس لصلاة الصبح
فقام حذاءه في الصف فضربه من كتفه وفي خاصرته
فسقط وطعن بعده ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة
فالقى عليه ثوب فلما اغتم به قتل نفسه وحمل عمر
الى اهله وكانت اصابته لاربع بقين من الحجة ومات
ودفن يوم الاحد مستهل المحرم وصلى عليه صهيب
في المسجد وصح ان الشمس كسفت يوم موته رضي الله عنه
ومن ذلك قطع مروان لرحم محمد بن ابي بكر

وقطع

وقطع محمد لرحم عثمان بسعايته في قتله لانه لما ولي الناس
اثنى عشر سنة رضوا عنه ست سنين ونقموا اكثر من
عمره للبيته ثم في الست سنين الاخيرة وقع في نفوسهم
منه شيء لانه ولى فيها اقاربه بني امية ممن ليست لهم صحبة
فعقلوا فانكرت الصحابة تحصروا الناس عثمان وسبوه
الى ان اشرف عليهم وقال اتتهمون علي لولا قالوا لا الا احد
يجمع علينا بسفينتنا فلعنه فارسل له ثلاث غرب فلم يقتل
اليه الا بعد ان جرح كثيرين من الجانبين هاشم وبني امية ثم
بلغ عليا انهم يريدون قتل عثمان فخطفه وقال انما اردت
منه مروان ثم امر الحسين والحسن ان يقفا بسيفيهما على
بابه فلا يدعان احدا يصل اليه وبعث عدة من الصحابة
ابناهم كذلك فكره الناس عليه طلب مروان فابى فاخذ
محمد بن ابي بكر بيد رجلين وتسور عليه من دار بعض الانصار
مرجلوا اعتقها امراته فاخذ بلحيته فقال لو رآك ابوك
لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه
فقتلاه وهربا هاربين من حيث دخلوا فصاحت امراته
وبلغ الخبر عليا وسعدا وطلحة والزبير فخرجوا وقد
ماتت عقولهم فدخلوا عليه فقال علي لابنيه كيف
قتل امير المؤمنين وانتما على الباب ورفع يده ولطم
الحسن وضرب صدر الحسين وخرج وهو غضبان
حتى اتى منزله وجاء الناس يهرعون اليه فقالوا
نبايعك فلابد من امير فقال علي ليس ذلك اليكم
انما ذلك لاهل بدر فجاء اهل بدر فبايعوه وهرب
مروان وولده وجاء علي الى امراة عثمان فقالت
محمد بن ابي بكر من القتلة ولم تعرف الذين كانوا معه
وكان قتله رضي الله عنه في اواسط ايام التشريق سنة
خمس وثلاثين وسنه اثنتان وثمانون سنة وصلى عليه
الزبير لوصيته له بذلك وورد ان عامة الذين ساروا
الى عثمان جنوا • واخرج ابن عساكر عن حذيفة صاحب سر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الفتن والملاحم
اول الفتن قتل عثمان واخرها خروج الدجال **ومن
ذلك** قطع كثيرين من قريش رحم علي كرم الله وجهه
حيث سبوه لما هو بريء منه انه اعان على قتل عثمان



ولبقى الامر كذلك ما شاء الله من ذلك ثم دبنوا على هذا
التخيل الفاسد نقضاه فخرجوا على امير المومنين علي كرم
الله وجهه وقاتلوه المرات الكثيرة واذوه الايذا
البالغ حتى كان ذلك سببا لقتله هذا مع ان النبي صلى
الله عليه وسلم صرح لهم بان عليا على الحق وعدوه
على الباطل وذلك ان عليا بويع له بالخلافة بعد
قتل عثمان وانصرف علي الى الكوفة ثم بلغه خروج
معاوية واهل الشام اليه فالتقوا بصفين ودام القتال
ولما اشتد هذا الخلف بالناس انتدب ثلاثة من
الخوارج منهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي اللعين
وتميميان فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا ليقتلن
هولاء الثلاثة لتنطفي الفتنة عليا ومعاوية
وعمرا ابن ملجم لعلي والاخران لهذين ثم توجه
كل منهم الى المصر الذي فيه صاحبه فقدم ابن ملجم الى
الكوفة واستمر الى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان
سنة اربعين فلم ينم علي تلك الليلة وكان كان
عنده علما وهو يدخل ويخرج وينظر الى السماء
على خلاف عادته ثم قال لابنه الحسن سنح لي
الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له
يا رسول الله ما لقيت من امتك فقال ادع الله عليهم
فقلت اللهم ابدلني بهم خيرا لي منهم وابدلهم بي شرا
لهم مني فدخل المؤذن فقال الصلاة فخرج علي
من الباب ينادي ايها الناس الصلاة فاعترضه ابن
ملجم اللعين فضربه بالسيف فاصاب جبهته الى قرنه
ووصل الى دماغه على الكيفية التي اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم وصرح بها عليا وبين له صفة قاتله
وانه اشقى الاولين والاخرين فشد الناس عليه من كل
جانب فامسك واوثق واقام علي الجمعة والسبت
وتوفي ليلة الاحد وغسله الحسنان وعبد الله بن جعفر
وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ليلا
ثم قطعت اطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة واحرق بالنار
والاصح ان عمره ثلاث وستون سنة **ومن ذلك**
قطع رحم امير المومنين ابي محمد الحسن بن علي كرم الله

وجهه

وجهه بقتله بعضهم فلبثت له بالسم وذلك انه لما ولي الخلافة بعد
ابيه وبقي فيها نحو ستة اشهر عزم معاوية على قتاله فراى
الحسن كثرة من معه من المسلمين فنزل عن الخلافة لمعاوية فسمي
معاوية حينئذ امير المومنين ثم انتقل الحسن الى المدينة وكان
معاوية يحبه ويجله لكنه يخشى يزيد ان اباه يموت فيولي الحسن
الخلافة فارسل الى زوجته جعدة بنت الاشعث ان سميه
وانا اتزوجك ففعلت فمات سنة تسع واربعين ثم ارسلت ليزيد
تطلب ما وعدها به فابى لخيانتها **ومن ذلك قطع**
جماعة من رحم منهم الحسين بن علي رضي الله عنهما وقصة قتله
وما اشتملت عليه من العجايب المدهشة للعقول بسطتها
في كتابي الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والابتداع والزندقة
وحاصل ذلك ان معاوية لما مات وبايع اهل الشام ولده
يزيد ابى الحسين وابن الزبير ان يبايعاه وكان اهل العراق
يكتبون للحسين بالمسير اليهم فنهاه عن ذلك الصحابة
فلم يرجع اليهم وخرج عشر الحجة ومعه طايفة من اهل بيته
رجالا ونساء وصبيانا فكتب يزيد الى واليه بالعراق عبيد الله
ابن زياد بقتاله فوجه اليه جيشا اربعة الاف وامر عليهم
عمرو بن سعد بن ابي وقاص فقاتلوه حتى قتل بكربلا يوم
عاشوراء وقتلوا معه ستة عشر رجلا من اهل بيته ثم حمل
راسه الشريفة وجيء بها الى ابن زياد قال بعض الحفاظ ممن
جمع العلوم العقلية والنقلية لعن الله قاتله وابن زياد
معه ويزيد ايضا قال وفي قتله قصة طويلة لا يحتمل القلب
ذكرها فانا لله وانا اليه راجعون ثم حمل راسه الشريف
واهله نساء وصبيانا على اقتاب هيئة واشنعها الى يزيد اللعين
بالشام فاظهر عند ذلك من الشماتة والاستهتار بالذرية
الطاهرة الشريفة المطهرة ما اوجب خزيه ومقته في الدنيا
والاخرة • ولقد سماه رجل امير المومنين بحضرة امام الهدى
عمر بن عبد العزيز فضرب ذلك الرجل عشرين سوطا وقال
تقول امير المومنين ولقد نزلوا بالراس في بعض المنازل
فخرجت لهم يد بها قلم تكتب •
اترجوا امة قتلت حسينا • شفاعة جده يوم الحساب
فتركوا الراس وتفرقوا ثم عادوا اليه وافتقدوه وكسفت
الشمس يوم قتله ومكثت الدنيا سبعة ايام والشمس

على الحيطان كالملاحف المعصفرة يضرب بعضها بعضاً واحمرت
آفاق السماء ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد
ذلك ولم تكن ترى قبل ذلك ۔ ومن ذلك
قطع جماعة من قريش رحم عبد الله بن الزبير فقتل بغير
حق فإنه كان الخليفة الحق فبغوا عليه حتى حصروه ثم
قتلوه وصلبوه ۔ وخلاصة قصته أنه كان ممن أبى
البيعة ليزيد ولم يدع لنفسه في حياة معاوية بل
بعده فوجد عليه يزيد فجهز عليه جيشا لقتال ابن الزبير
وحاصروه في صفر سنة أربع وستين وأهلك الله الطاغية
يزيد في نصف ربيع الأول من هذا العام فنادى ابن
الزبير يا أهل الشام إن طاغيتكم قد هلك فتفرقوا
وذلوا ودعا ابن الزبير إلى بيعته الخاصة والعامة أهل
الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عنه
إلا الشام ومصر بويع بهما لمعاوية بن يزيد فإنه بقي
ممكثه أربعين يوما مشغولا بالمرض ولم يتول من أمور الناس
شيئا وسنه إحدى وعشرون سنة وبعده أطاع أهل الشام
ومصر ابن الزبير وبايعوه ۔ ثم خرج مروان بن الحكم فغلب
على الشام ومصر واستمر إلى أن مات سنة خمس وستين
وعهد لابنه عبد الملك إلى أن تغلب عبد الملك فجهز
لقتاله الحجاج فحاصره في الحرم بمكة أشهراً ورمى
عليه بالمنجنيق حتى ظفر به وقتله وصلبه يوم الثلاثاء
من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ۔ وهو أول من كسى
الكعبة الديباج وكانت كسوتها الأنطاع والمسوح ۔
وكان له مائة غلام مختلفي اللغة يكلم كلا بلغته ۔
ومن ثم قال لمعاوية يزيد أتشتري ثلاثة أبيات لو طاف
العرب كل بيت قائم بمعناه قال بثلثمائة ألف قال
وتساوي قال أنت بالخيار فأنشده لأفوه الأزدي ۔
بلوت الناس قرنا بعد قرن ۔ فلم أر غير ختال وقال ۔ قال صدقت
ولم أر في الخطوب أشد وقعا ۔ وأصعب من معاداة الرجال ۔ قال صدقت
وذقت مرارة الأشياء طرا ۔ فما طعم أمر من السؤال ۔ قال صدقت
وأمر له بثلثمائة ألف درهم ۔ ولم يصح له قدم عبد الملك
إلا بعد قتل ابن الزبير ۔ ومن ذلك قطع بني أمية
رحم إمام الهدى عمر بن عبد العزيز بن مروان حيث
قتلوه

قتلوه بالسم وسبب ذلك أنه لما تولى الخلافة أظهر من العدل
ما لم يعهد إلا من زمن الخلفاء الراشدين ومن ثم ألحق بهم فملأ
الأرض عدلا كما ملئت جورا وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب
وكان عمر يقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا
فكان ذلك الولد عمر بن عبد العزيز وكان بوجهه شجة من دابة
ضربته وهو غلام ۔ ومن بالغ عدله أنه رد جميع مظالم بني أمية
وجورهم بغير حق إلى أربابها فأحنقهم وآذاهم فاستثقلوا منه
عيشا وسئموا فقتلوه بالسم فإنه كان أهدى التحذر فلذلك
سقوه السم قال رضي الله عنه إني لأعلم الساعة التي سقيت
فيها السم ثم دعا غلاما له وقال له ما حملك على أن تسقيني
السم قال ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق فقال هاتها فجاء
بها فألقاها في بيت المال وقال اذهب حتى لا يراك أحد ۔
ثم توفي رضي الله عنه بدير سمعان بكورة السين من أعمال حمص
لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة عن تسع وثلاثين
سنة وستة أشهر ونزل على الذين يبوحون النوائح على قبره
كتاب من السماء فيه أمان من الله العزيز الغفار لعمر بن عبد العزيز
من النار ولما احتضر قال لمن عنده اخرجوا وجلسوا على الباب ۔
فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ۔
ثم قال تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ الصوت فدخلوا
فوجدوه قد قبض رضوان الله عليه ولما سمع الحسن بموته قال
مات خير الناس ولما ولي أبطل ما كان بنو أمية يقولوا عليه
من سب علي كرم الله وجهه في الخطبة ثم جعل مكانه إن الله
يأمر بالعدل والإحسان الآية فاستمر ذلك ومن ذلك
قطع المنصور العباسي رحم العلم بقتل أهله وإيذاء الكثيرين
من عظماء الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري وأمثالهما
وسبب ذلك أنه لما ولي كان الملك حادثا فيهم فإن
أباه السفاح كان أول الخلفاء العباسيين وهو ثانيهم
فقتل خلقا كثيرا لاستقامة ملكهم وبالغ في إيذاء
خلق من أكابر العلماء لظلمه وجوره واستباحته الأموال
والدماء قتلا وضربا ومنهم الإمام الأعظم أبو حنيفة
النعمان بن ثابت فإنه رضي الله عنه لم يمكنه أن يبطش
به جهارا خشية من العامة فاحتال عليه وطلبه ليوليه

القضا فامتنع عليه ووقعت له معه محاورات والزامات •
من ابي حنيفة فامر بضربه فضرب ضربا مبرحا ثم امر بسجنه •
وصار كل يوم يخرجه ويضربه ضربا شديدا الى ان يسيل •
الدم ولا زال يكرر عليه ذلك حتى علم ابو حنيفة انه •
قاتله فارسل لولده حماد ان ياتيه من الكوفة الى بغداد
فاتاه فتوفي • ومن العجب انه لما مات في السجن لم يعرفه
الا من يليه وكان منادي ينادي في بغداد ان ابا حنيفة قتله
المنصور فحضر اهل بغداد على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم
وشهدوا جنازته فكان لم يشهد مثل ذلك فاخذ الله ذلك الظالم
بذنبه واثمه فقد انتقم منه بين يدي الله تعالى **وفي سنة**
ثمان وخمسين ومائة امر بمكة ان يحبس سفيان الثوري
وعباد بن كثير اماما زمانهما علما وزهدا فحبسا وتخوف •
الناس ان يقتلهما اذا جاء للحج بل امر بنصب الاخشاب •
ليصلب سفيان فدعا عليه فاستجيب له فيه فلم يوصله
الله تعالى مكة سالما بل تقدم مريضا ومات بالبطحا •
وكفاهما الله شره • ودفن بين الحجون وبير ميمون •
وقد قيل له لقد هممت بالعقوبة حتى كانك لم تسمع بالعفو
فاعتذر بما ليس بعذر فقال ان بني مروان لم تبل •
رممهم وال ابي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن بين قوم •
قد راونا امس سوقة واليوم خلفا فليس تتمهد هيبتنا
في صدورهم الا بنسيان العفو • ومن عجيب امره انه
مع تلك الافاعيل كان يكابر العلما مع قوله لمن ولاه القضا
اصلب في الحكم فان ابي حدثني عن ابيه عن جده علي •
ابن عبد الله بن عباس عن ابيه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي
لانتقمن من الظالم في عاجله واجله ولانتقمن ممن
راى مظلوما فقدر ان ينصره فلم يفعل **وليس**
قصدنا من جميع ما ذكرناه الا بيان ان قطيعة
الرحم لا تعرا من الذنوب الا في النفسية او الهوائية
امر معروف سابق في الامم السالفة وفي هذه
الامة • وبيان ان قاطع الرحم لا بد وان يجازى
في الدنيا بمثل قطيعته او اقبح منها كما علمت ذلك
وتحققته من قضايا كثيرة تقدمت • فاحذر

ايها

٩٦

فاحذر ايها الموفق الذي يطلب مدارج الكمال ويستبقي
النعما ان تقدر منك قطيعة لرحمك بوجه ما اذا قطعوك
بل تغافل عن مظالمهم والعفو عنهم وتامل قول
الصادق المصدوق في الحديث الصحيح كن خير ابني •
ادم كن عبد الله المظلوم او المقتول ولا تكن عبد الله •
الظالم او القاتل فامرك بعملك الخير الارفق بك •
من الله وابيك انك تكون مظلوما دايما وحذرك
ومنعك عن ان تكون ظالما في حالة من الحالات •
فاجتهد في ذلك وتفطن له وجاهد نفسك على
التخلق به فانك اذا تسلم • والله سبحانه اعلم •
خاتمة في ظرف ومواعظ مبددة منتشرة
لما يتعلق ببعض ما مر **الاولى** روى مسلم ان
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل احد العشرة •
المشهود لهم بالجنة ادعت عليه امراة عند •
مروان وهو والي المدينة انه اقتطع قطعة من •
ارضها فقال كيف اظلمها وقد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من اقتطع شبرا من
الارض ظلما طوقه من سبع ارضين يوم القيامة ثم •
نزل لها الارض وقال اللهم ان كانت كاذبة •
فاعم بصرها واجعل قبرها في بيرها فعميت وجاء
سيل فاظهر حدود ارضها ثم وقعت في البير وماتت •
وروى ايضا سالته ان يدعو لها فقال لا ارد على الله
شيا اعطانيه • وروى البخاري عن سعد بن ابي وقاص
احد العشرة ايضا ان الله تعالى استجاب له دعوات
ثلاث دعاها على من رماه بانه لا يعدل في ولاية
عمله بالكوفة فقال اللهم اعم بصره واطل عمره وعرضه
للفتنة فعمي وطال عمره حتى سقط حاجباه على عينيه
وكان وهو بهذه الحالة يتعرض للجواري ليغمزهن
ويقول انا شيخ اصابتني دعوة سعد **الثانية** روى
البيهقي ان حجاما مات فحفروا له قبرا
فاذا فيه افعى سد اللحد فحفروا له ثانيا
فراوه كذلك ثم ثالثا فراوه كذلك فاتى بعضهم
ابن عباس رضي الله عنه فساله فقال ذلك عمله

الذي كان يحملان ذهبوا فاذا فتوه ببعضهما فوالله لو حضرتم
له الا ارمن كلها لوجدتم ذلك فالتقوه مني واحد منهما
ثم عادوا فقالوا للابن انه فقال كان يبيع الطعام ثم
يأخذ قوت اهله كل يوم ثم يخلط فيه مثله من قصب
الشعير ثم يبيعه فعذب بذلك **الثالثة**
روى احمد في الزهد ان رجلا من قوم صالح عليه السلام
اشتد اذاه لهم بالسرقة وغيرها فقالوا لصالح عليه
الصلاة والسلام ان يدعو عليه فدعا وقال
قد كفيتموه وكان يحتطب فغاد يحتطب سالما فجاؤوا
الى صالح فقال له اي شيء صنعت اليوم فقال خرجت
ومعي رغيفان فتصدقت باحدهما فقال حل حطبك
فحله فاذا فيه افعى اسود مثل الجذع عاض على عود
من الحطب فقال بما دفع عنك يعني بالصدقة
وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال
ان يهودا مروا على عيسى عليه السلام ومعهم حزم
الحطب فقال يموت احدهم اليوم ان شاء الله
ثم بقوا فمضوا ثم رجعوا بالعشي ومعهم حزم الحطب
فقال ضعوا ثم قال للذي قال انه يموت حل
حطبك فاذا فيه حية سوداء فقال له
ما عملت اليوم قال ما عملت شيئا الا انه كان معي
بلغة من خبز فمر بي مسكين فسألني فاعطيته
بعضها فقال بها دفع عنك **الرابعة**
اشترى امامنا الشافعي رضي الله عنه امة فلما
كان الليل اقبل على درسه فلم يجتمع بها فسارت
الى النخاس وقالت حبستموني مع مجنون
فبلغ ذلك الشافعي فقال المجنون من لم يعرف
قدر العلم وضيعه او توانى عنه حتى فات نفعه
وما احسن ما قال الشافعي بقوله ما رأيت افقه
من اشهب لولا طيش فيه ومن طيشه انه كان
يدعو على الشافعي بالموت ويقول لئن بقي
هذا ليذهبن مذهب مالك ولما سمع ابن
عبد الحكم يدعو على الشافعي ذكره للشافعي
فانشد الشافعي رضي الله عنه

تمنى

تمنى رجال ان اموت وان امت ● فتلك طريق لست فيها باوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ● تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد
قال فمات الشافعي رضي الله عنه واشترى من تركته
عبدا قال ابن عبد الحكم فاشتريته من تركته بعد
ثلثين يوما وكانت وفاته بعد الشافعي بثمانية عشر
يوما **الخامسة** روى الطبراني باسناد صحيح كان
الرجلان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقيا
لم يفترقا حتى يقرأ احدهما على الاخر والعصر ان
الانسان لفي خسر الى اخر السورة وسر ذلك ان
هذه السورة اشتملت على جميع المواعظ والاوامر
والنواهي والبشارة والنذارة والوعيد
والتهديد فتكون منها على ذكر دائما لتكون ممن عمل
الصالحات وتواصى بالحق وتواصى بالصبر **السادسة**
صح عن الشعبي انه قال ذهب زيد بن ثابت ليركب
فامسك ابن عباس بالركاب فقال تنح يا ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا هكذا نفعل بالعلماء والكبراء
واخرج الواقدي ان زيدا هذا اول مشاهده
الخندق لانه استصغر فيما قبله فكان يحمل ينقل
التراب فنام فجاء عمارة بن حزم فاخذ سلاحه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا رقاد ويومئذ نهى
صلى الله عليه وسلم ان يروع المومن وان يوخذ متاعه
جادا ولا لاعبا ● وصح ان زيدا هذا كان من اصحاب
الفتوى وهم ستة ● عمر وعلي ● وابن مسعود ●
وابي ● وابو موسى ● وزيد بن ثابت الانصاري النجاري
الخزرجي ● ولما مات سنة بضع واربعين قال ابو هريرة
رضي الله عنه مات حبر هذه الامة وعسى ان يجعل
الله في ابن عباس منه خلفا ● ولينظر في الجمع بين
هذا النهي وما رواه احمد ان ابا بكر خرج تاجرا
الى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكلاهما
شهد بدرا وكان سويبط على الزاد فقال له نعيمان
اطعمني فقال حتى يجيء ابو بكر وكان نعيمان مضحاكا
مزاحا فذهب الى ناس فقال ابتاعوا مني غلاما
عربيا فارها قالوا نعم فقال انه ذو لسان ولعله

واقعة نعيمان
وسويبط

يقول لنا اخرقنا ان كنتم تاركيه فدعوني لا افتقدوه على
قالوا بل نبتاعه فابتاعوه منه بعشرة قلائص فاقتيد
يسوقونها وقال دونكم هو هذا فقال سويبط هو كاذب انا رجل
حر قالوا قد اخبرنا خبرك فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا
به فجاء ابو بكر فاخبر فذهب هو واصحاب له اليهم فردوا القلائص
واخذوه ثم اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فضحك هو واصحابه منها حولا كاملا واخرجه كذلك
ابو داود الطيالسي والروياني واخرجه ابن ماجه
فقلبه فجعل المازح سويبط والمباع نعيمان وبعضهم
سماه سليطا وهو تصحيف • وفيها دليل على ان النهي
عن المزاح محمول على ما اذا كان من شانه ان يؤذي
ايذاء لا يحتمل عادة غالبا والا لفضلا ولم يقيد
ذلك فانه افضل سلاح للنائم في حال الحرب او النهي
لما فيه غالبا من الايذاء الذي لا يحتمل والاذى فيه
الذي دفنته هذه الفضة على ما اذا اصدر ممن
عرف بالمزاح والضحك فان العلم بحاله يسهل
ما يقدر لان المتبادر من احواله المزاح وعدم
الحقيقة وهذا جمع ظاهر بقي وان لم ار من
ذكره **السابعة** استعار عبد الله بن المبارك قلما
وهو بالشام فنسي وسافر به فلما وصل انطاكية تذكره
فرجع ماشيا الى الشام حتى رده الى صاحبه • ومن احسن
الادباء انسانا عطس عنده فلم يحمد الله فقال له ما السنة
ان يقول العاطس اذا عطس قال يقول الحمد لله فقال
له يرحمك الله • وقدم الى الرقة فانجفل الناس خلفه
حتى تقطعت النعال وارتفعت الغبرة فاشرفت ام ولد
للرشيد فقالت ما هذا قالوا عالم فقالت هذا والله
هو الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس الا بسوط
واعوان **الثامنة** صح في الحديث ان العبد
ليستنزل من الثناء ما بين المشرق والمغرب فلا يزن
عند الله جناح بعوضة • وصح ايضا انه ليأتي الرجل
السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح
بعوضة وفيه ذم السمن لمن تكلفه ومن ثم ورد في
الحديث ايضا ان ابغض الرجال الى الله تعالى الحبر

السمين

السمين • قال وهب بن منبه ارسل الله تعالى البعوض
على النمرود فاجتمع منه في عسكره ما لا يحصى عددا فلما
عاين النمرود ذلك انفرد عن عسكره واغلق الابواب
وارخى الستور ونام على قفاه مفكرا فدخلت بعوضة
في انفه وصعدت الى دماغه فتعذب بها اربعين صباحا
الى ان كان يضرب براسه وكان اعز الناس عنده من
يضرب راسه ثم سقطت منه كالفرخ وهي تقول
كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عباده ثم
هلك حينئذ **التاسعة** في الحديث الحسن
ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل
بلسانه كما تتخلل البقرة وهو الذي يتشدق
بالكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة
الكلاء بلسانها **العاشرة** احذر اذا ارتكبت
معصية فلم تعاجل بالعقوبة ان تظن انك اهملت
بل ربما املي لك كيدا لك قال تعالى واملي لهم
ان كيدي متين • وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته • وروى
البيهقي في شعبه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
انه كان في بني اسرائيل رجل يستغفل الغلمان
ثم يقتلهم ويطرحهم في مطمورة له ويأخذ ما عليهم
ومن جملتهم اخوان عليهما حلي وكانت زوجته تنهاه
عن ذلك فيقول لو ان الله يؤاخذني على شيء اخذني
يوم فعلت كذا وكذا فتقول المراة ان صاعك
لم يمتلي ولو امتلا لما عاد اخذك فخرج ابو الغلامين
يفتش عليهما فاعياه طلبهما فذهب لنبيهم فقال
له هل كان لهما لعبة يلعبان بها قال نعم كانت
لهما جرو فنادى النبي به فاتاه فوضع خاتمه
بين عينيه ثم خلى سبيله ثم قال اول دار يدخلها
فيها بيان ذلك فتخلل الدور حتى دخل دارا فدخلوا
خلفه فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان كثيرة
فانطلقوا به الى النبي فامر ان يصلب فلما رفع
على الخشبة قالت له زوجته قد كنت احذرك هذا
اليوم واخبرك ان الله تعالى غير تاركك وانت تقول

لو ان الله يؤاخذني على شيء لاخذني يوم فعلت كذا وكذا فاخبرك
ان ما علي لم يعتني بعد والان قد امتلا مما علي **الحادية
عشر** صح عن ابن مسعود ومثله لا يقال من قبل الراي
انه قرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ثم قال
ان الجعل ليعذب في جحره بذنب بني ادم • وفي حديث
حسن ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها
انما مؤمن تقي او فاجر شقي انتم بنو ادم وادم من
تراب ليدعن رجال فخرهم باقوام ما هم الا فحم
من فحم جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان
الذي يدفع بانفه النتن • وفي رواية اهون على
الله تعالى من الجعل يدفع الخرء بانفه • والجعل
بضم الجيم وفتح العين دويبة معروفة اكثر من
الخنفسا تسمى الزعقوق تنقش البهائم في روثها
فتهرب • ومن شانها جمع النجاسة وادخارها
ومن عجيب امرها انها تموت من ريح الورد وسائر
الروائح الطيبة فاذا اعيدت الى الروث عاشت •
فسبحان الصانع الخلاق الذي فضل بعضها بعضا •
وفضلها بعضهم من القدم • وجعل من الخلائق من نقد
منه وفيه المنافع • وجعل اخرين مجمع الخبث والموانع
وعرف بقدرته كل شيء بدليله وطريقه على انه الاول
والاخر • والظاهر والباطن مطلع على السرائر •
يفعل في خلقه ما يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون
ولنقتصر على ما سبق في هذا الشان • مما صح علينا
من مواد الفتح فيما تقدم • ليكون مختصرا تقبله
الهمم • ونرجو الحمد بما حواه من النفائس كل نفس
عدت به رتب العلوم على اعلا القمم • فانه مؤلف
مما قل في فنه • تقبله الله الكريم الجواد الرؤف
الرحيم بكرمه ومنه • وجعله خالصا لوجهه الكريم
العظيم • وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم • واسال الله تعالى
ان ينفع به وجميع ما قدمناه وسبقه من الكتب
والتاليف • التي هي للتنبيه والتعريف •

وان يقبل على مؤلفه وكاتبه وقاريه وسامعه بانواع
القبول • بجاه سيدنا محمد الرسول • وافضل الصلاة
واذكى التسليم دائما سرمدا على صاحب اللوا المعقود
والحوض المورود • والكرم والجود • والجنة والخلود
سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وشيعته وانصاره
وحزبه • واهل بيته وذريته وعترته والحمد لله رب
العالمين • وكان الفراغ من هذا الكتاب
المبارك صبيحة يوم السبت المبارك
خامس عشر المحرم الحرام افتتاح
سنة تسع واربعين ومائة
بعد الالف من الهجرة
على صاحبها الصلاة
والسلام وسلم
وتم بحمد الله
وعونه
وحسن

على يد العبد الفقير عبد الغني بن المرحوم عمر المصري الشهير
غفر الله له ذنوبه ولمن اشتراه ذنوبه امين
ومن نظر في الدارين عيوبه بمنه وكرمه •